

الاستاذ المرحوم الجوارى
في خطابه المسمى بالحسينية

بطاقة فهرسة

مصدر الفهرسة: *IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda*
رقم تصنيف LC: ٢٠٢٠. B٣٤٤. BP١٩٣
المؤلف الشخصي: البهادلي، محمد قاسم محمد - مؤلف.
العنوان: الاستلزام الحوارية في خطاب المسيرة الحسينية /
بيان المسؤولية: تأليف محمد قاسم محمد البهادلي، مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية.
بيانات الطبع: الطبعة الاولى.
بيانات النشر: كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، ٢٠٢٠م / ١٤٤١ للهجرة.
الوصف المادي: ٣١٨ صفحة؛ ٢٤ سم.
سلسلة النشر: (العتبة الحسينية المقدسة؛ ٧٤٥).
سلسلة النشر: (مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية؛).
تبصرة بليوجرافية: يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ٢٨٥-٣١١).
مصطلح موضوعي: أهل بيت الرسول ﷺ (الشيعية الامامية) - خطب.
مصطلح موضوعي: الخطب الدينية الاسلامية (الشيعية الامامية) - تاريخ ونقد.
مصطلح موضوعي: الخطابة الدينية - اللغة.
مصطلح موضوعي: البلاغة العربية.
موضوع شخصي: الحسين الشهيد، الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الثالث، ٤-٦١ للهجرة - خطب.
اسم هيئة اضافي: العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية. جهة مصدرة.

بطاقة إيداع

٨١٥

ب ٩٢٤ البهادلي، محمد قاسم.

كتاب الاستلزام الحوارية في خطاب المسيرة الحسينية. محمد قاسم البهادلي. - قم، دار المؤمن، ٢٠٢١م

٣١٨ ص، ٢٤ سم.

١ - الخطابة العربية (خطاب المسيرة الحسينية).

أ - العنوان. م. و.

٢٠٢١ / ٣٦١٦

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٦١٦) لسنة ٢٠٢١م

الاستبصار في الحوادث
في خطائب المهديّة الحسينيّة

تأليف

محمد قاسم محمد البهادلي

الإشراف العلوي

مؤسّسة إرشاد الأئمة
للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية



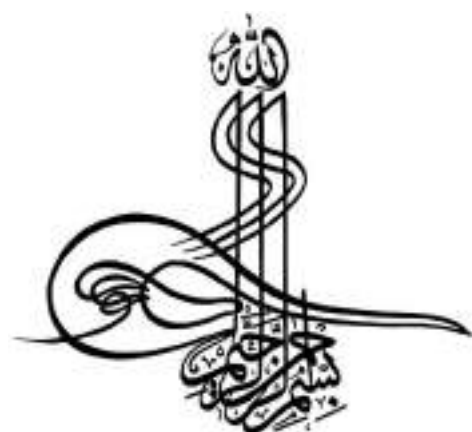
جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢١ م

إصدار

مؤسسة وارث الأئمة
للدراسات والبحوث الحسينية



تنويه: أصل هذا الكتاب رسالة علمية هي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة

العربية وآدابها

وهي بعنوان: الاستلزام الحوارية في خطاب المسيرة الحسينية

تقدّم بها الطالب محمد قاسم محمد البهادلي

بإشراف أ.م. د. عامر عبد محسن السعد

قدّمت إلى مجلس كلية الآداب - جامعة البصرة

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

مراجعة وتدقيق

اللجنة العلمية في قسم الرسائل والأطاريح الجامعية في مؤسسة وارث الأنبياء

د. الشيخ عبد الرحمن الربيعي، د. الشيخ علي حمود العبادي،

د. السيّد خالد السيساوي، د. الشيخ عدي السهلاني، الأستاذ معروف عبد المجيد

هوية الكتاب

الاستلزام الحوارية في خطاب المسيرة الحسينية

محمد قاسم محمد البهادلي

اللجنة العلمية في مؤسسة وارث الأنبياء

حسين المالكي

الأولى

دار المؤمن

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

١٠٠٠

• عنوان الكتاب

• المؤلف

• الإشراف العلمي

• الإخراج الفني

• الطبعة

• المطبعة

• سنة الطبع

• عدد النسخ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة النحل: آية ١٢٥

الإهداء

إلى... متمم مسيرة الإصلاح وناشر العدل الإمام المهدي

إلى... أمّ السّبطين الحسنين حبّاً وحنوّاً وعطاءً وتقديساً

إلى... سيّدتي ومولاتي الفاضلة النّبيّة المقدّسة أمّ البنين

إلى... رائدة الفتح الحسينيّ وركب الإباء السيدة زينب

إلى... كريمة أهل البيت العلويّة الطّاهرة فاطمة المعصومة

إلى... روح برعم القرآن حبيب الزهراء ولدي

إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد القليل

شكر وعرفان

إلى... عمادة كلية الآداب أتقدم بالشكر والثناء، وأتوجّه بالشكر إلى أساتذتي في قسم اللغة العربية، وأخصّ منهم رئيس القسم الأستاذ المساعد الدكتور محمد عبد كاظم، وأساتذتي، وزملائي في المرحلة التحضيرية، وأخصّ بالشكر الجزيل الدكتور حيدر عودة الدراجي؛ لما قدّمه لي من العون والمساعدة، وكذلك أقدم وافر شكري لكل من الدكتور علي عبد الرسول، والأستاذ عماد طالب موسى، والأستاذ علي عباس، والأستاذ عمار حسن عبد الزهرة، والأخت سارة الرجب؛ لما أبدوه من نصّح وتوجيه في مشوار الكتابة، ولا أنسى فضل كل من الشيخ زياد حسّون الساعدي والشيخ علي جعفر.

كما أتوجّه بجميل الثناء إلى العاملين في مكتبة قسم اللغة العربية ومكتبة الكلية في كلية الآداب، وكلية التربية. وأخصّ بالشكر إدارة المكتبة الحيدرية وكادرها المحترم، وإدارة المكتبة الحسينية، والمكتبة العباسية، وبالأخص الأستاذ سجّاد المحمّدي، على ما أبدوه من مساعدة يعجز اللسان عن وصفها، وشكري وتقديري لكلّ الأهل والأقارب، وبالأخصّ والدي والأصدقاء، ومن أعانني - ولو بفضل دعاء - على إنجاز هذا العمل.

محمد قاسم محمد البهادلي

مقدمة المؤسسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

إنّ العلم والمعرفة مصدر الإشعاع الذي يهدي الإنسان إلى الطريق القويم، ومن خلّاهما يمكنه أن يصل إلى غايته الحقيقيّة وسعادته الأبديّة المنشودة، فبهما يتميّز الحقّ من الباطل، وبهما تُحدّد خيارات الإنسان الصحيحة، وفي ضوءهما يسير في سبل الهداية وطريق الرشاد الذي خُلِق من أجله، بل على أساس العلم والمعرفة فضّله الله ﷺ على سائر المخلوقات، واحتجّ عليهم بقوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١)، فبالعلم يرتقي المرء وبالجهد يتسافل، كما بالعلم والمعرفة تتفاوت مقامات البشر، ويتفوّق بعضهم على بعض عند الله ﷻ، إذ ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٢)، وبهما تُسعد المجتمعات، وبهما الإعمار والازدهار، وبهما الخير كلّ الخير. ومن أجل العلم والمعرفة كانت التضحيات الكبيرة التي قدّمها الأنبياء والأئمّة والأولياء عليهم السلام، تضحيات جسام كان هدفها منع الجهل والظلام والانحراف، تضحيات كانت غايتها إيصال المجتمع الإنساني إلى مبتغاه وهدفه، إلى كماله، إلى

(١) البقرة: آية ٣١.

(٢) المجادلة: آية ١١.

حيث يجب أن يصل ويكون، فكان العلم والمعرفة هدف الأنبياء المنشود لمجتمعاتهم، وتوسّلوا إلى الله ﷻ بغية إرسال الرسل التي تعلّم المجتمعات فقالوا: ﴿وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١)، فكانت الإجابة: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢)، ما يعني أن دون العلم والمعرفة هو الضلال المبين والخسران العظيم.

بل هو دعاء الأئمة عليهم السلام ومبتغاهم من الله ﷻ لأنفسهم أيضاً، إذ طلبوا منه تعالى بقولهم: «وَأَمَلْنَا قُلُوبَنَا بِالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ»^(٣).

وبالعلم والمعرفة لا بدّ أن تُثَمَّن تلك التضحيات، وتُقدَّس تلك الشخصيات التي ضحّت بكلّ شيء من أجل الحقّ والحقيقة، من أجل أن نكون على علم وبصيرة، من أجل أن يصل إلينا النور الإلهي، من أجل أن لا يسود الجهل والظلام. فهذه سيرة الأنبياء والأئمة عليهم السلام سيرة الجهاد والنضال والتضحية والإيثار؛ لأجل نشر العلم والمعرفة في مجتمعاتهم، تلك السيرة الحافلة بالعلم والمعرفة في كلّ جانب من جوانبها، والتي ينهل منها علماءنا في التصديّ لحلّ مشاكل مجتمعاتهم على مرّ العصور والأزمنة والأمكنة، وفي كافّة المجالات وشؤون البشر.

وهذه القاعدة التي أسسناها لا يُستثنى منها أيّ نبيّ أو وصي، فلكلّ منهم عليهم السلام سيرته العطرة التي ينهل منها البشر للهداية والصلاح، إلّا أنّه يتفاوت الأمر بين أفرادهم من حيث الشدّة والضعف، وهو أمر عائد إلى المهام التي أُنيّطت بهم عليهم السلام،

(١) البقرة: آية ١٢٩.

(٢) آل عمران: آية ١٦٤.

(٣) الكفعمي، إبراهيم، المصباح: ص ٢٨٠.

كما أخبر عليه السلام بذلك في قوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾^(١)، فسيرة النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله ليست كبقية سيرة الأنبياء عليهم السلام، كما أنّ سيرة الأئمة عليهم السلام ليست كبقية سيرة الأوصياء السابقين، كما أنّ التفاوت في سيرة الأئمة عليهم السلام فيما بينهم ممّا لا شكّ فيه، كما في تفضيل أصحاب الكساء على بقية الأئمة عليهم السلام.

والإمام الحسين عليه السلام تلك الشخصية القمّة في العلم والمعرفة والجهاد والتضحية والإيثار، أحد أصحاب الكساء الخمسة الذين دلّت النصوص على فضلهم ومنزلتهم على سائر المخلوقات، الإمام الحسين عليه السلام الذي قدّم كلّ شيء من أجل بقاء النور الرباني، الذي يأبى الله أن ينطفئ، الإمام الحسين عليه السلام الذي بتضحّيته تعلّمنا وعرفنا، فبقينا.

فمن سيرة هذه الشخصية العظيمة التي ملأت أركان الوجود، تعلّم الإنسان القيم المثلّي التي بها حياته الكريمة، كالإباء والتحمّل والصبر في سبيل الوقوف بوجه الظلم، وغيرها من القيم المعرفيّة والعمليّة، التي كرّس علماءنا الأعلام جهودهم وأفنوا أعمارهم من أجل إيصالها إلى مجتمعات كانت ولا زالت بأمسّ الحاجة إلى هذه القيم، وتلك الجهود التي بذلت من قِبَل الأعلام جديرة بالثناء والتقدير؛ إذ بذلوا ما بوسعهم، وأفنوا أعلى أوقاتهم، وزهرة أعمارهم؛ لأجل هذا الهدف النبيل.

إلا أنّ هذا لا يعني سدّ أبواب البحث والتنقيب في الكنوز المعرفيّة التي تركها عليه السلام للأجيال اللاحقة - فضلاً عن الجوانب المعرفيّة في حياة سائر المعصومين عليهم السلام - إذ بقي منها من الجوانب ما لم يُسلّط الضوء عليه بالمقدار

(١) البقرة: آية ٢٥٣.

المطلوب، وهى ليست بالقليل، بل لا نجانب الحقيقة فيما لو قلنا: هى أكثر مما تناولته أقلام علمائنا بكثير، فلا بدّ لها أن تُعرّف لتُعرّف، بل لا بدّ من العمل على البحث فيها ودراساتها من زوايا متعدّدة، لتكون منهجاً للحياة، وهذا ما يزيد من مسؤوليّة المهتمّين بالشأن الدينى، ويحتّم عليهم تحمّل أعباء التصديّ لهذه المهمّة الجسيمة؛ استكمالاً للجهود المباركة التى قدّمها علماء الدين ومراجع الطائفة الحقّة.

ومن هذا المنطلق؛ بادرت الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة لتخصّص سهم وافر من جهودها ومشاريعها الفكرية والعلمية حول شخصيّة الإمام الحسين (عليه السلام) ونهضته المباركة؛ إذ إنّها المعنيّة بالدرجة الأولى وبالأساس بمسك هذا الملف التخصّصى، فعمدت إلى زرع بذرة ضمن أروقتها القدسيّة، فكانت نتيجة هذه البذرة المباركة إنشاء مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصّصيّة فى النهضة الحسينيّة، التابعة للعتبة الحسينيّة المقدّسة، حيث أخذت على عاتقها مهمّة تسليط الضوء - بالبحث والتحقيق العلميين - على شخصيّة الإمام الحسين (عليه السلام)، ونهضته المباركة، وسيرته العطرة، وكلماته الهادية، وفق خطة مبرمجة، وآليّة متقنة، تمّت دراستها وعرضها على المختصّين فى هذا الشأن؛ ليتمّ اعتمادها والعمل عليها ضمن مجموعة من المشاريع العلميّة التخصّصيّة، فكان كلّ مشروع من تلك المشاريع متكفلاً بجانب من الجوانب المهمّة فى النهضة الحسينيّة المقدّسة.

كما ليس لنا أن ندّعي - ولم يدّع غيرنا من قبل - الإمام والإحاطة بتمام جوانب شخصيّة الإمام العظيم ونهضته المباركة، إلّا أنّنا قد أخذنا على أنفسنا بذل قصارى جهدنا، وتقديم ما بوسعنا من إمكانيات فى سبيل خدمة سيّد الشهداء (عليه السلام)، وإيصال أهدافه السامية إلى الأجيال اللاحقة.

المشاريع العلميّة في المؤسسة

بعد الدراسة المتواصلة التي قامت بها مؤسسة وارث الأنبياء حول المشاريع العلميّة في المجال الحسيني، تمّ تحديد مجموعة كبيرة من المشاريع التي لم يُسلّط الضوء عليها كما يُراد لها، وهي مشاريع كثيرة وكبيرة في نفس الوقت، ولكلّ منها أهمّيته القصوى، ووفقاً لجدول الأولويات المعتمد في المؤسسة تمّ اختيار المشاريع العلميّة الأكثر أهميّة، والتي يُعتبر العمل عليها إسهاماً في تحقيق نقلة نوعيّة للتراث والفكر الحسيني، وهذه المشاريع هي:

الأول: قسم التأليف والتحقيق

إنّ العمل في هذا القسم على مستويين:

أ- التأليف

ويُعنى هذا القسم بالكتابة في العناوين الحسينيّة التي لم يتمّ تناولها بالبحث والتنقيب، أو التي لم تُعطَ حقّها من ذلك. كما يتمّ استقبال النتائج القيّمة التي ألّفت من قبل العلماء والباحثين في هذا القسم؛ ليتمّ إخضاعها للتحكيم العلمي، وبعد إبداء الملاحظات العلميّة وإجراء التعديلات اللازمة بالتوافق مع مؤلّفيها، يتمّ طباعتها ونشرها.

ب- التحقيق

والعمل فيه قائم على جمع وتحقيق وتنظيم التراث الحسيني، وقد تمّ العمل على نحوين:

الأول: التحقيق في المقاتل الحسينيّة، ويشمل جميع الكتب في هذا المجال، سواء التي كانت بكتابٍ مستقلٍّ أو ضمن كتاب، وذلك تحت عنوان: (موسوعة المقاتل الحسينيّة). وكذا العمل جارٍ في هذا القسم على رصد المخطوطات الحسينيّة التي لم تُطبع إلى الآن؛ وقد قمنا بجمع عدد كبير من المخطوطات القيّمة، التي لم يطبع كثير

منها، ولم يصل إلى أيدي القراء إلى الآن.

الثاني: استقبال الكتب التي تمّ تحقيقها خارج المؤسسة، لغرض طباعتها ونشرها بعد إخضاعها للتقويم العلمي من قبل اللجنة العلمية في المؤسسة، وبعد إدخال التعديلات اللازمة عليها، وتأييد صلاحيتها للنشر، تقوم المؤسسة بطباعتها.

الثاني: مجلة الإصلاح الحسيني

وهي مجلة فصلية متخصصة في النهضة الحسينية، تهتمّ بنشر معالم وآفاق الفكر الحسيني، وتسلبّ الضوء على تاريخ النهضة الحسينية وتراثها، وكذلك إبراز الجوانب الإنسانية والاجتماعية والفقهية والأدبية في تلك النهضة المباركة، وقد قطعت شوطاً كبيراً في مجالها، واحتلت الصدارة بين المجالات العلمية الرصينة في مجالها، وأسهمت في إثراء واقعنا الفكري بالبحوث العلمية الرصينة.

الثالث: قسم ردّ الشُّبُهات عن النهضة الحسينية

إنّ العمل في هذا القسم قائم على جمع الشُّبُهات المثارة حول الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، وذلك من خلال تتبّع مظانّ تلك الشُّبُهات من كتب قديمة أو حديثة، ومقالات وبحوث وندوات وبرامج تلفزيونية، وما إلى ذلك، ثمّ يتمّ فرزها وتبويبها وعنوانتها ضمن جدول موضوعي، ثمّ يتمّ الردّ عليها بأسلوب علمي تحقيقي في عدّة مستويات.

الرابع: الموسوعة العلمية من كلمات الإمام الحسين عليه السلام

وهي موسوعة علمية تخصصية مستخرجة من كلمات الإمام الحسين عليه السلام في مختلف العلوم وفروع المعرفة، ويكون العمل فيها من خلال جمع كلمات الإمام الحسين عليه السلام من المصادر المعتمدة، ثمّ تبويبها حسب التخصصات العلمية، والعمل على دراسة هذه الكلمات المباركة؛ لاستخراج نظريات علمية تمازج بين كلمات

الإمام عليه السلام والواقع العلمي. وقد تمّ العمل فيه على تأليف موسوعتين في آن واحد باللغتين العربيّة والفارسيّة.

الخامس: قسم دائرة المعارف الحسينيّة الألفبائيّة

وهي موسوعة تشتمل على كلّ ما يرتبط بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة من أحداث، ووقائع، ومفاهيم، ورؤى، وأعلام، وبلدان، وأماكن، وكتب، وغير ذلك، مرتّبة حسب الحروف الألفبائيّة، كما هو معمول به في دوائر المعارف والموسوعات، وعلى شكل مقالات علميّة رصينة، تُراعَى فيها كلّ شروط المقالة العلميّة، مكتوبة بلغةٍ عصريّة وأسلوبٍ حديث، وقد أُحصي آلاف المداخل، يقوم الكادر العلمي في هذا القسم بالكتابة عنها، أو وضعها بين يدي الكتّاب والباحثين حسب تخصّصاتهم؛ ليقوموا بالكتابة عنها وإدراجها في الموسوعة بعد تقييمها وإجراء التعديلات اللازمة عليها من قبل اللجنة العلميّة.

السادس: قسم الرسائل والأطاريح الجامعيّة

يتمّ العمل في هذا القسم على مستويين: الأوّل: إحصاء الرسائل والأطاريح الجامعيّة التي كُتبت حول النهضة الحسينيّة، ومتابعتها من قبل لجنة علميّة متخصّصة؛ لرفع النواقص العلميّة وإدخال التعديلات أو الإضافات المناسبة، وتهيئتها للطباعة والنشر. الثاني: إعداد موضوعات حسينيّة - يضمّ العنوان وخطّة بحث تفصيليّة - من قبل اللجنة العلميّة في هذا القسم، تصلح لكتابة رسائل وأطاريح جامعيّة، وتوضع في متناول طُلاب الدراسات العليا.

السابع: قسم الترجمة

الهدف من إنشاء هذا القسم إثراء الساحة العلميّة بالتراث الحسيني عبر ترجمة ما كتب منه بلغات أخرى إلى اللغة العربيّة، ونقل ما كتب باللغة العربيّة إلى اللغات الأخرى، ويكون ذلك من خلال إقرار صلاحيّة النتاجات للترجمة، ثمّ ترجمته أو

الإشراف على ذلك إذا كانت الترجمة خارج القسم.

الثامن: قسم الرصد والإحصاء

يتمُّ فى هذا القسم رصد جميع القضايا الحسينية المطروحة فى جميع الوسائل المتبعة فى نشر العلم والثقافة، كالفصائىات، والمواقع الإلكترونية، والكتب، والمجالات والنشريات، وغيرها؛ ممّا يعطى رؤية واضحة حول أهمّ الأمور المرتبطة بالقضية الحسينية بمختلف أبعادها، وهذا بدوره يكون مؤثراً جداً فى رسم السياسات العامة للمؤسسة، ورصد بقية الأقسام فيها، وكذا بقية المؤسسات والمراكز العلمية فى شتى المجالات. ويقوم هذا القسم بإصدار مجلة شهرية أخبارية تسلط الضوء على أبرز النشاطات والأحداث الحسينية محلياً وعالمياً فى كل شهر، بعنوان: مجلة الراصد الحسيني.

التاسع: قسم المؤتمرات والندوات والملتقيات العلمية

يعمل هذا القسم على إقامة مؤتمرات وملتقيات وندوات علمية فكرية متخصصة فى النهضة الحسينية، لغرض الإفادة من الأعلام الرائدة والإمكانات الواعدة، لىتمّ طرحها فى جوّ علميٍّ بمحضر الأساتذة والباحثين والمحققين من ذوي الاختصاص، وتتمّ دعوة العلماء والمفكرين؛ لطرح أفكارهم ورؤاهم القيمة على الكوادر العلمية فى المؤسسة، وكذا سائر الباحثين والمحققين، وكلّ من لديه اهتمام بالشأن الحسيني، للاستفادة من طرق قراءتهم للنصوص الحسينية وفق الأدوات الاستنباطية المعتمدة لديهم.

العاشر: قسم المكتبة الحسينية التخصصية

يضمّ هذا القسم مكتبة حسينية تخصصية تعمل على رصد القراء والباحثين فى المجال الحسيني على مستويين:

أ - المكتبة الحسينية التخصصية، والتي تجمع التراث الحسيني المخطوط

والمطبوع، أنشأتها مؤسسة وارث الأنبياء، وهي تجمع آلاف الكتب المهمة في مجال تخصصها.

ب - المجال الإلكتروني، إذ قامت المؤسسة بإعداد مكتبة إلكترونية حسينية يصل العدد فيها إلى أكثر من ثمانية آلاف عنوان بين كتب ومجلات وبحوث.

الحادي عشر: قسم الإعلام الحسيني

يتوزع العمل في هذا القسم على عدة جهات:

الأولى: إطلاع العلماء والباحثين والقراء الكرام علىنتاجات المؤسسة وإصداراتها، ونشر أخبار نشاطات المؤسسة وفعاليتها بمختلف القنوات الإعلامية ووسائل التواصل الاجتماعي وعلى نطاق واسع.

الثانية: إنشاء القنوات الإعلامية، والصفحات والمجموعات الالكترونية في وسائل التواصل الاجتماعي كافة.

الثالثة: العمل على إنتاج مقاطع مرئية في الموضوعات الحسينية المختلفة، مختصرة ومطوّلة، وبصورة حلقات مفردة ومتسلسلة، فردية وحوارية.

الرابعة: إعداد وطباعة نصوص حسينية وملصقات إعلانية، ومنشورات حسينية علمية وثقافية.

الخامسة: التواصل مع أكبر عدد ممكن من القنوات الإعلامية والصفحات والمجموعات الالكترونية في وسائل التواصل الاجتماعي؛ لتزويدها بأنواع المعلومات من مقاطع مرئية ومنشورات وملصقات في الموضوعات الحسينية المختلفة، الشاملة للتاريخ، والسيرة، والفقه، والأخلاق، ورد الشبهات، والمفاهيم، والشخصيات.

الثاني عشر: قسم الموقع الإلكتروني

وهو موقع إلكتروني متخصص، يقوم بنشر إصدارات وفعاليات مؤسسة

وارث الأنبياء، وعرض كتبها ومجلّاتها، والترويج لنتاجات أقسامها ونشاطاتها، وعرض الندوات والمؤتمرات والملتقيات التي تقيمها، وكذا يسلّط الضوء على أخبار المؤسسة، ومجمل فعاليّاتها العلميّة والإعلاميّة. بالإضافة إلى ترويج المعلومة الحسينيّة والثقافة العاشوريّة عبر نشر المقالات المختلفة، وإنشاء المسابقات الحسينيّة، والإجابة عن التساؤلات والشبهات.

الثالث عشر: قسم إقامة الدورات وإعداد المناهج

يتكفّل هذا القسم بإعداد الدورات الحسينيّة في المباحث العقديّة والتاريخيّة والأخلاقيّة، ولمختلف الشرائح والمستويات العلميّة، وكذلك إقامة دورات تعليميّة ومنهجية في الخطابة الحسينيّة، كما يضطلع هذا القسم بمهمّة كبيرة، وهي إعداد مناهج حسينيّة تعليميّة وثقافيّة لمختلف الفئات وعلى عدّة مستويات:

أولاً: إعداد مناهج تعليميّة للدراسات الجامعيّة الأولى والدراسات العليا.

الثاني: إعداد مناهج تعليميّة في الخطابة الحسينيّة.

الثالث: إعداد مناهج تعليميّة عامّة لمختلف شرائح المجتمع.

الرابع: إعداد مناهج ثقافيّة عامّة.

الرابع عشر: القسم النسوي

يعمل هذا القسم من خلال كادر علمي متخصص وبأقلام علميّة نسويّة في الجانب الديني والأكاديمي على تفعيل دور المرأة المسلمة في الفكر الحسيني، ورفع أقسام المؤسسة بالنتاجات النسويّة، كما يقوم بتأهيل الباحثات والكاتبات ضمن ورشات عمل تدريبيّة، وفق الأساليب المعاصرة في التأليف والكتابة.

الخامس عشر: القسم الفني

إنّ العمل في هذا القسم قائم على طباعة وإخراج الننتاجات الحسينيّة التي تصدر عن المؤسسة، من خلال برامج إلكترونيّة متطوّرة، يُشرف عليها كادر فنيّ

متخصّص، يعمل على تصميم أغلفة الكتب والإصدارات، والملصقات الإعلانيّة، والمطويّات العلميّة والثقافيّة، وعمل واجهات الصفحات الإلكترونيّة، وبرمجة الإعلانات المرئيّة والمسموعة وغيرهما، وسائر الأمور الفنيّة الأخرى التي تحتاجها أقسام المؤسسة كافّة.

وهناك مشاريع أخرى سيتمّ العمل عليها إن شاء الله تعالى.

هذه الرسالة: الاستلزام الحوارى فى خطاب المسيرة الحسينية

إنّ الدراسات اللسانية الحديثة والقديمة للنصّ بوجه عام وللخطاب والحوار بوجه خاص - على ما فيها من جدل وعراك محتدم - شكّلت اهتماماً كبيراً لدى الباحثين والمحقّقين فى هذا المجال؛ وذلك لأهميّة تلك النصوص والخطابات شكلاً ومضموناً لما تحتويه من مضامين راقية ومقاصد سامية، هذا من جانب، ومن جانب آخر تُوفّر المتبّع على فنّ الكلام وأسلوب البيان وإبراز المراد والمقاصد فيها، ممّا يُساهم فى بلورة الأفكار وفهم الآخر بشكل دقيق وممتع، ولم تكن النهضة الحسينية المباركة بمعزل عن تلك الدراسات واهتمام الباحثين فيها؛ لما تمتلكه من عناصر الاستقامة والخطاب الهادف، ومن وفرة للخطابات والحوارات الفريدة من نوعها على طوال مسيرة وحركة النهضة إلى نحو أهدافها المرسومة، وممّا يؤكّد أهميّة هذه الدراسات اللغوية واللسانية للخطاب الحسيني؛ كون أهل هذا البيت هم أصل الفصاحة والبلاغة ومعدن الحكمة والنباهة، وكلامهم عليه السلام يتضمّن أسمى القيم التعبيرية المستلزمة من ظواهر خطبهم وحواراتهم، فلا يمكن لباحث أو متابع غرض النظر عن تلك النصوص والحوارات الصادرة عنهم عليهم السلام.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الرسالة (الاستلزام الحوارى فى خطاب المسيرة

الحسينية)؛ لتضع الخطاب الحسينى تحت آليات المنهج التداولى، الذى يدرس الخطاب دراسة خاصة؛ لكي يتوصل من خلالها إلى ما ورائية الخطاب أو ما ورائية الاستعمال؛ بغيةً للكشف عن عمق الغاية وجمالية الصورة البلاغية، والوقوف على المعاني المنشودة والإرادة المقصودة من وراء تلك الخطابات المباركة أو الاقتراب منها، وهو الأمر الذى يكشف للقارئ عظم مظلومية هذه النهضة وأصحابها. وفى الختام نسأل الله تعالى للمؤلف دوام السداد والتوفيق لخدمة القضية الحسينية، ونسأل الله تعالى أن يُبارك لنا فى أعمالنا إنه سميعٌ مجيبٌ.

اللجنة العلمية فى
مؤسسة وارث الأنبياء
للدراسات التخصصية فى النهضة الحسينية

مقدمة قسم الرسائل والأطاريح الجامعية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل خلقه، وأشرف بريته محمد ﷺ وآله الطيبين الطاهرين.

لا يخفى أنّ الدراسات اللسانية تُعدّ من أهمّ الدراسات التي امتدّت أغصانها إلى أغلب فروع العلوم الإنسانية، فهي وإن افتقدت إلى التبويب - التي هي عليه الآن - في الدراسات القديمة إلّا أنّها قديمة قدم الخطاب الانساني. والنهضة الحسينية قد زحرت بفنون ذلك الخطاب شعراً ونثراً، حتى جذبت إليها أصناف المبدعين من الدارسين شرقاً وغرباً.

من بين تلك الفنون فنّ الإستلزام الحواري الذي ينصبّ على دراسة ما ورائية الخطاب واستعماله وفقاً لآليات المنهج التداولي، وهذا ما اختصّت بدراسته الرسالة التي بين أيدينا، حيث سلّطت الضوء على الاستلزام الحواري في خطاب المسيرة الحسينية؛ لتلمس ما ورائية الخطاب الحسيني، كونه خطاباً متميّزاً كمّاً وكيفاً، دقّة وموضوعاً، طرحاً وملائمةً.

تميّزت هذه الرسالة بهيكلتها المتسلسلة منطقياً شكلاً ومضموناً، بدءاً من التمهيد إلى فصولها الأربعة، وصولاً إلى خاتمة متضمّنة لنتائج البحث، حيث تتبّع الباحث من خلال تلك الفصول حوارات وخطابات المسيرة الحسينية، مراعيّاً التراتب الزمني لأحداث وواقعة النهضة الحسينية، محاولاً من خلال البنية التركيبية لتلك الخطابات الملائمة بينها وبين الأحداث، وملامسة المرادات الجدية لفاعلي الخطاب.

مع أنّ الباحث استخدم المنهج التوصيفي والتحليلي الذي يُنتهَج عادةً في مثل

هذه الدراسات، إلا أنّ الجنبه التحليلية فى هذه الدراسة تفرق عن غيرها؛ لأنها تعتمد المنهج التحليلى التداولى، وهو منهج خاص فى الدراسات اللسانية يلامس مقاصد وغايات الخطاب سياقياً ومقامياً.

كل تلك الميزات والخصائص كانت كافيه لجلب أنظار أعضاء قسم الرسائل والأطاريح الجامعية فى مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية فى النهضة الحسينية، وعدّها من الرسائل المرشحة للطباعة؛ فجاء العمل عليها من طرف القسم تقييماً وتقويماً ومتابعة التصحيحات والتعديلات مع صاحبها، حيث قُومت خطابات المسيرة الحسينية وروّجعت فى مصادرها الموثوقة، وعدّلت بعض الصياغات لغوياً وعلمياً، وعُيّر ترتيب بعض المباحث بما يتناسب ومحتوى الفصول المدرجة تحتها، كما تمّ العمل على التدقيق فى توثيق المصادر؛ لتأتى فى الأخير مرحلة طباعتها وتقديمها فى حلّتها الحالية بين أيدي القراء والباحثين.

قسم الرسائل والأطاريح الجامعية
فى مؤسسة وارث الأنبياء

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين محمد وآله الطاهرين...

تنطوي المنظومة اللسانية في المجال الاستعمالي والإجرائي القصدي على مجموعة من المعايير، والتقنيات الأسلوبية التي أصبحت شرعة لكلّ وارد يتوخّى امتطاء صهوة البحث اللساني. إذ يتجلى ذلك اليوم في البعد التداولي اللساني؛ ذي الميادين الإجرائية لكلّ المقاصد التخاطبية، فالتداولية فنّ يسعى إلى استنطاق اللغة المستعملة في مجالها الاستعمالي، ولعلّ هذا المعنى ما تبين بوضوح في الاستلزام الحواري، وكذلك الفعل الكلامي، لاسيما غير المباشر الذي يحتكم في كلّ أبعاده إلى مقاصد الخطابات التحوارية، ولا يعبأ بالمنطوق النصّي المتشكّل من تعانق الألفاظ بعضها ببعض، بل يتوخّى ما تخفيه تلكم الألفاظ من مغازٍ ومعانٍ لا يُفصح عنها اللفظ وحده، بل يفصح عنها قصد القصد.

إنّ الاستلزام الحواري هو فنّ دراسة الخطاب بعد تحليله للتوصّل إلى ما ورائية الخطاب، أو ما ورائية الاستعمال، وهذا ما حاول البحث الوقوف على تجلّياته بأبهى صورة في كلام أئمة أهل البيت (عليهم السلام)؛ ذلك لعلّو كلامهم على كلام من سواهم، ولما تضمّنه من القيم التعبيرية القصديّة المستلزمة من ظواهر خطاباتهم. من هنا جاء عنوان هذه الرسالة وهو (الاستلزام الحواري في خطاب المسيرة الحسينية) ليُجلب للقارئ مقاصد تلكم الخطابات الشريفة، وما فيها من اللطائف الخطابية اللغوية كمّاً وكيفاً، تلك اللطائف التي من شأنها التأثير أسلوبياً في الآخر، مهما كان نوع ذلك

الآخر ما دام وازع التأثير متوفرًا فى المنتج الخطابى؛ لأنّه منتجٌ متمكّن من ناحية اللغة. وهذا هو ما حدا بالباحت للولوج فى نفائس تلك الخطابات الحسينية المقدّسة على الرغم من العقبات الكبيرة التى حصلت فى طريق إكمال هذه الرسالة، كالاختلاف الروائى بين مؤرّخي تلك الخطابات، التى سرى إلى معانيها ممّا صعب عملية المزاوجة بين الخطب المتباينة جزئيًا، فضلًا عن كونها خطبًا قيلت أمام مستمعين. ولعلّ هذا الأمر قد يأتي على تغييب بعض مرادات المتكلّمين ومقاصدهم عند دراستنا لخطابهم المكتوب، أمّا وأتّها قد قيلت أمام الملأ، فالذى يغيب حينها هو الطبيعة الصوتية المنسجمة مع الخطاب.

حاول الباحت الاعتماد على كمّية كبيرة من المصادر التاريخية المعتبرة كأنساب الأشراف للبلاذري (٢٧٩هـ)، وتاريخ اليعقوبي (٢٩٢هـ)، وتاريخ الطبري (٣١٠هـ)، ومروج الذهب للمسعودي (٣٤٦هـ)، والإرشاد للشيخ المفيد (٤١٣هـ)، والاحتجاج للطبرسي (٥٢٠هـ)، ومقتل الحسين للخوارزمي (٥٦٨هـ)، والصحيح من مقتل سيّد الشهداء لمحمد الرى شهري.

فضلاً عن الدراسات اللّغوية والأدبية التى تناولت الخطابات العلوية والحسينية تحليلاً، والتي كانت محطّ اهتمام الدارسين، وقد وقع اختيارنا على مجموعة منها كرسالة (خطب سيّدات البيت العلوي)، و(التصوير الفنى فى خطب المسيرة الحسينية)، و(نثر الإمام الحسين عليه السلام دراسة بلاغية)، و(أدب الإمام الحسين عليه السلام قضاياها الفنية والمعنوية)، ودراسة (كلام الإمام الحسين عليه السلام مقارنة تداولية)، و(أدعية الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام مقارنة تداولية)، و(الاستلزام الحوارى فى خطب نهج البلاغة الطوال)، وأطروحتي الدكتوراه (الحجاج فى كلام الإمام الحسين عليه السلام)، و(نثر الإمام الحسين عليه السلام دراسة تحليلية فى جماليات بنية النص)... الخ.

أما هذه الرسالة الموسومة بالاستلزام الحواري في خطاب المسيرة الحسينية فقد اهتمت بدراسة ذلك الخطاب وفقاً لآليات المنهج التداولي، إذ حاول الباحث إحصاء كل تلك الحوارات والخطابات عبر مختلف محطات المسيرة، ابتداءً من انطلاقها وخروج الراكب الحسيني، مروراً بمحطات الرحلة والسبي، وانتهاءً برجوع السبايا إلى المدينة. كما حاول التوفيق بين الخطابات ومجريات الأحداث التي تفسرها بنية التراكيب من الخارج، سعياً منه في الوصول إلى مقاصدهم أو الاقتراب منها، الأمر الذي يكشف للقارئ عظم مظلوميّتهم عليه السلام، وبيان أهداف خطابهم وغاياته ومسوغاته. وقد استعان الباحث بمنهج جديد في ضوء الدراسات اللسانية، وهو منهج التحليل التداولي، الذي استوعب خطاب المسيرة - في ضوء الاستلزام الحواري وهو أحد أدوات المنهج التداولي - من زوايا مختلفة سياقياً ومقامياً، محاولاً تلمس مقاصده وغاياته بإجراء تطبيقي مفعم بالشواهد والأمثلة. وبعد تحديد المنهج والتصنيف جاء البحث بخطة تتناسب وطبيعة المنهج المعتمد ومتن الرسالة، مشتملاً على تمهيد وأربعة فصول، تسبقها مقدمة، وتعقبها خاتمة متضمنة لنتائج البحث.

تضمن التمهيد الاستلزام الحواري (النشأة والمفهوم) لغةً واصطلاحاً، وأقسام الاستلزام الحواري، وتطبيقات على القسم اللغوي من الاستلزام الحواري لقلتها أولاً، ولاهتمام البحث في القسم الثاني بموضوع الرسالة الذي شكّل فصولها وعليه أكثر التطبيقات ثانياً.

أما الفصل الأول: الاستلزام الحواري في ضوء قاعدة الكم، فقد تضمن - بعد التعريف بقاعدة الكم - مبحثين: الأول احترام قاعدة الكم من خلال توخي الدقة الموضوعية في الحوار، والالتزام بوحدة الموضوع وكميته. والثاني خرق قاعدة الكم، في ضوء تقديم معلومات أكثر مما يتطلبه المقام، وعلى وفق الخرق المختزل الذي يحصل بإعطاء أخبار مكثفة أقل مما يتطلبه المقام.

وقد نهض الفصل الثانى بدراسة الاستلزام الحوارى عبر قاعدة الكيف بمبحثين هما: الأول احترام قاعدة الكيف فى ضوء تحريّ صدق المتكلم واعتقاده فى كل ما ينقل ويقول، ولا تقل ما تعتقد بكذبه أو ليس لديك دليل عليه. والثانى خرق قاعدة الكيف، والاستخفاف فى قاعدة الكيف، وهو ما عليه أكثر خطب المسيرة الحسينية التى استندت إلى الوسائل البيانية من التشبيه، والاستعارة، والكنية.

وقد تناول الفصل الثالث الاستلزام الحوارى فى ضوء قاعدة الملاءمة، وبعد التعريف بها وبيان أهميتها، تطرقنا إلى مبحثين: الأول احترام القاعدة من خلال وضوح الألفاظ. والثانى خرق القاعدة من خلال خرق مقتضيات السياق مقامياً وحوارياً.

أما الفصل الرابع فقد تمثّل بعنوان الاستلزام الحوارى عبر قاعدة الطريقة من خلال مبحثين: أولهما احترام قاعدة الطريقة، من خلال توخّي الوضوح والترتيب فى متوالية الملفوظات، وثانيهما خرق قاعدة الطريقة من خلال الاستخفاف، وهذا الاستخفاف يأتي على مستويات عدّة بحسب المقولات الفرعية لهذه القاعدة فى ضوء الالتباس والغموض، والإطناب والتطويل، وخرق الترتيب فى سياق الملفوظات.

ثم ختمت هذه الفصول بخاتمة تضمّنت أهم النتائج التى توصل إليها الباحث. وختاماً يطيب لي أن أتقدّم بالشكر والثناء والامتنان لله تعالى الذى يسّر لي أمري، وسهّل لي الصعب من بحثي وظرفي الخاص بعد التوسّل عنده بسيّد الشهداء (عليه السلام).

وأتقدّم بالشكر الجزيل لأستاذي المشرف الدكتور عامر عبد محسن السعد على ما أبداه من رعاية علمية خالصة، وتوجيهات سديدة دلّلت لي الكثير من الصعوبات، فلطالما كان لي أستاذاً وأباً روحياً يُكرمني بعلمه ونصحه كلّما رأيته

محتاجاً إليهما، ولطالما كنت كذلك، فإن كان في البحث فضيلة فلله المنّة أولاً،
وللإمام الحسين عليه السلام ثانياً، وإن كان فيه نقص أو خلل فمني.

ومع كل ما توصلت إليه في هذا البحث؛ إلا أنه يبقى إنجازاً لبني البشر الذين
يخطئون ويصيبون، فلا أدعي الكمال فيه، بل أدعي أنني لم أدخر وسعاً للوصول إلى
غاياته، وإن كان ثمة خلل أو تقصير يتعين أن يجبر؛ فإنه يقع على عاتق من يأتي
بعدي لإكمال هذا المشوار، وأسأل الله أن ينفعني بهذا العمل المتواضع يوم لا ينفع
مال ولا بنون، وأن ينفع بي غيري. ربي اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم، إنك أنت
الأعزّ الأجلّ الأكرم وصلى الله على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين.

الباحث

A decorative border with intricate Islamic geometric patterns, including star and floral motifs, framing the central text area.

التمهيد

الاستلزام الحوارى النشأة والمفهوم

التمهيد

الاستلزام الحواري النشأة والمفهوم

أولاً: نشأة الاستلزام الحواري

هناك كثير من المحاولات التي قام بها العلماء في شتى مجالات الفكر والمعرفة، التي راحت تتقصّى أنجع الطرق وتستقرؤها، وتقدّم أهم النظريات اللسانية لدراسة تلك الرموز اللغوية والاجتماعية العرفية، بوصفها أداة للتواصل بين أفراد المجتمع وفهم مقاصدهم، كما عبر عن ذلك ابن جنّي (ت ٣٩٢هـ) بقوله: «أصوات يُعبّر بها كل قوم عن أغراضهم»^(١).

فالهدف من وراء هذا البحث، وأغلب البحوث التي تناولت الدرس اللساني - بعدما تعدّدت النظريات، واختلفت المذاهب والرؤى - هو إدراك حقيقة الخطاب الإنساني التواصلية وفهمه بالدرجة الأساس؛ أي: فهم حقيقة مقاصد المتكلمين وأفكارهم، كما يقول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): «المعاني مطروحة في الطريق»^(٢)، «ثم اعلم حفظك الله أنّ حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ؛ لأنّ المعاني مبسوبة إلى غير غاية، وممتدة إلى غير نهاية»^(٣).

(١) يُنظر: أبو الفتح، عثمان بن جنّي، الخصائص: ج ١، ص ٤٤.

(٢) الجاحظ، عمر بن بحر، الحيوان: ج ٣، ص ١٣١ - ١٣٢.

(٣) الجاحظ، عمر بن بحر، البيان والتبيين: ج ١، ص ٧٦.

ومن هنا انبثقت التداولية اللسانية التي عنيت بدراسة اللغة داخل السياق، وعنيت بالمرسل والمتلقي والنص، وجميع الظروف المحيطة بهم، وليس بالألفاظ الموضوعية وغير المستعملة، كون اللغة التي تهتم بها النظريات التداولية ميدانها اللغة المستعملة الحية.

والحقيقة أنّ جهود العلماء الأوائل وتراثهم المعرفي، لاسيما اللغوي منه، حافل بالمسائل اللغوية، فنجد أنّ السكاكي (ت٦٢٦هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧٤هـ)، والسيد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) وغيرهم من المناطق والأصوليين قد أولوا هذه المعاني - التي اهتمت بها التداولية اللسانية - الكثير من الاهتمام تنظيراً وتطبيقاً، ابتداءً من دراستهم طبيعة العلاقة بين اللفظ والمعنى، وتقسيم تلك العلاقة إلى حقيقية ومجازية^(١).

إنّ وظيفة اللغة اتّسعت مع ظهور المنهج التداولي، فلم تقتصر على التبليغ والتوصيف، بل أصبحت أداة للتأثير في العالم، وإذا ما حاولنا البحث عن جذور التداولية الأولى فسنجدها مغروسة في الفلسفة التحليلية، وهو الاتجاه الرئيس في فلسفة اللغة أو التيار الغالب في الفلسفة المعاصرة؛ الذي ركّز على موضوع اللغة. وقد تأثر بهذا المنهج التحليلي الذي جاء به (فريجه) عدد من الفلاسفة منهم (هوسرل، وكارناب، وفيغنشتاين، وأوستن، وسيرل)، والمسلمة العامة المشتركة بين هؤلاء الفلاسفة هي أن فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز في المقام الأوّل على اللغة؛ فهي التي تعبّر له عن هذا الفهم. وقد اتسم هذا الاتجاه بجملته من السمات أهمّها:

(١) كأرسطو طاليس، والشوكاني، والآمدي في الأصول والبلاغة.

١- ضرورة التخلّي عن أسلوب البحث الفلسفي القديم، ولا سيما جانبه الميتافيزيقي.

٢- تغيير بوصلة الاهتمام الفلسفي من موضوع (نظرية المعرفة) إلى (التحليل اللّغوي)

٣- تجديد بعض المباحث اللّغوية وتعميقها، لاسيما مبحث الدلالة والظواهر اللّغوية المتفرّعة عنه^(١).

وقد انقسم الاتجاه الفلسفي التحليلي إلى ثلاثة تيارات فرعية ضمن مدرسة أكسفورد، أهمّها تيار اللغة العادية بزعامة فينغشتاين، وتيار اللغة المنطقية الذي يدرس اللغة الشكّلية أو الصورية بزعامة كارناب وآير، وتيار أفعال اللغة بزعامة أوستن وسيرل^(٢). ولم يكن المنهج الوظيفي محطّ اهتمام هذه التيارات كلّها، حيث جانبه التياران الظاهراتي والمنطقي الصوري بسبب اهتمام الأخير باللغات الصورية المصطنعة، واتخاذها بديلاً عن اللغات الطبيعية، أما الظاهراتي فيرجع سبب مجانبته للمنهج الوظيفي إلى انغماسه في البحث ضمن أطر فكرية أعمق من الكينونة اللّغوية. وعليه لم يبق ضمن اهتمامات التداولية سوى تيار فلسفة اللغة العادية^(٣)، الذي ولد من رحم تيار الأفعال اللّغوية الذي ركّز فيه أوستن على صفة الإنجازية في اللغة من خلال نظريته الشهيرة (الأفعال الكلامية) ١٩٥٠ في جامعة هارفارد^(٤)، التي مضمونها أننا حين ننشئ أقوالاً من خلال التعبيرات الإنشائية

(١) يُنظر: د. صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب: ص ٢١.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه، ص ٢٢، ويُنظر: د. بغورة، الزواوي، الفلسفة واللغة (نقد المنعطف اللّغوي في الفلسفة المعاصرة): ص ٢٠٢.

(٣) يُنظر: د. صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب: ص ٢٣.

(٤) يُنظر: د. بغورة، الزواوي، الفلسفة واللغة (نقد المنعطف اللّغوي في الفلسفة المعاصرة): ص ١٠٤.

ونحوها مما يقتزن فيه القول بعمل ما يصح أن نعدّه منجزاً حال انتهاء المتكلم من فعل التلفّظ بكعبتك، وزوّجتك، وواعدتك، ورجوتك، فإننا في الحقيقة ننجز أفعالاً بعد فعل القول. فالمنهج التداولي منهج تحليلي يتجاوز الوصف التركيبي للجملة ومقدار نحويتها، الذي هو مدار علم التركيب أو علاقة المعجم (اللفظ) بالقضية الخارجية (المعنى) وهو مدار علم الدلالة، وهو بهذا يهتم بدراسة أثر المعارف غير اللغوية في تأويل الأقوال وفهم مقاصدها وإنجازيتها، فضلاً عن اللسانيات اللغوية كالبلاغة والأسلوبية والنحو والدلالة، فالبلاغة العربية إلى حد ما هي البراغمية، والسياق هو المقام، والبلاغة - على حدّ تعبير ليتش - تداولية في صميمها^(١).

ولما كان الاستلزام الحواري هو أحد آليات المنهج التداولي، صار لزماً الوقوف على حقيقة هذا المعطى التداولي نشأةً وأصلاً. حيث تعددت تسمياته بين القدماء والمحدثين، فمثلاً يندرج الاستلزام عند القدماء تحت مسمّى المعنى المجازي - كما هي الحال - عند السكاكي في مفتاح العلوم، أو الاقتضاء عند عبد القاهر الجرجاني، فاللغة كلّها اقتضاء بدلالة قوله: «وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني وترتبها على حسب ترتب المعاني في النفس. فهو إذن^(٢) نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو "النظم" الذي معناه ضمّ الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق...، ليس الغرض بنظم الكلم أن توالى ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل»^(٣)، فإعمال العقل في الاقتضاء هو المفضي إلى حقيقة القصد لا السياق وحده.

(١) يُنظر: بحث منال النجار في كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، ضمن بحث مفهوم البراغمية ونظرية المقام: ص ٦٣.

(٢) الصواب: إذًا.

(٣) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص ٤٩.

وقبل الدخول في تفاصيل النشأة والتطور لا بدّ من التعرّف على مفهوم المصطلح لغةً واصطلاحاً من خلال معرفة جذره اللّغوي، خاصّة وهو مركّب من مصطلحين، هما الاستلزام والحوار.

ثانياً: مفهوم الاستلزام الحواري

١- المدلول اللّغوي والاصطلاحي للاستلزام الحواري

يقتضي البحث في المعنى الذي ينطوي عليه مفهوم الاستلزام عند العرب على المستوى الأصولي واللساني التداولي، الوقوف على المقاصد التي يدلّ عليها الاستلزام عند القدماء والمحدثين بغية إيجاد الرؤية الواضحة لمدلول النظرية عند كل من الأصوليين، والتداوليين - إن كان هناك ثمة فرق بين المعنيين -، وهو أمر يعطي النظرية الفهم الدقيق بعدما يتم التعرّف على منهج الفريقين في التعاطي مع مفهوم الاستلزام قبل البدء بالخوض في مادة البحث.

والمتبّع لمفهوم الاستلزام عند علماء اللغة المتقدّمين - تحديداً عند أرباب المعاجم - سوف لا يجد عندهم، إلّا ما يبحثونه ضمن دلالة لغوية واحدة تتصل بالجذر اللّغوي للمادة، فالخليل (ت ١٧٥هـ) يرى أنّ "اللزوم": معروف والفعل لزم والفاعل لازم، والمفعول: ملزم، ولازم، ولزماً^(١)، وأكّد ابن منظور (ت ٧١١هـ) المعنى نفسه في لسانه بقوله: «لَزِمَ: اللزوم: معروف، والفعل لزم يلزم، والفاعل لازم، والمفعول ملزوم. لزم الشيء يلزمه لزماً ولزوماً ولازمه مُلَازمةً ولزماً والتزمه وألزمه إيّاه فالتزمه، ورجل لزمة: يلزم الشيء فلا يفارقه. واللزوم: الفیصل حدّاً»^(٢).

مع أنّ كلا من اللزوم والإلزام يرجعان إلى مادة واحدة وهي لزم إلّا أنّ أبا هلال

(١) يُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ٧، ص ٣٧٢، (لزم).

(٢) ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٢، ص ٥٤١، (لزم).

العسكري (ت ٣٩٥هـ) قد فرّق بينهما بقوله: «إنّ اللزوم لا يكون إلّا في الحق، يقال: لزم الحق ولا يقال لزم الباطل، والإلزام يكون في الحق والباطل، يقال: ألزمه الحق وألزمه الباطل، على ما ذكرنا»^(١).

أما مفردة (حور) فقد رأى الفراهيدي أنّ: الحور: الرجوع إلى الشيء وعنه. والغُصّة إذا انحدرت يقال: حارت تحور، وأحار صاحبها، وكل شيء تغيّر من حال إلى حال، فقد حار يحور حوراً. ويرى الجوهرى (٣٩٣هـ)، وابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) رأي الخليل: يقال حار يحور حوراً إذا رجع^(٢). والتحاور: التجاوب، والمحاورة المجاوبة^(٣).

وأما اصطلاحاً: فالاستلزام الحواري يدلّ على أنّ جميع ما يتلفّظ به المرء من عبارات أو تراكيب تدلّ على معانٍ صريحة وأخرى مستلزمة أو ضمنية، تتعيّن معانيها داخل السياق الذي وردت فيه، فنظرية الاقتضاء التي تطوّرت على يد الفيلسوف البريطاني هربرت بول غرايس (١٩٨٨م)، قد اتخذت أسلوباً موفّقاً في طريقة الاستعمال؛ لأنّ «الاقتضاء التخاطبي لم يكن نظرية لغوية فحسب، وإنّما كان أداة مثمرة لحل كثير من المشكلات الفلسفية والمنطقية أيضاً»^(٤).

(١) العسكري، أبو هلال، الفروق اللّغوية: ص ٤٦٤.

(٢) ومن هنا جاءت تسمية الحائر الحسيني بهذه التسمية - والذي نحن بصدد دراسة الاستلزام الحواري لخطب مسيرته الخالدة عليه السلام - لأنّ الماء الذي فتحه المتوكّل على قبر الإمام الحسين عليه السلام حار واستدار. يُنظر: الذهبي، محمّد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ١، ص ٣١٧.

(٣) الجوهرى، إسماعيل بن حماد، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): ج ٢، (حور). ٦٣٨. والأهوازي، ابن السكيت، ترتيب إصلاّح المنطق: ص ١٣٥.

(٤) صلاح إسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس: ص ١٦، يُنظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ص ١٧.

إنَّ نظرية الاستلزام الحواري حديثة المعالجة يعود البحث فيها إلى محاضرات بول غرايس التي ألقاها سنة ١٩٦٧ تحت عنوان (المنطق والتخاطب) ومحاضرات سنة ١٩٧٠ (الافتراض المسبق والاقتضاء التخاطبي)^(١).

وقد سمّاه غرايس مصطلح الاقتضاء *Implicature*، والفعل *Implicate*، واشتقّه من الفعل *Imply*، بمعنى يستلزم أو يتضمّن، وقد اشتق من الفعل اللاتيني *Plicare*، بالمعنى نفسه^(٢)، وهنا ينبغي التنويه على أن استعمال مصطلح الاقتضاء الأصولي أو الاستلزام التخاطبي الغرايسي يؤدّيان المعنى نفسه كما يراه الدكتور عادل فاخوري، خلافاً للدكتور طه عبد الرحمن الذي يرى أن الاستلزام التخاطبي يناسب مصطلح (المفهوم) الأصولي، في حين أن المفهوم الأصولي هو بعض الاستلزام الحواري، أو قل: إنَّ المفهوم الأصولي هو الاستلزام الحوار العام نفسه؛ لأنّه لا ينتج من خرق القواعد الغرايسية، بل هو المدلول الالتزامي من السياق الاستعمالي في حقيقة الأمر كما في قوله: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفِي﴾ فقد ذهب الأصوليون إلى حرمة ضرب الوالدين من الآية الشريفة؛ لأنّ النهي عن التآفّف عند الوالدين يستلزم حرمة ضربهما بالأوّلوية القطعية، فحرمة الشتم والضرب أولى من حرمة التآفّف، وهذا المستفاد من مفهوم الموافقة - كما يحلو لهم تسميته -، يضاف إلى ذلك أن الاقتضاء الأصولي هو ما يُبتنى على تقدير أمر خارج عن السياق

(١) المصدر نفسه: ص ١٣، ويُنظر: غرايس، بول، المنطق والمحاثّة، ترجمة محمّد الشيباني، ضمن إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين (مختارات معرّبة): ج ٢، ص ٦١١.

(٢) يُنظر: صلاح إسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس: ص ٧٨، يُنظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ص ١٧.

اللَّغوي، قد يكون عقلياً كما في قوله تعالى: ﴿وَسَّئِلِ الْقَرْيَةَ﴾ أو شرعياً أو عرفياً^(١) مع أنَّ القرية - كما يرى الأصوليون - لا يمكن أن تكون مسؤولة؛ ولذا ذهبوا إلى تقدير أمر خارج عن السياق وهو مقتضى عقلاً (أهل القرية)، وهذا الاقتضاء الأصولي غير الاستلزام الحواري؛ لأنَّ الاستلزام الحواري لا يعتمد التقديرات العقلية الخارجة عن دلالة السياق اللَّغوي، بل هو مدلول ينتجه السياق بعد فهم مراد المنتج بشكل دقيق، فهو قراءة أخرى لمنطوق النص أو هو الفهم المتوخى من المحتوى القضوي. كما أنَّ عبد الله خليفة يرى: «أنَّ التلويحات تختفي أو تعلق في حالة خطاب المواجهة والتنافس حيث يحلَّ العداء محلَّ التعاون»^(٢)، وهذا الكلام لا يمكن القبول به؛ لأنَّ مبدأ التعاون الغرايسي يفترض تعاوناً في المعطى اللَّغوي لا العاطفي حتى نفترض مثل هذا النزوع التلويحي الذي يراه الدكتور خليفة، ولذا يمكن القول إنَّ مبدأ التعاون يحصل بين المتخاطبين حتى عند غياب الانسجام العاطفي بينهما، أو حين كون الاحتدام التخاطبي مستعراً ما دام الإجراء اللَّغوي قد هيمن على محورية التفاهم اللَّغوي الذي يقتضي إفهام المخاطب - أيّاً كان ذلك المخاطب - ما دام يفهم مراد المنجز، وهذا هو مبدأ التعاون التداولي اللساني. ولذا استطاع رواد النهضة الحسينية أن يوصلوا مقاصدهم ومراداتهم إلى متلقين أقدموا على قتلهم والتمثيل بهم، ومع ذلك أوصلوا لهم ما أرادوا عبر الهيمنة اللَّغوية، والتمكّن من ناصية الخطاب الإبلاغي؛ لأنَّ الظروف التي قيلت فيها الخطابات كانت عاملاً مساعداً وبيئة مناسبة للفهم المقصود.

(١) المظفر، محمد رضا، أصول الفقة: ج ١ ص ١٣١.

(٢) الخليفة، هاشم عبد الله، نظرية التلويح الحواري: ص ٤٣.

إنَّ المعنى الاصطلاحي لمفهوم الاستلزام التخاطبي عند غرايس هو «عمل المعنى أو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر، أو قل: إنَّه شيء يعنيه المتكلِّم ويوحى به ويقترحه ولا يكون جزءاً مما تعنيه الكلمة بصورة حرفية»^(١).

أو بعبارة أخرى: هو أن تقود سير التحوار - في اللغات الطبيعية - مجموعة من الافتراضات والتقديرات (*Assumptins*) الكامنة في كفاية المتحاورين والناجمة عن اعتبارات عقلية (*Basic ratinal*) مهمتها أنَّها توجِّه الاستعمال اللُّغوي الحوارى الفعَّال نحو تحقيق أهدافه التعاونية: (*Co Operative Ends*)^(٢)، وقد عرَّف كذلك بأنَّه «المعنى التابع للدلالة الأصلية للعبارة، أو ما يرمي إليه المتكلِّم بشكل غير مباشر، جاعلاً مستمعه يتجاوز المعنى الظاهر لكلامه إلى معنى آخر»^(٣).

ومَّا مر يمكن تعريف الاستلزام الحوارى بأنَّه: التوظيف الاستعمالي القصدي، المدلول عليه بمعونة السياق والعقل بشرط توفُّر مبدأ التعاون التخاطبي، فعبارة (لا تُسرَّع يا بابا نحن بانتظارك) الواردة في الإعلام المرورى على لسان أبناء سائقي المركبات، لها معنيان:

١- المعنى القضوي: وهو الدلالة الظاهرية الحرفية للتركيب، وهي النهي عن الإسراع.

٢- المعنى المستلزم: التحذير من الأخطار التي قد تترتَّب فيما لو وقع حادث للأب نتيجة السرعة المفرطة، أو ربما يكون القصد المستلزم نحن نحبك.

في إطار بحث العلاقات بين اللغة والمجتمع، اعتنى غرايس بتحليل المعنى

(١) يُنظر: صلاح إسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس: ص ٧٨.

(٢) العياشي أدراوى، الاستلزام الحوارى في التداول اللساني: ص ٩٨.

(٣) يُنظر: جاك موشلر - آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجذوب: ص ٢١٤.

تحديداً في نوع خاص من القصد، هو الاتصال *Intention-communicative*، فالمعنى اللغوي *linguistic meaning* يمكن إدراكه في نطاق ما يقصده المتكلم من إحداث تأثير معيّن في المتلقّي عن طريق فهم المستمع لهذا القصد^(١).

ولبسط هذه الفكرة ميّز غرايس بين نوعين من المعنى^(٢):

الأوّل: سمّاه المعنى الطبيعي *Natural meaning* = المدلول المطابق للفظ، وهو دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له اللفظ عينه.

الثاني: المعنى غير الطبيعي *Non-Natural Meaning* = المدلول الالتزامي للفظ، وهو المعنى الذي يتوصّل إليه المستمع بإعمال العقل والفكر بمعونة السياق.

وعلى هذا فقد كانت بداية الانطلاق عند غرايس هي «أنّ الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كل همّة إيضاح الاختلاف بين ما يُقال *What is said*، وبين ما يُقصد *What is meant*، فما يُقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية *face values*، وما يُقصد هو ما يُريد المتكلم أن يُبلّغه السامع على نحو غير مباشر اعتماداً على أنّ السامع قادر على أن يصل إلى مُراد المتكلم بما يُتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال، فأراد أن يُقيم معبراً بين ما يحمله القول من معنى صريح *Meaning-Explicit*، وما يحمله من معنى مُتضمّن *Inexplicit Meaning*، فنشأت عنده فكرة الاستلزام *Implicature*^(٣)، فالدلالة هي ما قيل، والاستلزام

(١) يُنظر: فلسفة اللغة والمنطق دراسة في فلسفة كواين، نقلاً عن القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة، الأستاذة وشن دلال، مجلّة كَلِيّة الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمّد خضير- بسكرة (الجزائر) جانفي: ٦٤، ٢٠١٠م: ص ٣٥-٣٦.

(٢) يُنظر: المرجع نفسه: ص ٣٦. وأن ريبول، وجاك موشلر، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة د. سيف الدين دغفوس، د. محمّد الشيباني: ص ٥٣.

(٣) د. نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص ٣٣.

الحواري هو القصد الذي تمّ إيصاله وتبليغه للمتلقّي، وما قُصد يختلف عما قيل^(١). إذاً كان من أولى ما اهتمّ به غرايس في عملية التواصل هو كيف يمكن للمتحاورين أن يقولوا شيئاً ويقصدا شيئاً آخر، أو كيف يسمعان شيئاً ويفهمان شيئاً آخر، وقد اكتشف حلاً لهذه الإشكالية سمّاه (مبدأ التعاون - *Co Operative Principle*) بين المتكلّم والمخاطب^(٢).

٢- أقسام الاستلزام الحواري

لما كانت نظرية غرايس في المعنى غير الطبيعي تعدّ من أهمّ نظريات التواصل، فهي تكفّلت بتبيان كيفية التواصل في غياب المسالك العرفية أو المباشرة وغيرها؛ المتعارف والمتواضع عليها للوصول إلى مقاصد طرفي عملية تواصل المرسل والمرسل إليه، فمن المعقول أن نستنتج كثيراً من المعاني عبر استدالات متعدّدة من جملة ما^(٣)، إلا أنّ هذه المعاني قد لا تكون مقصودة تواصلياً، ومن هنا يكون الاستلزام الحواري هو استدلال من هذا النوع المقصود بهذه الكيفية^(٤).

(١) آن ريبول، وجاك موشلر، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة د. سيف الدين دغفوس، د. محمّد الشيباني: ص ٥٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٤.

(٣) وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الاستلزام أقرب إلى الاستقراء *Induction* منه إلى الاستنباط *Deduction* أو الاستلزام المنطقي *Entailment*، أو القياس الأرسطي، القائم على وجود مقدّمتين (كبرى وصغرى) تستبطنان نتيجة منطقية حتمية غير قابلة للنقض، فلو قلنا: محمّد إنسان (صغرى)، كل إنسان فانٍ (كبرى)، إذن: محمّد فانٍ (النتيجة) ففي حال صدق المقدّمتين الصغرى والكبرى فإنّ النتيجة وهي: الموت، استلزم عنهما لا محالة. على عكس الاستقراء القابل للإلغاء والانخرام والمساحة اللغوية البعيدة عن التشدّد العقلي، إذ لو قال أحدهم: رأيت آلاف النساء، وكل امرأة شاهدها كانت جميلة، لذلك فإنّ كل النساء في العالم جميلات. ومن خلال هذا الاستقراء القابل للنقض عن طريق رؤية هذا الشخص لامرأة قبيحة ستبطل النتيجة التي حصلت من الاستقراء، وتكون غير صالحة للتعميم. يُنظر: الخليفة، هاشم عبد الله، نظرية التلويح الحواري: ص ٣٩.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٦.

وقد قسّم غرايس الاستلزام على قسمين مختلفين، هما: الاستلزام العام *Generalized* الذي لا يحتاج إلى سياق حالي معيّن لحصوله، وآخر هو الاستلزام الخاص *Particularized* وهو ما يتطلّب فهمه وإدراك مكنوناته وجود سياق حالٍ معيّن^(١).

- وقد ارتأى الباحث لدراسة الاستلزام اللّغوي العام في التمهيّد؛ لسببين:
- ١- البحث منظوّر على دراسة الاستلزمات التخاطبية، وهذا المعنى ليس رائجاً في الاستلزام اللّغوي العام كما سيتضح.
 - ٢- ندرة النماذج التطبيقية في خطاب المسيرة الحسينية المتضمّنة لهذا النوع من الاستلزام.

ثالثاً: مفهوم الاستلزام اللّغوي العام *Generalized*

وهو ذلك المعنى المستلزم لغوياً من غير الحاجة إلى سياق حالي معيّن^(٢)، هو «الذي يشمل مكوّنات نصّ ما ومحيطه الثقافي والاجتماعي...، فضلاً عن تصوّرات كل من متشعّ القول ومستقبله»^(٣) من خلال عملية التفاعل بين المخاطب والمفوظ الكلامي^(٤)، إذ أنّ «كل عمل لغوي يغيّر السياق»^(٥) فالسؤال يقتضي إجابة، والاعتراض يطلب جواباً، وبعبارة أخرى: السياق هو نتيجة الأعمال اللّغوية

(١) فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ٣٩، الخليفة، هاشم عبد الله، نظرية التلويح الحواري: ص ٣٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابن فرح، عبد القادر، نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء، دور السياق في حل مشكلات المعنى، مجلّة الآن، العدد الخامس: ص ٣٢١.

(٤) يُنظر: إبراهيم خليل، في نظرية الأدب وعلم النص، بحوث وقرّاءات: ص ٣٠٤.

(٥) الخطيب القزويني، مغامرة النص من النحو إلى التداولية: ص ١٤٨.

السابقة وعلة الأعمال اللاحقة^(١).

وهذا القسم الأول من الاستلزام عند غرايس، الذي يعنى بالمقاصد الضمنية التي نجدها في العبارات غير الحوارية *Non-Conversational* كقول فاطمة بنت الحسين عليه السلام لأهل الكوفة: «وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون»^(٢)، فقولها المتضمن تنكير الغشاوة يستلزم ما يلي:

أ- المعنى المنطوق (المعنى القضوي): وجعل على بصركم غشاوة (العمى).
 ب- المفهوم أو القصد المستلزم حوارياً: الغشاوة هنا يراد منها المعنى العام غير المقيّد بأيّ باب من أبواب الضلال، أي: هي كل ما حداهم إلى ارتكاب جريمة قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته، بدلالة قولها (وأنتم لا تهتدون) فإطلاق لفظ الغشاوة الدال على العموم لمجيئه في سياق النفي يقتضي العموم غير التقيدي، وهو معنى مقصود لدى السيدة فاطمة عليها السلام؛ إذ أنّها وصفتهم بالضلال المطلق الذي صار حافزاً لهم للإقدام على جريمتهم الكبرى.

فيستلزم من القولة (أ) القولة (ب) بغض النظر عن وجود السياق الحالي المخصوص، إذ أنّ قصد المتكلّم هو الأساس الذي تتفرّع منه دلالة الاستلزام العرفي ودلالة الاستلزام غير العرفي، وتتفرّع عن دلالة المنطوق دلالة المنطوق الصريح ودلالة المنطوق غير الصريح، في حين تجد أنّ معظم الحوارات التي تستخف بالقواعد والحكم تدرج تحت الاستلزام الحوارية الخاص؛ إذ الأولى تقتضي المعنى المقصود، وتستلزمه بشكل مستقل نسبياً عن السياق، والأخيرة من بين أصناف الاستلزامات الحوارية التي تكتسب أهميّة خاصّة بالنسبة للسانيات؛

(١) يُنظر: الخطيب القزويني، مغامرة النص من النحو إلى التداولية: ص ١٤٨.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٨.

لأنّه من الصعب تمييز هذه الاستلزمات عن المضمون الدلالي للألفاظ، فافتراضها بالألفاظ الملائمة هو أمر مألوف في كل السياقات العادية^(١).

ويدخل ضمن هذا النوع الاستلزمات المتعلقة بمقولة الكميّة - التي تحصل بين العبارات التي تندرج على نحو سُلّمِيٍّ من الأكثر إلى الأقل بحيث أنّ السابق يستلزم اللاحق^(٢) - الاستلزمات الخطائية الدرجيّة (السُلّمِيّة)، وهي التي ترتبط بالحمولات الدرجيّة الجامعة بين المعنى الأقوى وبين المعنى الأضعف الذي يكون جزءاً منه، فحينما نقول: كلُّ صلاةٍ عبادةٌ، وهي العبارة الأقوى في الإثبات، والمسماة بـ (الموجبة الكلّية) في الدرس المنطقي، يكون التركيب هنا دالاً على العموم الجمعي المتضمّن لكل المصاديق المنضوية تحت عنوان الصلاة، وهذا هو المعنى القضوي الذي تدلّ عليه الهيئة التركيبية بظاهر استعمالها، بيد أنّ هذا المعنى يستلزم معنى آخر، لا يدلّ عليه ظاهر العبارة الأقوى: بعض الصلّاة عبادة، وذلك:

١- لأنّ إثبات الأقوى يقتضي إثبات الأضعف ولا عكس.

٢- لأنّ إثبات الشيء لا ينفي ما عداه^(٣).

أما إذا أثبتت العبارة الأضعف أو الموجبة الجزئية، كقولك: بعض النّاس أغنياء، فهنا يستلزم مجموعة من المعاني المستفادة لا من ظاهر العبارة ولا من التركيب، بل مستفادة من الاستلزام الحواري لهيأة التركيب الظاهرية، أو مستفادة من المفهوم المدلول عليه من السياق اللّغوي:

- بعض النّاس ليسوا بأغنياء.

(١) يُنظر: فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ٤٠ - ٤١.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ص ٤٠ - ٤١.

(٣) يُنظر: القزويني، علي الموسوي، تعلّيقه على معالم الأصول، السيّد علي الموسوي القزويني: ج ٤، ص ٣٣٢، والمدني الكاشاني، براهين الحجج للفقهاء والحجج: ج ٣، ص ٩٨.

- ليس كل الناس أغنياء.

- بعض الناس فقراء.

- بعض الناس ليسوا فقراء.

- كل الناس إما أغنياء وإما فقراء.

والذي قاد الاستلزام إلى هذه النتيجة هو التحليل التداولي الذي أفضى إلى أنّ المتكلم في وضع، لا يسمح له بأن يصرح بما هو أقوى من ذلك، وهو كل الناس أغنياء، وعندها سيكون خالف الفرع الأول من حكمة الكمية التي تقضي بأن يكون إسهامك في المحادثة مفيداً بالقدر المطلوب، فضلاً عن مبدأ الصدق الذي يتوخاه المتكلم، ولو نطق بالعبارة الأقوى، وهي كل الناس أغنياء؛ لأدّى هذا إلى التضحية بصدق العبارة، وهذا مخالف لمبدأ التعاون، في حين أنّ المتلقي افترض تعاون المتكلم معه، أي: أنّه في مقام البيان^(١) - كما يعبر عنه الأصوليون - ومقام البيان أصولياً يقابل مبدأ التعاون عند غرايس، فالمتكلم التزم بقاعدة الكمية، والمخاطب أدرك تعاونه وعدم رغبته باستغلال القاعدة وخرقها بلا تنبيهه، ومن ثمّ يُعدّ المتكلم في مقام البيان والإبلاغ، وأنّه ليس في حال يجيز له بيان الأقوى.

فلو استعين بالسلام الهورنية مثل (دائماً، كثيراً، أحياناً) لوجد أنّ هذا السلم

(١) مقام البيان: هو أصل عقلائي يقضي بأن يكون المتكلم في مقام الإفصاح عن مرامه ومقصوده، وليس في مقام الإهمال والإجمال، إذ لو كان كذلك لم يكن من الممكن استظهار إرادة الإطلاق بعد أن لم يكن بصدد البيان من هذه الجهة، والمراد من وجوب إحراز أنّ المتكلم في مقام البيان هو إحراز أنّه بصدد بيان تمام مراده في الجهة التي هو متصدّ لبيانها، فليس المراد من ذلك هو لزوم إحراز أنّه بصدد البيان من تمام الجهات، إذ أنّ ذلك قد لا يتفق للمتكلم، كما أنّ عدم كونه في مقام البيان لا يعني أنّه ليس بصدد التفهيم ولو إجمالاً، بل يعني أنّه ليس بصدد بيان تمام مراده في الجهة المفترض تصديّه لبيانها، أو أنّه أجمل وأهمّل ما يفترض تصديّه لبيانها، ومثاله قوله تعالى: (وكلوا مما أمسكن عليه) فقد استفاد منه البعض الإطلاق... يُنظر: صنفور، محمد، المعجم الأصولي: ص ٨٠٥ - ٨٠٦.

المتدرّج، ينتج الاستلزام السُّلَميَّ، وأساس هذا الاستلزام هو أنّ المتكلّم عندما يتحدّث بأيّ جملة مستعملاً أحد التعبيرات السُّلَميّة، فإنّه يستلزم نفي أيّة جملة تحتوي أيّاً من العبارات السُّلَميّة الموجودة على يمين ذلك التعبير، فتأكيد (أحياناً) يلغى كلّ الجمل التي تعتمد فيها التعبيرات الموجودة على يمين (أحياناً)، وهي جملة «كثيراً ما، أو دائماً»، ذلك لأنّ صدق التركيب المستلزم يقع في أولويات الاستلزام الحوارى، والقول بإثبات التعبيرات المنافية للجملة المدروسة قد يؤوّل إلى كذب المعنى المستلزم، وهكذا الحال مع باقي التعبيرات في معظم السّلام^(١).

بعدما تبين أنّ صور الاستلزام اللّغوي العام ومصاديقه تتجلّى عبر:
أولاً: استلزام لغوي عام متعارف، لا يحتاج إلى سياق حالي خاص، ويتحقّق بطريقتين:

- سُلَميَّ (كل، وبعض، وجميع، وعامة...).

- جُمليّ (أدوات العطف، فاء السببية).

ثانياً: استلزام عام (غير متعارف وغير وضعيّ) مجازيّ.

ثالثاً: استلزام عرفيّ ناتج عن بعض الألفاظ المعجمية (النكرة، لكن، لذلك، الضمير)

أ- السُّلَميَّ (كل وبعض، وجميع...).

أ/ ١- كل: اسم يفيد الاستغراق والإحاطة بالأفراد والأجزاء، وهو «اسم موضوع لاستغراق أفراد المنكر»^(٢)، و(كل) إذا أضيف إلى النكرة أفاد استغراق جميع أفراد جنسه، وهو لفظ معناه بحسب ما يضاف إليه، وحكمه الأفراد

(١) يُنظر: الخليفة، هاشم عبد الله، نظرية التلويح الحوارى: ص ٥٧.

(٢) الأنصاري، عبد الله بن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ج ١، ص ١٩٣.

والتنكير، فإذا كان مضافاً إلى نكرة وجب مراعاة معناه^(١)، ومما يقارب هذا المعنى قول الإمام الحسين عليه السلام: «ولياخذ كل واحد منكم بيد رجل من أهل بيتي، وتفرقوا في سواد هذا الليل، وذروني وهؤلاء القوم، فإنهم لا يريدون غيري»^(٢)، فالخطاب - كما يتضح - موجه إلى كل أصحابه الحاضرين معه ليلة العاشر من المحرم، وهو زمن التفوّه بالخطاب، ولا يستثني منهم أحداً، لاسيما حين جاءت كلمة (كل) مضافة إلى نكرة؛ لكي تعطي معنى العموم الاستغراقي غير المستثني لأحد من الأفراد المخاطبين، وهو خطاب تحاوري يحمل معنى الأمر الحقيقي الصادر من الرتبة العالية إلى الرتبة الدانية، استعمل فيه الإمام صيغة الأمر المعروفة وهي الفعل المضارع بملاصقة لام الأمر الدالة على الأمر الصريح.

وقول الإمام السجّاد عليه السلام في الشام: «أسد الله الغالب، مطلوب كل طالب، غالب كل غالب، ذاك جدّي علي بن أبي طالب»^(٣) فاستلزمت كل، بعض، أي: أن يأخذ بعضكم بيد بعض، إذ يرتبط مفهوم السّلم الكميّ بعلاقة المحمول الأقوى بالمحمول الأضعف، فإذا أطلق المحمول الأقوى استلزم منه حوارياً المحمول الأضعف^(٤).

أ/ ٢- كثير: الكثرة: نقيض القلة، والكثرة نداء العدد: يقال كثر الشيء يكثر كثرة فهو كثير^(٥)، ومن هذا المعنى قول السيدة زينب عليها السلام، وهي تخاطب أهل الكوفة:

(١) الأنصاري، عبد الله بن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ج ١، ص ١٩٣.

(٢) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص ١١٨.

(٣) المرعشي، شهاب الدين، شرح إحقاق الحق: ج ١٢، ص ١٢٧.

(٤) يُنظر: جاك موشلر - آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب: ص ٢٠٦.

(٥) يُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ص ٣٤٨ باب الكاف والطاء والراء. وابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٥، ص ١٣١ مادة (كثر).

«إي - والله - فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها...»^(١)، فلقد أدّى الخطاب الزينبي فعلاً لغوياً مباشراً، والمدلول عليه من القرينة الظاهرية للفظ التركيبي؛ هو فعل الأمر: (ابكوا واضحكوا)؛ حيث زاوجت بين فعلين متغايرين لفظاً ودلالةً من خلال التنويع الطباقى، بيد أن هذا التوفيق بين الفعلين أنجز - إجرائياً - فعلاً كلامياً غير مباشر استلزم منه الاستخفاف والتوبيخ، لا سيما حين دراسة الظروف التي كانت وراء إلقاء الخطاب.

أ/ ٣- قلة: وهي من أقل: افتقر، يقلّ إقلاقاً، والإقلال: قلة الجدة، وقُلّ ماله^(٢)، وهي لفظ نقيض الكثرة، ويستلزم منها الضعف والافتقار والعوز، ومما يقارب هذا المعنى قوله ﷺ: «ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر»^(٣)، وفيه من المعاني المستلزمة لغوياً:

- إنه ﷺ قد أقدم على مصيره المحتوم بنفسه؛ أي لم يكن ينتظر الشهادة، بل هو من اختارها، والذي يرشح هذا المعنى قوله ﷺ: «وخير لي مصرع أنا لاقيه»، في حين أن الناموس الطبيعي للموت هو من يختار بلا إرادة من البشر، وهذه حقيقة وضّحها القرآن الكريم جلياً كما في الآية الشريفة ﴿قُلْ إِنْ أَمُوتَ أَلَدَىٰ تَفْرُوتَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤).

- الثلة التي معه ليس فيهم من هو ضنين بنفسه على إمامه، ولذا يتكلم عنهم الحسين ﷺ بأسلوب المتيقن فيهم.

(١) الأمين، محسن، لوايح الأشجان: ص ٢٠٠. والطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٠.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١١، ص ٥٦٤.

(٣) الأمين، محسن، لوايح الأشجان: ص ١٣١. ويُنظر: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية: ج ٥، ص ٢١٢.

(٤) الجمعة: آية ٨.

- القلّة هنا لم تكن بمعناها الحرفي؛ لأنّ الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه كان عددهم يتجاوز المائة فارس، ولكن لفظ القلّة هنا استلزم ضخامة الجيش المعادي إلى الحد الذي صار عددهم جميعاً قلّة في قبالة.
- وصف أصحابه بالأسرة؛ كونهم قد أثبتوا له سيرهم على ما سار عليه، بلا انهماك أو خوف أو وجل.

أ/ ٤- جميع: لفظ يفيد التوكيد المعنوي للجمع بشرط الإضافة إلى الضمير المؤكّد، وهي تشبه (كل) في جميع حالاتها، إلّا أنّ التوكيد بها لا يفيد اتحاد الوقت إلا بقرينة؛ كما لا يمنع ذلك^(١)، وتختلف عن (كل) من جهة قصديتها على الإحاطة والعموم، فهي تدلّ على عموم الأفراد على سبيل الاجتماع، بخلاف (كل) التي تعمّ الأشياء على نحو الأفراد والإحاطة^(٢)، و(جميع) على وزن (فعليل) بمعنى (مفعول) يقال: «حي جميع وجاءوا جميعاً»^(٣)، أي: كلّهم وليسوا مجتمعين.

ولعلّ هذا المعنى هو المقصود في قول الإمام الحسين عليه السلام: «ألا وإني لأظنّ يوماً لنا من هؤلاء، ألا وإني قد أذنت لكم، فانطلقوا جميعاً في حلّ، ليس عليكم مني ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً» وهنا استلزم كلام الإمام عليه السلام الرخصة لهم جميعاً، أي: كلّهم، وليس الانطلاق مجتمعين^(٤)، ففي كلامه إذن عام كي يتركوه إن شاءوا، فطلبه مبني على الترخيص بالرحيل لا الأمر، بدلالة قوله «أذنت لكم»؛

(١) جميل الزغبى، علي توفيق، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي: ص ١٣٦.

(٢) السامرائي، فاضل، معاني النحو: ج ٤، ص ١٢٢.

(٣) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ص ٣٢١.

(٤) يُنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه: ج ١، ص ١٨٩. ويُنظر: السامرائي، فاضل، معاني النحو: ج ٤، ص ١٢٢.

ولذا جاء ردّهم له بالامتناع عن تركهم له مهما كانت الظروف والنتائج.

ب - الجملي (أدوات العطف، وفاء السببية)

ومما ينضوي تحت الاستلزام اللّغوي العام، ما تحمله بعض أدوات العطف من معانٍ مستلزمة من دلالتها الحرفيّة المعبرّة عن قصد المتكلّم ومراده، ويمكن التدليل على ذلك باستعمال ثلاث أدوات.

ب/ ١ - ما يستلزمه حرف العطف (أو) عندما يأتي بمعنى التخيير «وهي الواقعة بعد الطلب، وقبل ما يمتنع فيه الجمع»^(١)، ويستلزم منه امتناع الجمع، ومما يقارب هذا المعنى قول الإمام الحسين (عليه السلام): «ويلكم، أطلبوني بدم أحدٍ منكم قتله، أو ببالٍ استملكته، أو بقصاصٍ من جراحاتٍ استهلكته، فسكتوا عنه لا يجيبونه»^(٢).

استلزم امتناع الجمع؛ لأنّ الإمام (عليه السلام) لا يمكن أن تصدر منه إحدى هذه الأسباب الموجبة لقتله، أو الاقتصاص منه، ومما يعضد هذا القصد هو سكوتهم وإحجامهم عن جوابه (عليه السلام). ومن هنا، فالتخيير العطفى - الممتنع على مثل الحسين (عليه السلام) - الذي استعمله الإمام ليس لاستنطاقهم، بل لإحجاجهم، فهو عطف سياقيّ - قصديّ - اقتضى إلزام الخصم الحجّة؛ لأنّهم يعلمون أنّ الحسين (عليه السلام) بعيد عن هذه التّهم التي ذكرها، ولو كان كذلك لذكروه، ولذا جاء جوابهم لاحقاً - حين ألزمهم الحسين (عليه السلام) الحجّة - بقولهم: «إنّا نقتلك بغضاً منّا لأبيك»^(٣)، وهذا الجواب كشف عن مكنون صدورهم الفاسدة؛ لأنّ البغض يقتضي استحقاق المبعوض له، وهذا الاستحقاق غير موجود في علي (عليه السلام)، بل بغضهم له بسبب صدورهم الموعرة حقداً عليه، ولذا

(١) الأنصاري، عبد الله بن هشام، مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب: ص ٦٢.

(٢) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص ١٢٨. الخوارزمي، الموفق بن أحمد المكي، مقتل الحسين:

ج ١، ص ٣٥٧ - ٣٥٨. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٧.

(٣) المرعشي، شهاب الدين، شرح إحقاق الحق: ج ١١، ص ٦٤٧.

قالوا «بغضاً منا لأبيك» فعلي عليه السلام غير مستحق للبغض، بل قلوبهم لا تستحق حبه. والمقاربة الأخرى لأداة العطف (أو) التي جاءت بمعنى التخيير، هو استلزامها لجواز الجمع، مع كونها سبقت بطلب^(١) قوله عليه السلام: «سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، أو أبا سعيد الخدري، أو سهل بن سعد الساعدي، أو زيد بن أرقم أو أنس بن مالك، يخبروكم: أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي...»^(٢)، فقد وجه الإمام عليه السلام الخصم إلى تحييده؛ كي يعرف حقيقة الحسين إن كانت شخصيته غائبة عن المتلقي، وهذا الأمر كالسهم الأخير في كنانته عليه السلام تجاه إقناعهم بالإحجام عن قتلهم إياه بعدما يتعرفون عليه من خلال الشخصيات التي ذكرها، مع أنه يعلم أن القوم لن يتوانوا عن قتله حتى لو اجتمعت تلك الشخصيات معاً في ذلك اليوم، وشهدوا بما قال الحسين عليه السلام، ف(أو) هنا استلزمت الجمع؛ لأن السؤال قد يقع على الجميع، مع أن ماهية دلالتها الحرفية هي التخيير، والذي يرشح معنى الجمع هو قوله: «يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي».

ب/ ٢- فاء السببية: وهي تستلزم كون ما قبلها سبباً لما بعدها^(٣)، قال عليه السلام: «تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً وبؤساً لكم، حين استصرختمونا والهين، فأصرخناكم موجفين، فشحذتم علينا سيفاً كان في أيدينا، وحمشتم علينا ناراً أضرمناها على عدوكم وعدونا، فأصبحتم إلماً على أوليائكم، ويداً على أعدائكم من غير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، ولا ذنب كان منا إليكم»^(٤)، فجاء الاستنجد الذي عبر عنه الإمام عليه السلام بالاستصراخ الذي كان صادراً عن وله؛ أي: شدة الحب هو السبب

(١) الأنصاري عبد الله بن هشام، مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب: ص ٦٢.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٢٣.

(٣) الدمايني، محمد بن أبي بكر، شرح الدمايني على مغني اللبيب: ج ٢، ص ٨٧.

(٤) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص ١٢٩. ابن همدون، التذكرة الحمدونية: ج ٥، ص ٢١٢.

الذى كان وراء نجدتكم على وجه السرعة، أداءً للتكليف الشرعى، وطلباً لإغاثة الملهوف فضلاً عن المحب، والأداة (فاء السببية) هى من استلزمت هذا القصد، وإلا فدلالتها الحرفية هى إفادة العطف مع التعقيب. ثم إنَّ هذا النوع من التكرار للفاء، واستعمالها بهذه الطريقة فى الخطاب، لهو نوع لطيف وأسلوب رشيق من لسان العرب^(١).

ثانياً: استلزام عرفى ناتج عن دلالة الألفاظ التى لا تنفك عن المضمون الدلالى بالوضع، وهو نوع آخر من الاستدلال غير المشروط بالصدق^(٢)، أسماه غرايس الاستلزام العرفى *Conventional Implicature*، وهو استلزام يستفاد من دلالة المفردات المعجمية أو العرف *By Conventional*، إذ لا يتعلّق بالاستلزمات غير العرفية، ولا بحكم وقواعد الحوار الناتجة عن مبدأ التعاون أو بقواعد إضافية، بل بالألفاظ المعجمية نفسها، بحيث لو غيّرنا تلك الألفاظ يزول التلويح تماماً؛ لأنّه لصيق بها، كما أنّه يعدّ من مستتبعات التركيب، وبهذا هو يخالف أحد مميّزات الاستلزام الحوارى، وهى عدم إمكانية الفصل بتغيير الألفاظ، فكلمة (لكن) لها شروط الصدق المنطقية نفسها، المتعلقة بشرط الصدق لحرف العطف (الواو) إلّا أنّها تفيد استلزاماً عرفياً مضافاً إلى تلك الشروط، فمضمونه حصول تناقض بين المعطوفين، ومثلها (النكرة - لكن - لذلك - إذن - أى الكهالية)^(٣).

(١) يُنظر: جاك موشر - آن ريبول، القاموس الموسوعى للتداولية، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب: ص ٢١٣. فاخورى، عادل، محاضرات فى فلسفة اللغة: ص ٤٠.

(٢) يُنظر: فاخورى، عادل، محاضرات فى فلسفة اللغة: ص ٤٢ - ٤٤. الخليفة، هاشم عبد الله، نظرية التلويح الحوارى: ص ٣٦.

(٣) الأنصارى، عبد الله بن هشام، مغنى اللبيب عن كتاب الأعراب: ص ٧٨.

أ- النكرة: هي كل ما دلّ على غير معيّن، خلافاً للمعرفة، وهي أشدُّ تمكّناً من المعرفة^(١)، وهي الأصل في الأسماء^(٢). ومما يقارب هذا المفهوم في خطب المسيرة الحسينية تداولياً خطاب الإمام الحسين عليه السلام ليلة العاشر، فقد روى عن علي بن الحسين عليه السلام، قال: «جمع الحسين عليه السلام أصحابه بعدما رجع عمر بن سعد، وذلك عند قرب المساء، قال علي بن الحسين: فدنوت منه لأسمع - وأنا مريض - فسمعت أبي وهو يقول لأصحابه: أثنى على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء، وأحمده على السراء والضراء، اللهم اني أحمّدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن...، أما بعد، فإني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً...»^(٣).

يستلزم من استعمال النكرة في حيّز النفي دلالتها على الإطلاق والعموم^(٤) لكل من حضر ليلة العاشر من أصحابه عليه السلام، ويمكن أن نستدلّ على عموميتها، وإطلاقها على جميع أصحابه سواء من اصطحبه من بداية المسيرة، أم من لحق به في منتصف الطريق، أم من التحق به في اللحظات الأخيرة، بملاحظة ضميمتين:

الضميمة الأولى: هي كون الإمام عليه السلام يعلم بمن سيلتحق به، وهناك من الأدلة التاريخية ما يثبت أنّ الإمام عليه السلام كانت لديه صحيفة بأسماء أصحابه، ومنها ما حصل مع زهير بن القين^(٥)، أنّ كل أصحابه كانوا على هذا المستوى العالي من الوفاء

(١) يُنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه: ج ١، ص ٢٢.

(٢) يُنظر: المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب: ج ٤، ص ٢٧٦.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣١٧، أبو مخنف الأزدي، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٠٧. ويُنظر: العسكري، مرتضى، معالم المدرستين: ج ٣، ص ٩٠.

(٤) السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن: ج ١، ص ١٩٠.

(٥) (وروى إبراهيم بن سعيد، وكان قد صحب زهيراً حينما مضى إلى الإمام، أنّه عليه السلام قال له - يعني زهير -: إنّه يقتل في كربلاء، وإنّ رأسه الشريف يحمله زجر بن قيس إلى يزيد، يرجو نواله فلا يعطيه شيئاً). يُنظر: المهتدي البحراني، عبد العظيم، من أخلاق الحسين عليه السلام: ص ١٨٨.

الضميمة الثانية: وهي المقصود من اتصف بتلك الأوصاف وتُسمّى عند الأصوليين: التجريد عن الخصوصية أو إلغاء الخصوصية أو تنقيح المناط^{(١)(٢)}، بمعنى أنّ ما ذكر في خطاب الإمام عليه السلام في تلك الليلة هو من باب المثال، وإلاّ فما ذكره الإمام عليه السلام من أوصاف يمكن تعديتها من مورد النص وهو المتلقّي المباشر للخطاب، وهم من صحب الإمام عليه السلام وحضر تلك الليلة، الذي خُصّ بمجموعة من الأوصاف تشمل كل أصحابه، والدليل على إلغاء الخصوصية هو العرف، فمثلاً ورد في الروايات في حال تنجّس الثوب بنجاسة فحكمه الغسل بالماء القليل مرّتين، هذا فيما ذكر للثوب، أما الجورب وهو لا يصدق عليه أنّه ثوب فالعرف يذهب إلى عدم الفرق، وإلاّ فالقصد أن يصيب الشيء^(٣).

ب - لكن: فعل كلامي لغوي مباشر، دلالته الحرفية الاستدراك، له شروط الصدق المنطقية نفسها المتعلقة بشرط الصدق لحرف العطف (الواو) إلاّ أنّها تفيد استلزاماً عرفياً مضافاً إلى تلك الشروط، فمضمونه حصول تناقض بين المعطوفين^(٤)، وتوضح تجلّيات هذا الاستلزام الحواري في بعض الحواريات التي حصلت منذ انطلاق المسيرة الخالدة وبعدها، من قبيل ما دار بين الإمام الحسين عليه السلام

(١) تنقيح المناط: مصطلح أصولي، مركّب من التنقيح وتعني: التنقية والتهذيب والتمييز، يقال: نقّحت الشيء أي: خلّصته من الشوائب، ونقّحت الخنطة أي: خلّصت جيدها من رديتها. ومن المناط وهو: اسم لموضع التعليق، فيقال: ناطه نوطاً، أي: علّقه، ونياط القربة عروتها، وشجرة ذات أنواط أي: ذات أغصان يمكن أن تعلّق عليها الثياب والسيوف بواسطة حبالها. ولهذا يطلق لفظ المناط ويراد منه العلة لتعلّق الحكم بها، وعليه يكون معنى المصطلح: هو تمييز علة الحكم عن سائر الأوصاف والحيثيات المذكورة في الخطاب، وبتمييزها يمكن الاستفادة من العلة لإثبات الحكم لموضوعات أخرى غير الموضوع المخصوص عليه في الخطاب. يُنظر الهامش أعلاه.

(٢) صنفور، محمد، المعجم الأصولي: ص ٤٥٣.

(٣) المصدر نفسه: ص ٤٥٣.

(٤) فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ٤٣.

والوليد عامل بني أمية في المدينة من حوار، حين أقبل الإمام عليه السلام على إنهاء الحوار، وأخبره عن عزمه وإصراره على رفض البيعة ليزيد، قائلاً: «أيها الأمير، إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وننظرون، أينما أحق بالبيعة والخلافة»^(١)، فقد وفر الإمام عليه السلام جواً سياقياً لا يتناغم مع الجو المستفاد من ظاهر الحوار، بخلق توليفة استعمالية يفهم منها ما ينافي الظاهر التركيبي مما يستلزم حصول تنافر أو تناقض بين طرفي الخطاب، وإلا فموقف الإمام عليه السلام واضح من إباء البيعة كما يجلوها الشق الأول من المحاورة الإجرائية، إذ هو واضح من المقابلة بين صفاته وصفات يزيد، إلا أن الإمام عليه السلام قصد إيهام الوليد بـ(لكن) التي تستدعي عرفاً أن المتلقي لم يكن يتوقع الرفض^(٢)، في حين الإمام عليه السلام جاء بـ(لكن) لزيادة الإمعان في رفض البيعة، والتأكيد على إصراره المستفاد من سياق النص الحواري، وهذا الأسلوب قريب جداً مما يعرف في الدرس البلاغي بـ(المدح بما يشبه الذم)، حين يأتي سياق المدح مستثنى بسياق آخر، يوهم السامع بأنه سيفضي إلى الذم في حين أنه يعقبه بمدح جديد، كقول النابغة الذبياني:

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب^(٣).

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتل الطفوف: ص ١٧، ويُنظر: الأمين، محسن، لوايح الأشجان: ص ٢٥، ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ١٤، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٥.

(٢) يُنظر: عباس حسن، النحو الوافي: ج ١، ص ٦٣٢.

(٣) النابغة الذبياني، زياد بن معاوية، ديوان النابغة الذبياني: ص ١٣. يُنظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع: ص ٣٨٣.

ومن الاستلزام العرفي الدلالة على المنزلة الاجتماعية المستعملة ببعض الألفاظ^(١). ومنها ما جاء عن الإمام الحسين عليه السلام في احتجاجه على أهل الكوفة بكرلاء، لما أحاط الناس بالحسين عليه السلام ركب فرسه واستنصت الناس، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «تَبَّاً لَكُمْ أَيُّهَا الْجَمَاعَةُ وَتَرْحاً وَبُؤْساً لَكُمْ، حِينَ اسْتَصْرَخْتُمُونَا وَهَيْنَ، فَأَصْرَخْنَاكُمْ مَوْجِفِينَ، فَشَحَذْتُمْ عَلَيْنَا سَيْفاً كَانَ فِي أَيْدِينَا، وَحَشَشْتُمْ عَلَيْنَا نَاراً اقْتَدَحْنَاهَا عَلَى عَدُوِّكُمْ وَعَدُوَّنَا، فَأَصْبَحْتُمْ إِلْباً عَلَى أَوْلِيَائِكُمْ، وَيَدّاً عَلَى أَعْدَائِكُمْ مِنْ غَيْرِ عَدْلٍ أَفْشَوْهُ فِيكُمْ، وَلَا أَمَلٍ أَصْبَحَ لَكُمْ فِيهِمْ، وَلَا ذَنْبَ كَانَ مِنَّْا إِلَيْكُمْ»^(٢).

هنا استلزام عرفي ترشَّح عن الضمير (نا)، وهو ضمير يفيد الجمع للدلالة على المنزلة الاجتماعية الدالة على علو منزلة المخاطب، وإلا لا يوجد فرق بين لاحقة يا المتكلِّم وبين الضمير (نا)^(٣) لو قال:

استصرختموني	←	استصرختمونا
فأصرختكم	←	أصرخناكم
بيدي	←	بأيدينا
علي	←	علينا

وبين لاحقة الضمير (نا) من حيث المعطى القضوي ما دامت شروط الصدق متوافرة في كلا الاستعمالين، إنَّما الاختلاف بينهما راجع إلى الاستلزام العرفي الراجع للاحقة الضمير (نا) الدال على الجمع، كي يعطي دلالة توكير، واحترام، وتبجيل، لا تظهرها لاحقة (ياء) المتكلِّم الدالة على الأفراد، المستوحاة من الدلالة العرفية

(١) يُنظر: فخور، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ٤٣.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٤.

(٣) يُنظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: ص ١٥٦ - ١٦٠.

الاجتماعية، والإمام عليه السلام في المحاوراة الأنفة لم يخرج عن طبيعة البيئة الاستعمالية للضمائر الدالة على المكانة الاجتماعية التي يتمتع بها في تلك الفترة، ولعل هذا لم يكن واضحاً عند بعض سامعيه، لذا صار يؤدي رسالته لهم بهذا التنوع الأسلوبي في الضمائر؛ كي يوصل بعداً تعريفاً لهم عن مكانته الدينية والاجتماعية.

الاستلزام التخاطبي الخاص

هو الذي يبتني عند غرايس على أربع قواعد وتفرعاتها من الحكم أو المبادئ التي أخذها من كانط، التي هي الكم والكيف والمناسبة والطريقة^(١)، فالقواعد إذًا - كما يرى غرايس - ليست وسائل تأتي عفو الخاطر، بل هي رؤى عقلية لتيسير التبادل التعاوني التواصل^(٢)، ويرى غرايس أن الاستلزام الحوارية يجب أن يكون مما نستطيع التوصل إليه وإقامة الحجة عليه؛ لأنه حتى إن تمكنا من استنتاج الاستلزام وجدانياً أو حدسياً فلا يمكن اعتباره - إن وجد أصلاً - استلزاماً حوارياً، فهو سيكون استلزاماً عاماً وضعياً^(٣).

(١) Jackson, chapter ٨, pp. ١٥٥ - ١٧٥. Oxford University press, New York ١٩٩١.

بول غرايس، المنطق والمحادثة، ترجمة: محمد الشيباني وسيف الدين دغفوس، ضمن إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين (مختارات معربة): ٢ / ٦١٩ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ص ٣١٠ - ٣١٣.
(٢) العزاوي، أبو بكر، نحو مقارنة حجائية للاستعارة، مجلة المناظرة، المغرب، السنة الثانية، العدد ٤٤، شوال ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م: ص ٨١.

(٣) يُنظر: Edited in conditionals H.P GRICE, (Logic and conversation), by Frank Jackson chapter ٨, pp. ١٥٥ - ١٧٥. Oxford University press, New York ١٩٩١.

بول غرايس، المنطق والمحادثة ترجمة محمد الشيباني وسيف الدين دغفوس، ضمن إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين (مختارات معربة): ج ٢، ص ٦٢٥.



الفصل الأول

الاستلزام الحوارى فى ضوء قاعدة الكم

المبحث الأول

احترام قاعدة الكرم في ضوء مبدأ التعاون الإبلاغي

مدخل

بعد أن اهتمّ غرايس في كيفية التفريق بين ما يقوله المتحاوران وبين قصدهما، وبين ما يسمّعه وما يفهمانه من خلال مبدأ سّمّاه بـ(مبدأ التعاون) (*Principle Co -Operative*) بين المتكلّم والمخاطب^(١)، بقي أن يفهم القارئ أنّ مبدأ التعاون هو ذلك المبدأ الذي يلزمك بأن تتقيّد بغايتين^(٢):

الغاية الأولى: هي أن تكون متفاعلاً في الحوار بمقدار ما يطلب منك في أثناء عملية التخاطب في مقام المساهمة أو التفاعل.

الغاية الثانية: أن يكون الدافع والحافز هو غاية الحوار المتبادل، وإلى أين يسير التخاطب؟ فكلّ من طرفي الحوار ملزم بهاتين الغايتين في لحظة معينة.

يتأسّس الاستلزام الحوارية عند (غرايس) على أربع قواعد مع تفرعاتها من الحكم أو المبادئ^(٣). ومن المفيد الإحاطة بتلك القواعد ليتسنى في ضوءها دراسة خطاب المسيرة الحسينية، الذي غايته إيصال المعنى غير الطبيعي، عبر تلك القواعد والمبادئ^(٤):

(١) يُنظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني: ص ٣٤.

(٢) يُنظر: المرجع نفسه: ص ٩٩. ويُنظر: بحث نظرية كرايس والبلاغة العربية، أزييط بنعيسى، مجلة كلية الآداب، مكناس، عدد ١٣، ١٩٩٩ م.

(٣) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ص ٣١٠ - ٣١٣.

(٤) العياشي أدراوي، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني: ص ٩٩ - ١٠٠.

١- قاعدة الكم (*Maxim Of Quantity*): ^(١) وقد عدّها غرايس حداً دلاليّاً فاصلاً بين الزيادة والنقصان عند المتحاورين في مقدار الفائدة المرجوة، ويكون على قسمين:

الأوّل: حصول الفائدة على قدر الحاجة.
الثاني: يجب أن لا تتجاوز الفائدة الحد المطلوب.

قاعدة الكم

لا احترام هذه المقولة أو الحكمة يستلزم من المتكلم تهيئة كمّية من المعلومات المناسبة، وتقديمها للخبر الذي هو بصدده من غير زيادة أو نقصان فيها؛ ذلك لنجاح التواصل، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ مصطلح الكم لا يُقصد به عدد الكلمات، كما قد يتوهم بعض الدارسين، بل المقصود هو وفرة المعلومات التي يقدّمها المتكلم بلا زيادة أو نقصان، بغض النظر عن عدد الكلمات المُعدّة لتحقيق الغرض الإبلاغي في ضوء مبدأ التعاون، وهو القصد، وما يتحقق بـ^(٢):

١- أن نجعل إسهامنا بالقدر المطلوب.

٢- أن لا نقدّم نقصاً في المعلومات.

ومن مصاديق احترام قاعدة الكم:

أولاً: توخي الدقة الموضوعيّة في الحوار

يقدم المتكلم خطابه بوصفه ردّة فعل، أو انعكاساً لظروف ومجريات وأحداث

(١) يُنظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ص ٩٩.

(٢) يُنظر: بول غرايس، المنطق والمحاثّة، ترجمة: محمّد الشيباني وسيف الدين دغفوس، ضمن اطلاعات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين (مختارات معرّبة): ج ٢، ص ٦١٩. وفاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ٤٥.

وعوامل نفسية، تتعاضد على بلورة الحوار وإخراج الكلام^(١)، ومما يقارب هذه القاعدة في خطب المسيرة الحسينية توخي الإمام الحسين عليه السلام في قوله لأخيه محمد بن الحنفية - الذي كان قد نصح الإمام عليه السلام بالعدول عن الذهاب إلى العراق - توظيف التودّد والألفة الخطابيين، فيقع الخطاب الحسيني بشحنه العاطفية موقعاً ارتضائاً من نفوس سامعيه، إذ قال له الإمام عليه السلام: «يا أخي، جزاك الله خيراً، لقد نصحت وأشرت بالصواب، وأنا عازم على الخروج إلى مكة، وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي، أمرهم أمري ورأيهم رأيي، وأما أنت فلا عليك أن تقيم في المدينة، فتكون لي عيناً لا تخفي عني شيئاً من أمورهم»^(٢).

فلقد عمل عليه السلام على بيان معطيات التضامن التخاطبي الإجرائي بالقدر المطلوب، من غير زيادة أو نقصان في توليفته الجوابية على خلق أجواء المحايثة التألفية بينه وبين المستقبل، وذلك بالالتكاء على التوظيف الكمّي والنوعي للإنتاج اللّغوي والالتزام بحكمتي (الكم والكيف) مع توفّر مبدأ التعاون على وفق نظرية غرايس، الذي جاء عليه الخطاب مستفيداً من القبلية التي عليها المستقبل، والتي تُعطي للمنتج لا بُدّة التودّد والتحبّب في إرسال الخطاب. فالتوظيف الكمّي يتجلّى في الاسترسال الخطابي والإطناب في بيان المآل المصيري لهذا الخروج الحسيني، الذي لا يضرّ بحقيقة الإجابة لو جاء الخبر مقتضباً، لكنّ خاصية التحبّب للمستقبل تجعل المنتج يأتي بإجراءات سردية للتدليل على المحايثة التألفية مع متلقّيه، ولعلّ هذه البيانات التطمينية التي تصدرها الخطاب لم تكن مرادةً للمتلقّي،

(١) أوزالد ديكرو، قوانين الخطاب، ترجمة: محمد الشيباني وسيف الدين دغفوس (مختارات معرّبة): ج ٢، ص ٥٦٥.

(٢) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ٢١. الخوارزمي، الموفق بن أحمد المكي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ١، ص ١٨٨.

لكنّها تقع فى جو تضامنى، تجعل المرسل مدفوعاً عاطفياً للاسترسال.

تضمّن توظيف الإمام الحسين عليه السلام الكمّى بيانات عدّة:

١- الشكر على النصّح، وكذلك الدعاء له.

٢- الإصرار على الخروج.

٣- التهيؤ للخروج والإعداد له.

٤- الخروج بصحبة إخوته وشيعته.

٥- ترخيص الإمام لأخيه بعدم الخروج.

٦- الترخيص كان مشروطاً بشرط تضامنى، فقد قال عليه السلام له: «تكون عيني» وفى

هذا إشارة إلى أنّه جزء منه، وهذه المعايير لم تكن قد طُلبت من المستقبل، ولكنّها مقتضيات تضامنية.

أما التوظيف النوعى: فقد تضمّن خطابه عليه السلام عبارات صادقة صادحة وطافحة

بالشحن العاطفى، من قبيل:

- يا أخى

- جزاك الله خيراً

- فتكون عيني

- نصحت، أشرت بالصواب

فهو يصدر خطابه بـ(يا أخى)، وهو صادق^(١) ومعتقدٌ بكلّ تعبير، كي يُعطى

للمتلقيّ المباشر (محمد بن الحنفية) والمتلقيّ غير المباشر أنّ الخطاب منطوٌّ على بعده التودّديّ حسب قاعدة التعفّف، لا سيما أنّ الخطاب وصل مكتوباً للمتلقّين، فيتعيّن

(١) أقصد ليس فيها نسبة للمحابة وللمجاملة، لأنّها عبارات جاءت بكلّ ما تحمّله العبارة من حمولة لمعنى الصدق، ولم أقصد عبارات صادقة فى قبال وجود عبارات كاذبة - استغفر الله - .

التوظيف العاطفى؛ كى يُعبّر عن حالة من التضامن الإجرائى بين المرسل والمستقبل، ولولا عبارات الشحن العاطفى هذه لفسّر الخطاب على تأويلات مغايرة.

ومما يقارب إطاعة القاعدة واحترامها حوارية حصلت بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام سنة ٦١هـ بين أخته زينب عليها السلام وعبيد الله بن مرجانة، بعد أن أدخل عيال الحسين عليه السلام إلى قصر الكوفة، وكانت زينب عليها السلام فى جملتهم متنكرة بأبسط ثيابها، جلست فى إحدى جوانب القصر، وقد حقّت بها إماؤها.

- فقال ابن زياد: من هذه التى انحازت ناحية ومعها إماؤها؟

- فلم تجبه زينب عليها السلام.

- ابن زياد أعاد السؤال ثانية وثالثة.

- فقيل له: هذه زينب عليها السلام بنت علي عليه السلام^(١).

وقبل الولوج فى دراسة الحوارية على وفق المنهج التداولى لتحليل الخطاب، لا بدّ من التعرّف إلى الظروف المحيطة التى اكتنفت الحوار؛ إذ لم تكن متكافئة على أكثر من صعيد:

أ - الصعيد القيمى: جاءت الحوارية متفاوتة - الشخصيات - بين الفضيلة والرذيلة، بين القداسة والرجس، بين ربيبة الوحي عقيلة بني هاشم وبين الدعي ابن الدعي.

ب - الصعيد المادى: كان جيش الخصم متوهماً النصر، فى حين أنّ جيش الحسين عليه السلام هو من كان منتصراً، وإن بدا خلاف ذلك فى الظاهر.

(١) ابن أعثم الكوفى، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ١٢٢. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف فى قتلى الطفوف: ص ٩٤. مع اختلاف فى بعض الألفاظ، مثل: رضى الله عنه وعليه السلام.

ج - الصعيد النفسى: كان ابن مرجانة منتشياً بفرحة النصر، وشامتاً فى قبال الوضع النفسى المأساوى الذى كانت عليه رائدة المسيرة السيدة زينب (عليها السلام)، والذى تمثل بـ:

- فقدانها لثمانية عشر رجلاً من أهل بيتها، وأمامها الرؤوس المحمولة على الرماح، لاسيما رأس الإمام الحسين عليه السلام مضرّجاً بدمه.

- إشرافها على نساء أنهن كهن المصاب، وأطفال عرفوا لتوهم إحساس اليتيم؛ مما يجعلهم أكثر إنكساراً.

- إقتداءها ومن معها مكبلين إلى الكوفة، وقد أخذ منهم التعب مأخذه.
- ترقبهم لأي عاقبة إذا ما نطق أحدهم بكلمة مغايرة لهوى ابن زياد؛ إذ كان سيف الظلم مسلطاً على رقابهم.

أما تتمّة الحوارية فجاءت كالآتي:

- قال ابن زياد: الحمد لله الذى فضحككم، وقتلكم، وأكذب أحدوشتكم.
- فقالت زينب عليها السلام: الحمد لله الذى أكرمنا بنبىّ صلّى الله عليه وآله، وطهرنا من الرّجس تطهيراً، وإنّا يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا^(١). ومن المقابلة بين كلمات طرفى الحوار:

ابن زياد: الحمد لله ← زينب: الحمد لله

ابن زياد: فضحككم ← زينب: يفتضح الكاذب

ابن زياد: قتلكم وأكذب أحدوشتكم ← زينب: يكذب الفاجر وهو غيرنا.
وفى ضوء آليات تحليل الخطاب يلاحظ أنّ هناك استلزاماً حوارياً أنموذجياً، إذ

(١) ابن أعثم الكوفى، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ١٢٢. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف فى قتلى الطفوف: ص ٩٤.

تجلى بالاتساق بين الرسالة والواقع (المقام) وبين المرسل إليه كماً وكيفاً وملاءمة وطريقة^(١)؛ إذ كانت سمة الاتساق بمنزلة المسوغات - لاحترام القواعد - التي توخى المتكلم (السيدة زينب عليها السلام) الرد من خلالها على تجاوزات عبيد الله وادعاءاته الباطلة، وذلك بالمقدار اللازم الذي يفرضه الواجب والتكليف الشرعي. إذ تمتلك السيدة زينب عليها السلام دليلاً على صحة (الكيف) ردودها في رد ودفع الشبهات التي حاول عبيد الله - متعمداً - إيصالها لمن حوله، علاوة على أن تلك المعلومات (الرسالة أو القول) قد جاءت متسقة مع المقام متوافقة مع مبدأ الملاءمة. وعليه استلزم احترام المتكلم لهذه القواعد والتزامه بها، إبطال كلام المخاطب (عبيد الله بن زياد) وردّ تهكمه^(٢).

ويمكن استنتاج أكثر من قصد في ظل هذه الظروف وعبر إحدى آليات التداول التخاطبي المتمثلة بمبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه كإطاعة قاعدة (الكم، والكيف والمناسبة):

أ - قصد الخصم (عبيد الله بن زياد) من حوارهِ مع السيدة زينب عليها السلام :

أ / ١ - إظهار شهادته بوضوح من خلال خطابه.

أ / ٢ - إظهار قوّته والتبجح بالنصر أمام امرأة منكسرة، بحسب الظرف الطبيعي الذي تكون عليه الناس عامّة، فضلاً عن المرأة التي فقدت كل أهل بيتها.

أ / ٣ - إظهار البعد العقدي المغلوط الذي كان يركّز عليه بنو أمية، وهو (الجبر)؛ أي أنّنا قتلنا أهل بيتك بأمر من الله، وما قمنا به ما هو إلا عمل بأمر الله.

(١) يُنظر: أزيبط، بن عيسى عسو، الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري (من التجريد إلى التوليد) توليد المعاني المضمرّة وفق أنحائها الملائمة: ج ٣، ص ١١٦.

(٢) سيتضح ذلك في الشطر الثاني من المحاورّة الذي سيبينه الباحث في خرق قاعدة المناسبة في الفصل الثالث - إن شاء الله - .

أ/ ٤- إيهام المجتمع بأن هؤلاء قد خرجوا على إمام زمانهم، ففضحهم الله على يده بالهزيمة والقتل والسبي.

أ/ ٥- التركيز على تكذيب دعوى النبي ﷺ وهذا مرتكز فى عقلية بني أمية، فأبو سفيان كان يقول - حين انتهت إليهم الخلافة -: «يا بني أمية، تلقفوها تلقف الكرة، والذي يحلف به أبو سفيان، ما من جنة ولا نار»^(١) وأكد هذا المعنى يزيد حين تمثّل قائلاً: فلا خبر جاء ولا وحي نزل.

أ/ ٦- أراد ابن زياد نفس المعتقد من أساسه، فتوجّه إلى أس القضية والموضوع من خلال إضفاء الشرعية على حكومة يزيد.

أ/ ٧- حاول إيهام الناس والمجتمع الكوفي بأنه مؤمن بالله ورسوله، فابتدأ بالحمد والثناء، وحاول الظهور بمظهر الدين والتقوى. حيث يمكن التفريق بين معنيين لمفاد كلامه هذا.

المعنى القضوي: وهو الحمد والثناء لله تعالى والصلاة على النبي، الذي تضمّنه معنى المحتوى القضوي.

المعنى المستلزم: وهو إضفاء المشروعية على فعله الإجرامي. حيث أبطل هذا القصد المستلزم من خلال ردّ السيدة زينب عليها السلام، الذي انطوى على مضامين حجاجية عالية، أفهمت المتلقّي حقيقة ما تقوم به السلطة الحاكمة وبشاعته، من تغيير لشريعة الله وسنة جدّها، وكذلك هتك للحرّمات من قتل للنفس المحترمة، وغصب أموال المسلمين، والتحكّم بمقدّراتهم.

ب - المقاصد التي أرادت السيدة زينب عليها السلام إيصالها للمتلقّي من خلال كلماتها تُبيّن

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ١، هامش ٣٤١. يُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٣١، ص ٩٧.

العكس، إذ ردت ادعاءه ردّاً منطقياً حجاجياً، جعلته يستشيط غضباً، فبعد أن حمدت الله وأثنت عليه (جلّ شأنه)، الذي منّ على آل بيت نبيّه محمد ﷺ؛ تراءت حجّتها الظاهرة التي لا ينكرها عاقل، ثمّ ساقّت كلامها في حجة موجهة، ودليل آخر يستوجب عليها الشناء والشكر لله، فبدت حجّتها أقوى من الحجّة الظاهرة بدرجات؛ حيث يمكن رصد ذلك من خلال:

ب/ ١- اعتبارها لمقام المدّعي، قصداً وفعلاً^(١)، والتركيز على أنّ بيت فاطمة مطهر من الرجس، في قبال بعض البيوت، وهذا ما أكّده سياق الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢)، فإنّه سياق واحد متصل، لوّحت من خلاله بتذكيره بقوله تعالى، ورده بالحجة.

ب/ ٢- أثبتت الأساس، وهو أنّ النبي ﷺ جدّهم، ومن ثمّ فضحت ابن مرجانه ومن ولّاه، عبر بيان حقيقة كفرهم وعدم إيمانهم برسالة جدّها ﷺ وأهل بيته الطاهرين ﷺ، بل هم على سيرة معاوية والبيت الأموي.

ب/ ٣- بيّنت له وللحاضرين بقولها «إنّما بدّين جدّي اهتديت أنت ومن ولاك وأبوه»، أنّ سبب اهتدائك إلى الإسلام هو رسالة جدّي التي لولاها لبقيتم في كفركم وضلالكم.

ب/ ٤ - رفعت ﷺ الغطاء عن قصدها أكثر وعبر آليات الحوار التخاطبية، التي اهتمّت بالجانب التبليغي المساوق لمبدأ التهذيب^(٣) أو مبدأ التأدّب كما أسمته روبن

(١) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ص ٢٢٨.

(٢) الأحزاب: آية ٣٣.

(٣) «ولما كان غرايس بمبدئه التعاوني قد جمد على النظر في الجانب التبليغي من التخاطب، فقد لزمنا مبدأ يجمع إلى عنصر التبليغ عنصر التهذيب» طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ص ٢٤٠.

لاكوف في مقالاتها الشهيرة: (منطق التأدب)^(١)؛ لأنَّ «الخطاب نظام أو بنية تفاعلية، تنبني على نوعين من المبادئ: نوع تبليغي، وآخر تهذيبي، وأنَّ هذه المبادئ تتفاضل فيما بينها تبعاً للغاية والوظيفة المتوخاة من الخطاب»^(٢)، فاستطاعت عليها السلام أن تُفهم الخصم عبر تسلطها على ناصية اللغة باستعمال بعض الأساليب التي جانبت معناها الحقيقي، من قبيل:

- أسلوب القصر بـ(إنّما) وهو (تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص)^(٣) فمن المعلوم أنَّ للقصر أحوالاً تختلف بحسب أحوال من يُوجّه له الكلام، فهي أربعة أقسام عند البلاغيين، فقد يُوجّه لمن يراد إعلامه بمضمونه وهو خالي الذهن، أو يراد رفع شكّه وتردّده، أو تصحيح تصوّره الذي هو مخطئ فيه بحسب اعتقاد موجّه الكلام^(٤)، كما هي عليه حال السيدة عليها السلام بقولها: «وإنّما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا، يا عدوّ الله» فقصرت عليها السلام كل موصوف بالفاسق على الافتضاح، والفُسق: الخروج عن الأمر، و(ففسقَ عن أمر ربّه) أي: خرج^(٥). ومن هنا استلزم استعمال أسلوب القصر بمعونة السياق والقرائن الحالية قصد التعريض بعبيد الله بن زياد، وبكل من خرج على سنّة أبيها وجدّها عليهما السلام. ويستلزم مما تقدّم الآتي:

١- أشارت عليها السلام إليه بالفسق، فكل من خرج عن سيرة النبي صلّى الله عليه وآله، وقتل أهل بيته

(١) المصدر نفسه، ص ٢٢٨

(٢) العياشي أدرائي، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني: ص ١٢٣.

(٣) علي الجارم - مصطفى أمين، البلاغة الواضحة: ص ٢١٧.

(٤) يُنظر: الميداني، عبد الرحمن جنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ص ٥٢٧.

(٥) يُنظر: ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٠ - مادّة فسق. والطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢٢٧ - ٢٢٨، مادّة فسق.

فهو فاسق، فالفعل غير المباشر (يُفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر) استلزم منه التعريض بآبن مرجانة، فهي كانت تقصده، مع أنّها لم تصرّح بذكر اسمه، أو بإلحاق ضمير يحاكي شخصه، وإنّما قالت (هو غيرنا) ولو أشارت إليه لخرج يزيد عن كونه فاجراً فاسقاً، ولكنّها استعملت الضمير (هو) للغائب؛ ليشمل كل من كان خارج دائرة أهل البيت وأصحابهم عليهم السلام، ليدخل في ذلك كل من خالف الكتاب والسنة، سواء أكان المتلقّي للخطاب حاضراً أم غائباً، والسياق هو الآخر كان يشير إلى أنّ المقصود من كلامها عليها السلام هو آبن مرجانة وأسياده.

٢- قصدت إعلام عبيدالله بن زياد ومن حضر مجلسه بخطأ تصوّره نسبة المقصور إلى غير المقصور عليه، ويسمّيه البلاغيّون (قصر القلب)^(١).

ثانياً: الالتزام بوحدة الموضوع وكميّته

١- ومما يقارب هذا الفرع - احترام قاعدة الكم التي تنصّ على المتحاورين، وتحتمّ عليهما أن لا تكون مشاركتها أكثر من المطلوب -، جواب الإمام الحسين عليه السلام لرجل من جيش عمر بن سعد، بعد أن قال له: «ألا ترى إلى الفرات يا حسين، كأنّه بطون الحيات، والله لا تذوقه أو تموت عطشاً. فقال الحسين عليه السلام: اللهم أمته عطشاً. قال: والله، لقد كان هذا الرجل يقول، أسقوني ماء فيؤتي بءاء فيشرب حتى يخرج من فيه، وهو يقول: اسقوني قتلني العطش، فلم يزل حتى مات»^(٢).

(١) الميداني، عبد الرحمن حسن جنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، صور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد: ج١، ص ٥٢٨.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين: ص ٧٨. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٥١.

٢- وكذلك جواب الإمام عليه السلام على قول رجل منهم يقال^(١) له ابن حوزة، حين قال: «أفيكم الحسين، فلم يجبه أحد، فقالها ثلاثاً، فقالوا: نعم، فما حاجتك؟ قال: يا حسين، أبشر بالنار، قال عليه السلام له: كذبت، بل أقدم على ربِّ رحيم وشفيع مطاع، فمن أنت؟ قال: ابن حوزة، فرفع الحسين عليه السلام يديه، فقال: اللهم حزه إلى النار، فغضب ابن حوزة، فأقحم فرسه في نهر، فتعلقت قدمه بالركاب وجالت به الفرس، فسقط عنها، فانقطعت فخده وساقه وقدمه، وبقي جنبه الآخر متعلقاً بالركاب يضرب به كل حجر وشجر حتى مات»^(٢).

وما يلاحظ فى الحوارين هو إعلام الإمام عليه السلام لكلا الرجلين بمآلهما بلا ذكر للمقدمات، حيث قال للأول: لا تذوق الماء حتى تموت عطشا. وللثاني: أبشر بالنار تردها الساعة. ولو تمعنت فى جواب الإمام عليه السلام لوجدت أنّ مشاركة الإمام من حيث المعلومات لم تزد عن مشاركة الطرف الآخر فى الحوار، فتراه فى جوابها قفز إلى النتيجة بلا ذكر مقدماتها، من أنّه إمام مفترض الطاعة، وابن بنت رسول الله ﷺ، وأنّ جميع أفعاله وأقواله تصبّ فى طاعة الله ومرضاته، أي: أنّه التزم بكميّة الموضوع ووحدة^(٣)، إذ يمكن أن ينتج القصد المستلزم الصريح بناءً على المبادئ الحوارية الأساسية وقوانينها الفرعية التي تستلزم مطابقة المعنى للصيغة الاستلزامية^(٤) وبيان المعاني الصريحة والمقاصد المستلزمة على وفق الآتي:

(١) وهذا الرجل قيل: هو محمد بن الأشعث، وقيل: هو الشمر. يُنظر: الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص ١٥١، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٣١.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي كرم، الكامل فى التاريخ: ج ٤، ص ٦٦. الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٠٤.

(٣) يُنظر: كلام الإمام الحسين مقارنة تداولية: ص ٤٦.

(٤) أزايدى، بنعيسى عسو، الخطاب اللساني فى هندسة التواصل الإضماري: ج ٣، ص ١١٤.

المعنى القضوي: الذي أفادته الدلالة الحرفية لعناصر التركيب، وأريد منه الدعاء على الإمام بالويل والثبور.

القصد المستلزم: في الخطاب الأول استلزم من قوله الرجل الإصرار على الجعجعة بالحسين عليه السلام - كما أمروا - حتى القتل، أما في الخطاب الثاني فقوله الرجل مضافاً للاستلزام الأول يُستلزم منها جرأتهم على الله وعلى رسوله التي دفعت بهم إلى مخاطبة أوليائه بهذا الخطاب الذي كان ملؤه التحدي والتّهم الذي أفادته عبارة (أبشر بالنار)^(١) كما في قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾^(٢).

وقد جاء جواب الإمام عليه السلام في كلا الحواريتين على معنيين أيضاً:
الأول: المعنى القضوي، هو الدلالة الحرفية المعجمية للألفاظ التي جاءت لغرض الدعاء.

الثاني: القصد المستلزم، الذي جاء على أكثر من مستوى:
أ - أنجز الإمام عليه السلام في الحوارية الأولى عبر استعماله للفعل اللّغوي المباشر الذي دلّت عليه صيغة النداء (اللهم)، وصيغة فعل الأمر (افعل) فعلاً لغوياً غير مباشر، استلزم منه رغبة الإمام عليه السلام في تحقيق معجزة أمام القوم، علّهم يهتدون، وكذلك بيان صدق الدعوة الحسينية بسرعة استجابة الدعاء. وفي الحوارية الثانية استلزم إبطالاً لادعاء الرجل، إذ أفادت القوّة الإنجازية الحرفية في إطلاق لفظة (بل)، التي تفيد الإضراب «فإن وقع بعده جملة كان إضراباً عمّا قبلها، إمّا على جهة الإبطال، نحو: (أم يقولون به جنّة بل جاءهم الحق)»^(٣)؛ بطلان مدّعاها.

(١) وهنا خرق المتكلم قاعدة الكيف بتقديم أخبار لا صحّة لها، ولا يملك دليلاً عليها، وهذا ما سيّضح في الفصل الثاني من الرسالة.

(٢) الدخان: آية ٤٩.

(٣) المرادي، بدر الدين حسن بن قاسم، الجنى الداني: ص ٢٣٥.

ب - الوضع النفسي، الذي تمثل بيقين وثقة الإمام الحسين عليه السلام بالله وبنفسه، ما جعله يسلم تسليمًا مطلقاً لله، وهو ما عليه (التطابق بين مجريات المقام والحالة النفسية الواقعية)^(١) فلجأ في كلا الحوارين إلى الله^(٢)، وهو ما سيتضح في الوضع المنطقي الآتي:

ج - الوضع المنطقي؛ الذي يقضي بأن كل ما تكلم به الإمام عليه السلام على وفق مجريات الأحداث جاء متوافقاً بين ما قاله عليه السلام وبين ما تحقق بالفعل، وهذا هو المقام المنطقي الذي يعني «التطابق بين القول اللغوي وما هو واقع بالفعل»^(٣)، فجاءت الدلالة المعجمية الحرفية للملفوظات التي أطلقها الإمام عليه السلام مطابقة وموافقة لمقاصده، إذ تجسّد كلامه على سبيل الحقيقة لا المجاز، فقد تحقق دعاء الإمام عليه السلام، إذ ورد بحق الرجل - محاوره الأوّل الذي قال: والله، لا تذوقه أو تموت عطشاً - أنه مات عطشاً «والله، لقد كان يقول اسقوني ماء، فيؤتى بهاء، فيشرب حتى يخرج من فيه، وهو يقول: اسقوني قتلني العطش، فلم يزل حتى مات»^(٤). أما في خطابه مع الرجل الآخر، فقد ترجم خطاب الإمام ما يؤمن به عليه السلام ويعتقده؛ إذ من غير المنطقي، أن يقوم مصلح مثل الإمام عليه السلام، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويكون مصداقاً وترجماناً ومنفذاً لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٥)، ومع ذلك لا يكون راجياً لرحمة ربه؛ لذا اتّصفت

(١) أزييط، بنعيسى عسو، الخطاب الساني العربي، هندسة التواصل الإصماري: ج ٣، ص ١١٦.

(٢) بل في كل حوارياته ومواقفه.

(٣) أزييط، بنعيسى عسو، الخطاب اللساني العربي، هندسة التواصل الإصماري: ج ٣، ص ١١٦.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، مقتل الطالبيين: ص ٧٨، المجلسي، محمد باقر، بحار

الأنوار: ج ٤٥، ص ٥١.

(٥) آل عمران: آية ١١٠.

الحوارية بالاتساق بين قول المرسل وبين الواقع، وبين الذي قيل له كماً وكيفاً وملاءمةً وطريقةً^(١)، حيث جاءت كمية الأخبار المطلوبة دون زيادة أو نقصان، وكانت متوافقة مع المقام حقيقةً يعتقد المتكلم بصحتها، مضافاً إلى امتلاكه الدليل على صحتها وصدقها، وبذلك مثلت المناسبة (الملاءمة) وكل تلك التوافقات التي احترمت القواعد مجتمعة، فاستلزمت تنفيذ دعوى المخاطب - الذي أراد التهكم - وإبطالها.

ثالثاً: احترام الكم في ضوء وحدة الموضوع، ودقة المعلومات

١- حوارية مسلم بن عقيل وابن زياد^(٢)

- عبيد الله: إيه يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة؛ لتشتتهم وتفرّق كلمتهم، وتحمل بعضهم على بعض؟
- مسلم بن عقيل عليه السلام: كلاً، لست أتيت، ولكنّ أهل مصر (تعريض بعبيد الله) زعموا أنّ أباك قتل خيارهم، وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل، وندعو إلى حكم الكتاب.
يتجلى في هذه الحوارية التزام مسلم عليه السلام باحترام الوحدة الموضوعية بشكل واضح، والتقيّد بمقدار المعلومات ودقّتها، ما أفضى بشكل جيّد وبمعاونة السياق المقامي والمناسبة إلى خروج كلامه من ظاهر الإخبار - بعد أن أدرك قصد ابن زياد الذي ظهر في اتهام مسلم بن عقيل بشقّ عصا المسلمين، وفتنتهم بقوله «وحمل بعضهم على بعض» وفي هذا مجوّز لإقامة الحدّ أو قتله - واستلزامه المقاصد من

(١) يُنظر: أزيبط، بنعيسى عسو، الخطاب اللساني العربي، هندسة التواصل الإضماري: ج ٣، ص ١١٦.

(٢) يُنظر: الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٤٠٢.

خلال المقابلة بين المعنيين:

١- المعنى الحرفى القائم بدلالة الفعل القضوى، وبالدلالة الحرفية للتركيب التى أدت معنى الإخبار.

٢- القصد المستلزم وهو كالتى:

أ- الأمر بالعدل والإنصاف بين الناس، والعمل بمقتضيات حكم القرآن.

ب - التعريض بسياسة حكم ابن زياد وأسياده، ما دفع ابن زياد إلى الخروج عن آداب الحوار، متوسلاً بالمزاعم والأكاذيب بغير دليل أو بيّنة، وهو الفشل الحوارى الذى يُمنى به منقوص الحجّة، ليوارى هزيمته أمام الآخرين بقوله: «وما أنت وذاك يا فاسق، أو لم نعمل فيهم، إذ أنت بالمدينة...».

ج - ردّ لكلّ ما جاء فى كلام الخصم من اتهامات وافتراء، حيث جاء الردّ مشحوناً بالردع والزجر بدلالة الفعل اللّغوى "كلّا"^(١) الذى ناسب المقام وطبيعة الاتهامات.

ومما يمكن ملاحظته على المحاورّة أنّ الكلمات والعبارات فى كلام مسلم بن عقيل عليه السلام وردّ ابن مرجانة، موجزة ودالّة على غرض كل منهما ومقصده من المحاورّة، كما تبين. ومن هنا تقرّر أنّ الحوار فى خطاب المسيرة فى أغلب المواقف - كما هى الحال فى هذا الحوار - قد اتّسم بالإيجاز، فهو فى النصوص الحوارية من الضرورة بحال كى لا تنسى كثرة الكلام بعضه، بخلاف النصّ السردى قد يمتدّ متتابعاً لبضع صفحات، وهذا راجع إلى طبيعة المتحاورين وقدرتهم على استيعاب الأفكار، فضلاً عن حاكمية المناسبة، فالمحاور يطرح فكرة، ويتنظر الردّ عليها^(٢).

(١) يُنظر: الأنصارى، عبد الله بن هشام، مغنى اللبيب عن كتاب الأعراب: ج ١، ص ١٨٨.

(٢) يُنظر: السيّد خضر، أبحاث فى النحو والدلالة: ص ١٥٢.

نعم قد تفارق هذه السّمة النصّ السردّي في بعض المقامات، وسياق الحال التي تتطلّب الإطناب في بيان بعض الحقائق المهمّة أو إثباتها، كالمسائل الاعتقادية لبعض أصول الدين مثل التوحيد والنبوّة والإمامة، وبعض المقامات التي تخصّ الأدعية^(١).

٢- حوارية الإمام الحسين عليه السلام مع الحصين

«يا أمة السوء، بئسما خلفتم محمداً في عترته، أما إنكم لن تقتلوا بعدي عبداً من عباد الله فتهابوا قتله، بل يهون عليكم عند قتلكم إياي، وأيم الله إني لأرجو أن يكرمني ربي بالشهادة بهوانكم، ثمّ ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون»^(٢).

- الحصين بن مالك: صاح به الحصين بن مالك السكوني، قائلاً: يا ابن فاطمة، وبماذا ينتقم لك منّا؟

- الإمام عليه السلام قال: «يلقى بأسكم بينكم، ويسفك دماءكم، ثمّ يصبّ عليكم العذاب الأليم»^(٣).

اكتفى الإمام عليه السلام في جواب الحصين بالنتيجة النهائية، ولم يجعل مساهمته في الحوار تفوق ما هو مطلوب من تقديم الأخبار، وبذلك راعى مضمون السؤال وفحواه؛ إذ ينتج «المعنى المستلزم بناء على المبادئ الحوارية الأساسية وقوانينها الفرعية، التي تستلزم مطابقة المعنى للصيغة اللغوية المستلزمة»^(٤) ويمكن أن تستجلي

(١) وهذا ما سيكتشفه القارئ في الفصل الرابع من الرسالة الذي سيتناول قاعدة الطريقة.
(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٥٢. البحراني، عبد الله، العوالم (الإمام الإمام الحسين عليه السلام): ص ٢٩٥.
(٣) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٥٢. البحراني، عبد الله، العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٢٩٥.
(٤) أزايط، بنعيسى عسو، الخطاب اللساني العربي، هندسة التواصل الإضماري: ج ٣، ص ١١٤.

مقاصد الإمام عليه السلام على النحو الآتى:

١- الجرأة على قتل الحسين مع ما يتمتع به من المكانة المعنوية، ستفضى - كما أشار الإمام الحسين عليه السلام - إلى إباحة الدماء، خاصة أن كل مقتول منهم بعد الإمام سيكون دون منزلة الإمام الحسين عليه السلام ودمائه.

٢- وكنتيجة لقتله عليه السلام سينالهم الخسران الدنيوي والأخروي، وهذا غاية التمحلل فى الخسران.

لم يكتف القوم بدعاء الإمام عليه السلام، وراح الحصين بن مالك^(١) يتهكّم على الحسين عليه السلام، بقوله: وبماذا ينتقم لك منّا؟ وهنا كلام الحصين خرج إلى معنيين: أ: المعنى القضوي (الصريح)، وهو ما تؤدّيه عناصر الجملة مجتمعة من معانٍ معجمية، وهو الاستخبار.

ب: القصد المستلزم من كلام الحصين، وهو أننا مصرّون على قتلك، وسفك دمك، فبماذا ينتقم لك منّا؟!، وهنا الاستفهام استلزم التّهكّم، أمّا فحوى جواب الإمام عليه السلام، هو أن هؤلاء القوم ختم الله على قلوبهم، بعدما قصرت أبصارهم عن إدراك ما وراء النشأة المادية الدنيوية، فنسوا أن الآخرة هي الحياة الباقية، وأنّ الشهيد على الانتقام العاجل غير الآجل الذي سينزل بهم هو الإمام عليه السلام نفسه، ناهيك عن الخزي والعذاب الأليم فى الحياة السرمدية.

أما كلام الإمام عليه السلام فيمكن أن يتوصّل إلى مقاصده بالآتى:

أ: المعنى القضوي (الصريح)، وهو ما يؤدّيه الفعل اللّغوي المباشر، والمتمثّل فى الدلالة الحرفية للتركيب، وهي:

(١) يُنظر: المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٥٢.

١- الإخبار عما سيؤول إليه مصيرهم.

٢- الإكرام من الله بطلب الشهادة.

٣- الطلب من الله بالانتقام له منهم من حيث لا يشعرون.

ب: القصد المستلزم: الإمام عليه السلام أنجز فعلاً لغوياً غير مباشر، نتج من الفعل اللغوي المباشر بمعونة السياق المقامي ومبدأ التعاون الذي عليه طرفا الحوار؛ إذ يُفترض بالملتقي أن يسعى في التفتيش لفهم مقاصد المتكلم، وهذا الفعل غير المباشر اقتضى الدعاء عليهم، وقد تضمن الدعاء أمرين: الأول كان يخص الإمام عليه السلام، والثاني يخص أمة السوء، فأما ما يخص الإمام عليه السلام: فهو إكرام الله له بالشهادة، ومعنى هذا أن الإمام اختارها، ولم تُفرض عليه فرضاً^(١)، والذي يقوي هذا الرأي قوله عليه السلام: «وخير لي مصرعٌ أنا لاقيه» فهو بناءً على هذا مختار للشهادة وطالب لها. وأما ما يخص أهل الكوفة، فقد اشتمل على نقطتين:

الأولى تضمنت دعوتين، توخى الإمام عليه السلام حصولهما في الدنيا، وهما:

أ- أن يلقي بأسهم بينهم، ومن شأن هذا أن يضعفهم ويكسر شوكتهم، ولعلّ هذا كان سبباً في الدعوة الثانية.

ب - سفك دمائهم على يد المختار الثقفي، وهو أمر مكنه من أن يظفر بالنصر عليهم.

أما الثانية فهي بمنزلة الدعوة عليهم بالخزي والعذاب الأليم، من خلال صبّ العذاب عليهم صباً، وهو ما سيتحقق حتماً في الآخرة.

(١) سيّضح تفصيل ذلك في الفصل الثاني إن شاء الله.

٢- حوارية الإمام الحسين عليه السلام مع قاتليه

«يا إلهي، صبراً على قضائك، ولا معبود سواك، يا غياث المستغيثين»^(١)، فتبادر إليه أربعون فارساً يريدون حَزَّ رأسه الشريف، ويقول عمر بن سعد: «ويلكم، عَجَلوا بقتله، فدنا منه شُبث بن ربعي، فرمقه الحسين عليه السلام بعينه، فرمى السيف من يده وولَّى هارباً، ويقول: معاذ الله أن ألقى الله بدمك يا حسين، فأقبل إلى شُبث سنان بن أنس النخعي، وكان كوسج اللحية، قصيراً أبرص أشبه الخلق بالشمر اللعين، فقال له: لم ما قتلتك؟^(٢) ثكلتك أمك؟ قال شُبث: يا سنان، إنَّه قد فتح عينيه في وجهي، فشبهتهما بعيني رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم دنا منه سنان، ففتح عينيه في وجهه، فارتعدت يده وسقط السيف منها، وولَّى هارباً، فأقبل إلى سنان الشمر اللعين، وقال له: ثكلتك أمك، مالك رجعت عن قتله؟ فقال: يا شمر، إنَّه فتح عينيه في وجهي، فذكرت هبة أبيه علي بن أبي طالب، ففزعت، فلم أقدر على قتله، فقال له الشمر: إنَّك جبان في الحرب، فوالله، ما كان أحد غيري أحقَّ مني بقتل الحسين»^(٣).

في هذا الخطاب الذي يمكن أن يُعدَّ أنموذجاً لحوارية حصلت في سياق واحد، وأنتجت استلزامين حواريين، أحدهما قائم على احترام قاعدة الكمِّ بواسطة التزام المتكلِّم بالمقدار اللازم من المعلومات بلا زيادة أو نقصان، والثاني قائم على خرق القاعدة^(٤).

(١) القيومي، جواد، صحيفة الحسين عليه السلام (جمع): ص ١٠٠. الريشهري، محمد، أهل البيت عليهم السلام في الكتاب والسنة: ص ٢٩٠. القندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى: ج ٣، ص ٨٢.

(٢) هكذا وردت والصحيح لم يُقتله.

(٣) يُنظر: القيومي، جواد، صحيفة الحسين (جمع): ص ١٠٠. الريشهري، محمد، أهل البيت عليهم السلام في الكتاب والسنة: ص ٢٩٠. القندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى: ج ٣، ص ٨٢.

(٤) سيأتي ذكره في المبحث الثاني.

وتتجلى أهمية استنطاق المنهج التداولي لخطاب المسيرة الحسينية في التعرف على ظروف تلك الفاجعة الأليمة في يوم العاشر من شهر محرم الحرام. ذلك اليوم الذي بقي فيه الحسين بن علي عليه السلام يجود بنفسه ثلاث ساعات تحت حرارة الشمس، من كثرة ما أصابه من جراحات في جسده الشريف^(١)، وقد أحاط به على رمضاء كربلاء أربعون فارساً مدججاً بالسلاح، حينها بدأ الحسين عليه السلام حواريته مع ربه قائلاً:

— الحسين عليه السلام: «يا إلهي، صبراً على قضائك، ولا معبود سواك، يا غياث المستغيثين»^(٢).

— عمر بن سعد: ويلكم، عجلوا بقتله^(٣).

— شبت بن ربعي دنا من الحسين عليه السلام يريد قتله.

— الحسين عليه السلام رmqه بعينه.

(١) فقد ورد عن صاحب المناقب والسيد ابن طاووس: حتّى أصابته اثنتان وسبعون جراحة، وقال ابن شهر آشوب: قال أبو مخنف: عن جعفر بن محمد بن علي عليه السلام، قال: وجدنا بالحسين ثلاثاً وثلاثين طعنة وأربعاً وثلاثين ضربة، وقال الباقر عليه السلام: أصيب الحسين عليه السلام، ووجد به ثلاثمائة وبضعة وعشرون طعنة برمح، وضربة بسيف، أو رمية بسهم، وروي: ثلاثمائة وستون جراحة، وقيل: ثلاث وثلاثون ضربة سوى السهام، وقيل: ألف وتسعمائة جراحة، وكانت السهام في درعه كالشوك في جلد القنفذ، وروي أنّها كانت كلّها في مقدّمه عليه السلام. يُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف: ص ٧١، والصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ج ١، ص ٢٢٨، وابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ١١٤ و ص ٢٥٨.

(٢) القيومي، جواد، صحيفة الحسين عليه السلام (جمع): ص ١٠٠. الريشهري، محمد، أهل البيت عليهم السلام في الكتاب والسنة: ص ٢٩٠. ويُنظر: القندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم، ينباع المودة لذوي القربى: ج ٣، ص ٨٢.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه. وفي بعض الروايات: (أريحوا الرجل). يُنظر: الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٢٢٦، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٢، البحراني، عبد الله، العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ١٧١.

- شبت رمى السيف من يده، وقال: معاذ الله أن ألقى الله بدمك يا حسين.
 - سنان بن أنس النخعي: لم لم تقتله، ثكلتك أمك؟
 - شبت: يا سنان، إنه قد فتح عينيه، فشبهتهما بعيني رسول الله ﷺ.
 - سنان دنا من الحسين ﷺ يريد قتله.
 - الحسين ﷺ فتح عينيه يريد معرفة قاتله.
 - سنان ارتعدت يده، وسقط السيف، وولى هارباً.
 - الشمر: ثكلتك أمك، مالك رجعت عن قتله؟
 - سنان: فتح عينيه، فتذكرت هيئة أبيه علي بن أبي طالب، ففزعت.
 - الشمر: إنك جبان في الحرب.
- الإمام الحسين ﷺ كان يناجي ربه في خطابه المقتضب العالى المضامين، وفي ظلّ الظرف والسياق الحالى الذى تهباً للإمام، والذى أفضى إلى مراعات مقدار المعلومات اللازمة للحوار، فى ضوء قاعدة الكمّ ومراعاة المقام.
- أما المسوّغات التى جعلت الإمام ﷺ يتوخّى الالتزام فى مقدار الكمّ، فهى:
- ١- الوضع النفسى الذى هو عليه بسبب كثرة الجراحات، فضلاً عن العطش.
 - ٢- قتل كل أصحابه وأهل بيته، مما يعنى أنه بقى وحيداً فريداً مع كثرة الأعداء.
 - ٣- قطع رجائه من كل أحد سوى الله.
 - ٤- قلة الناصر.
- كل هذه المسوّغات مجتمعة - التى وفرها السياق - كانت سبباً فى هذا الكمّ من حيث دقة المعلومات الواردة فيه ومقدارها، والتى استلزمت بطبيعة الحال مقصدية الدعاء، والتى تركّزت بثلاثة طلبات:
- أولاً: التوجّه إلى الله عن طريق الفعل اللغوى المباشر بالاستعانة وطلب الصبر الذى دلّت عليه القرينة، وهو المصدر النائب عن فعل الأمر، ومعناه القضى فى

دلالتة الحرفية الذى خرج إلى طلب الصبر، ولما كان الأمر من الدانى إلى العالى، استلزم ذلك فعلاً لغوياً غير مباشر، تمثّل فى مقصدية الدعاء.

ثانياً: نفى العبودية لغير الله تعالى، وهنا الجملة الخبرية التى تشكّلت بالفعل اللغوى المباشر، الذى دلّت عليه القرينة (لا النافية للجنس واسمها) الذى دلّ على قوة إنجازية مباشرة وهى الإخبار، وأنجز فعلاً لغوياً غير مباشر، استلزم منه التنزيه لله الواحد الأحد، من قبل الإمام عليه السلام.

ثالثاً: الاستغاثة بالله من هؤلاء القوم، لأنّه ليس للإمام عليه السلام سوى الدعاء والاستغاثة بمعبوده، وعلمه بحاله يغني عن الإلحاح وكثرة الضراعة له جلّ شأنه، وهنا الإمام عليه السلام لم يطلب النصر، بل ركّز على الأشياء الممكنة التى يمكن أن تتحقّق، وأمّا غيرها فلم يطلبها؛ لأنّ طلبها يكون لغواً، وحاشاه.

الجزء الثانى من الحوارية لا يعنى البحث فيه قصد الخصم بقدر ما يعنى مقاصد الإمام عليه السلام الأخر، وقد يُعتمد على دور حركات الجسم فى المواقف الحوارية، ففى هذا الجزء تبين أنّ الإمام عليه السلام اكتفى بحركة واحدة قد أنجزت فعلاً لغوياً غير مباشر، ومن ثمّ قوة إنجازية جعلت الخصم أو العدو - وهما كلّ من شبت وسان - يفزعان ويفرّان ويحجمان عن قتله، فما هى تلك الحركة؟ وما أثرها فى تطور إجرائية الحوار؟

يقول نبيل على: «إنّ شفاهية الحوار المباشر تزخر بالانفعالات، وتؤازرها عادة ألوان متعددة ومتضافرة من أفعال الكلام...، مثل حركات اليد والعينين وخليجات الشفاه وتغيير ملامح الوجه وأوضاع البدن»^(١).

وعليه؛ تكون كل هذه الحالات قد توافرت فى هذا الحوار، فقد أدّت حركة عيني

(١) نبيل على، الثقافة العربية وعصر المعلومات: ص ٢٣٤.

الإمام عليه السلام ما تستطيع أن تؤدّيه الكلمة وزيادة، فاللغة فى حالة الكتابة تقوم بكل الوظائف، وتجمع كل عناصر النص، بعكسها فى حالة الحوار، فإنّ عنصراً واحداً كحركة اليد أو نظرة العين بمعونة عناصر متنوعة، قد تقول ما لا تقوله اللغة^(١)، وقديماً أشار الجاحظ إلى أثر الإشارة الجسميّة فى التواصل الحوارى بقوله: «فأما الإشارة فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب، إذا تباعد الشخصان بالثوب وبالسيف...، والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هى له، ونعم الترجمان هى عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط»^(٢)، وهنا يتراءى سؤال مهم: ما الذى أنجزته نظرة الإمام عليه السلام من فعل غير مباشر، جعل شبت بن ربعى يردّ على الإمام عليه السلام بقوله: معاذ الله أن ألقى الله بدمك يا حسين؟

وفى الجواب نقول: إذا جاز عدّ الفعل اللغوى المباشر لنظرة الإمام عليه السلام والذى دلّت عليه حركة الجفنين هو الرؤية الباصرة، فإنّ هذا الفعل الإشارى قد استلزم فعلاً لغوياً غير مباشر، وهو عتاب النبى ﷺ لشبت، والذى يرشّح هذا المعنى قول شبت نفسه لسنان حينما استنكر عليه الأخير إحجامه عن قتل الإمام عليه السلام: «إني شبّهتهما بعينى رسول الله، ما يستلزم أنّه قد رأى النبى ﷺ، وأنّ هاتين العينين مع ما تعرّضتا له من أذى، إلّا أنّهما بلّغتا عتاب النبى ﷺ واستنكاره لفعلهم الشنيع، فى حين نجد أنّ الفعل الإشارى الأوّل نفسه الذى صدر من الإمام عليه السلام مع شبت يستلزم منه فعلاً لغوياً آخر مع سنان، خرج إلى مقصدية التهديد والزجر، مما جعله يرتعد خوفاً من مهابة الإمام على عليه السلام، بدليل تبريره للشمر حينما استنكر عليه جُبنه، قال: تذكّرت هيبه أبىه على بن أبى طالب عليه السلام، والله درّ الشاعر:

(١) يُنظر: السيّد خضر، أبحاث فى النحو والدلالة: ص ١٣٦.

(٢) الجاحظ، عمر بن بحر، البيان والتبيين: ص ١، ج ٧٨.

ولا سيما أبو حسن علي له في الحرب مرتبة تهاب^(١).

لا شك أنّ سنان كان ممن شهد صولات أبي الحسن عليه السلام التي كان من شأنها بثّ الرعب والخوف في فرائصه.

(١) العلوي، محمد بن عقيل، النصائح الكافية: ص ١١٤، يُنظر: الأميني، عبد الحسين أحمد، الغدير في الكتاب والسنة والأدب: ج ٤، ص ٢٦.

المبحث الثاني

خرق قاعدة الكم

إنّ خرق القاعدة يقضي الإخلال بكمّية المعلومات اللازمة لتبليغ القصد للمتلقّي، بما يضمن نجاح التواصل وتحقيق الغرض، ويحصل الخلل إمّا بقلّة المعلومات الواجب توافرها، أو وفرتها بأن تكون أكثر مما يتطلّب، حيث يلحظ ذلك من خلال لحاظين؛ الأوّل:

الاعتبار الخطابي في اللغة المستعملة، وهو لا يتحدّد في كمّ معيّن من الألفاظ أو التراكيب.

والثاني: يتجلّى في درجة الوضوح والشفافية، فكلّما تردّد الحوار بين هذين القطبين تأثّرت المادة اللّغوية، ومن ثمّ ينعكس على إيصال القصد^(١). وحاصل الخرق موكول إلى المتكلّم، فهو محدّد بظروف مقامية أو تحاورية، تجعله يسلك نمطاً غير متعارف عليه لهذه القاعدة، مع ترك شفرة تُعين المتلقّي على سبر أغوار النص في ظل الظروف التي تكتنف الحوار، والتي جعلت الإمام عليه السلام في خطابه يسلك هذا الأسلوب^(٢). والخرق في هذه القاعد يأتي على مستويين:

(١) يُنظر: أزيبط، بنعيسى، المعنى المضمّر في الخطاب اللّغوي العربي والقيمة التنجيزية، مقارنة تداولية لسانية: ص ٤٩٥ - ٤٩٨.

(٢) يُنظر: كلام الإمام الحسين عليه السلام مقارنة تداولية: ص ٤٨.

المستوى الأول: الخرق بتقديم معلومات أكثر مما يتطلبه المقام

ومما يقارب خرق النوع الأول من قاعدة الكم، ما جاء من حوارية دارت بين الحسين (عليه السلام) والشمى، نقلها القندوزى، قائلاً: «ثم أنه ركب على صدره الشريف، ووضع السيف فى نحره، وهم أن يذبحه، ففتح عينيه فى وجهه، فقال له الحسين: يا ويلك، من أنت فقد ارتقيت مرتقى عظيماً؟ فقال له الشمر: الذى ركبك هو الشمر بن ذى الجوشن الضبابى، فقال له الحسين: أتعرفنى يا شمر؟ قال: نعم، أنت الحسين بن على، وجدك رسول الله، وأمك فاطمة الزهراء، وأخوك الحسن، فقال: ويلك، فإذا علمت ذلك فلم تقتلنى؟ قال: أريد بذلك الجائزة من يزيد، فقال له: يا ويلك، أيما أحب إليك، الجائزة من يزيد أم شفاعة جدى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فقال الشمر الملعون: دائق من جائزة يزيد أحب إلى الشمر من شفاعة جدك، فقال له الحسين (رضي الله عنه وبلغه الله إلى غاية بركانه ومنتهى رضوانه): سألتك بالله أن تكشف لى بطنك، فكشف بطنه، فإذا بطنه أبرص كبطن الكلاب، وشعره كشعر الخنازير، فقال الحسين (عليه السلام): الله أكبر، لقد صدق جدى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى قوله لأبى: يا على، إن ولدك الحسين يقتل بأرض يقال لها كربلاء، يقتله رجل أبرص أشبه بالكلاب والخنازير، فقال الشمر اللعين: تشبهنى بالكلاب والخنازير، فوالله لأذبحنك من قفاك، ثم إن الملعون قطع الرأس الشريف المبارك، وكلما قطع منه عضواً يقول (عليه السلام): يا جداه، يا محمداه، يا أبا القاسماه، ويا أبتاه، يا علياه، يا أماه، يا فاطماه، أقتل مظلوماً، وأذبح عطشاناً، وأموت غربياً، فلما اجتزّه وعلاه على القناة، كبر وكبر العسكر ثلاث تكبيرات...، وكان يوم قتله يوم الجمعة عاشر المحرم الحرام سنة إحدى وستين»^(١).

بدأ الحوار:

(١) القندوزى الحنفى، سليمان بن إبراهيم، ينبيع المودة لذوى القربى: ج ٣، ص ٨٢.

- الحسين عليه السلام: يا ويلك، من أنت فقد ارتقيت مرتقى عظيماً؟
- الشمر: الذي ركبك هو الشمر بن ذي الجوشن الضبابي.
- الحسين عليه السلام: أتعرفني يا شمر؟
- الشمر: نعم، أنت الحسين بن علي، وجدك رسول الله، وأمك فاطمة الزهراء، وأخوك الحسن.
- الحسين عليه السلام: ويلك، فإذا علمت ذلك فلم تقتلني؟
- الشمر: أريد بذلك الجائزة من يزيد.
- الحسين عليه السلام: يا ويلك، أيما أحب إليك، الجائزة من يزيد أم شفاعة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله؟!!!
- الشمر: دائق من جائزة يزيد أحب إلى الشمر من شفاعة جدك.
- الحسين عليه السلام: سألتك بالله أن تكشف لي بطنك.
- الشمر، فكشف بطنه فإذا بطنه أبرص كبطن الكلاب، وشعره كشعر الخنازير.
- الحسين عليه السلام: الله أكبر، لقد صدق جدي صلى الله عليه وآله في قوله لأبي: يا علي، إن ولدك الحسين يقتل بأرض يقال لها كربلاء، يقتله رجل أبرص أشبه بالكلاب والخنازير.
- الشمر: تشبّهني بالكلاب والخنازير، فوالله لأذبحنك من ففك.
- لا شك في أن آية عملية حوارية لا بد لها من موجه أو مدير، يوجه الأسئلة ويدير محاور العملية التواصلية ومفاصلها، وفي خطاب المسيرة الحسينية كان دور رواد المسيرة واضحاً في إدارة دفّة الحوار، بغية تحقيق القصد وجني النتائج التي كانت جميعها إلى جانب أصحاب المسيرة الحسينية، وهذا ما تحقق بالفعل.
- ويظهر دور الإمام عليه السلام في إدارة هذا الحوار وغيره جلياً، إذ وجه المخاطب بمعية المتكلم إلى تقديم معلومات وفيرة تفوق منطوق السؤال، وقد استطاع الإمام عليه السلام بهذا الخرق وبمستوياته البنائية والتداولية - الذي ينطبق عليه وسيلتان من وسائل

تحليل الخطاب، هما: مبدأ التعاون بقواعده التى هى موضوع الدراسة، ومبدأ التأدب (اللايكوفى) - أن يوضح فكرة واحدة (بيان مظلوميتهم).

إنّ ناتج هذا الخرق متحصّل من الظروف المقامية المضطربة التى اكتنفت الحوار، من خلال توفر مسوّغات - مرتكزة فى ذهن المتكلّم - للخرق، وقد توفّر منها:

١- التجمّع الكبير من الجنود الذين تخلّقوا^(١) حوله، فقد ذُكر: «فتبادر إليه أربعون فارساً، يريدون حزّ رأسه الشريف المكرّم المبارك»^(٢).

٢- رغبة ابن سعد فى إنهاء المهمة البشعة بحزّ رأس الإمام الحسين عليه السلام بقوله: «ويلكم، عجلّوا بقتله».

٣- فزع وخوف جميع الفرسان من الإقدام على انتهاك جسد الإمام الحسين عليه السلام، مع ما كانوا يتمتعون به من وضاعة القيم والصفات، فتقدّم له أشتر الخلق، قبل الشمر وأشبههم به، وهم: شيب بن ربعي، وسان بن أنس النخعي، وكان كوسج اللحية قصيراً أبرصاً أشبه الخلق بالشمر اللعين^(٣)، إلّا أنّهم هربوا خوفاً ورهبة من نظرات الحسين عليه السلام حينما رمقهم بعينه، فقد ذكّره بشجاعة أبيه، وكلّهم قد خبروا شجاعته. فاستثمر الإمام هذه الفرص، بل جميع الفرص المتوافرة لبيان أحقيّتهم بالإمامة، ولإظهار مظلوميّتهم من أمّة جدّهم ﷺ، لذا استنطق المخاطب وجعله يخرق الكم، ويقدم أخباراً تفوق سؤال الإمام عليه السلام، والمخاطب بدوره استغلّ الخرق لبثّ قصده، حيث جاء بعض قصده متماشياً مع قصد الإمام عليه السلام إلى حدّ ما، فقد جاء الحوار على ثلاثة محاور:

(١) أي: داروا وأصبحوا حلقة كبيرة.

(٢) القندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى: ج ٣، ص ٨٢.

(٣) المصدر نفسه: ج ٣، ص ٨٢.

المحور الأول: محور التعارف الصوري الشكلي، فالإمام عليه السلام أعرف الناس بقاتله

في هذا المحور سنتعرّف على أهم الوسائل اللسانية التي وظّفها الإمام عليه السلام لبلوغ مقاصده، منها ما دلّت عليه القرائن اللفظية؛ وهي (النداء، والجمل الخبرية، والتعريف بالاسم الموصول)، ومنها ما دلّ عليه السياق كمبدأ التعاون، ومبدأ التأدب.

- الحسين عليه السلام: يا ويلك، من أنت فقد ارتقيت مرتقى عظيماً؟
وهذا ما سيّضح في المحاور أدناه:

أ- مقصدية النداء

بوصف النداء فعلاً كلامياً فإنّه يوّلد أثراً خاصاً عند المخاطب؛ لأنه ليس مقصوداً لذاته ولا يقتصر على الفعل القولي فقط؛ بل يحمل قوّة إنجازية وتأثيراً في المخاطب^(١)، فقد عرّفه النحاة لغةً: بأنّه الدعاء بأيّ لفظٍ كان^(٢)، وعُرّف اصطلاحاً: بأنّه طلب الإقبال بحرف ناب مناب أدعو، ملفوظاً به أو مقدّراً، والمراد بالإقبال يشمل الحقيقي والمجازي، المقصود منه الإجابة، كما في قول الداعي: يا الله ولا يردّ، أو قوله: يا زيد لا تُقبل؛ لأنّ (يا) لطلب الإقبال والتنبيه والالتفات لسماح النهي، فالنهي عن الإقبال بعد التوجّه^(٣)، وعلى هذا يمكن استنتاج أمور عدّة تؤسّس قصد المتكلّم:

١- إنّ الدعاء أو طلب الإقبال يستدعي طرفين، أحدهما داع والآخر مدعو، وفي هذا المحور هما: (الإمام الحسين عليه السلام ..)، و(الشمر).

(١) يُنظر: المتوكل، أحمد، الوظائف التداولية في اللغة العربية: ص ١٦١.

(٢) يُنظر: الصبان، محمّد بن علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: ج ٣، ص ١٩٧.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه: ج ٣، ص ١٩٧.

٢- النداء ما هو إلا خطابٌ موجّهٌ من متكلّمٍ إلى مخاطب، يريد إقباله عليه والتوجّه إليه ليحاوّرهُ ويكلّمهُ؛ «لأنّ الأعمال المضمّنة في القول تتطلّب مشاركة المخاطب، فنحن لا ننشئ استفهاماً، أو إثباتاً، أو أمراً، أو وعداً...، إلا ونحن نتوجّه إلى مخاطب معيّن»^(١)، يقول ابن جنّي: «إذا أقبل عليه، وأصغى إليه، اندفع يحدّثه أو يأمره أو ينهاه»^(٢)، فالنداء ليس مقصوداً لذاته، بل ينصرف قصد المتكلّم إلى تنبيه المخاطب ليصغي إلى ما يجيء بعده من الكلام المنادى له^(٣)، ومن هنا يمكن أن يُستدلّ على أنّ المنادى هو الشمر شخصياً من قرينتين. قرينة بنيوية وأخرى حالية. أمّا القرينة البنيوية فقد دلّت عليها صيغة النداء (يا ويلك)؛ إذ اشترط النّحاة أن يكون المنادى متميّز الماهية، وإن لم يكن معلوم الذات، فلا معنى لنحو: يا شيء، ويا موجود، ويا ويل، إلا أن يكتنّى بمثلها عن أنّ المخاطب ما فيه شيء مما يكون في العقلاء، إلا أنّه يقع عليه اسم الشيء والموجود، وهذا مجاز وكلامنا في الحقيقة^(٤)، فالرّضي يشترط أن يكون متميّز الماهية حتى يتوافر عنصر القصد، ولذا لا يجوز النداء بمثل (يا ويلك) لعدم توفّر القصد على الحقيقة، وأمّا القرينة الحالية، فدلّ عليها اعتلاء الشمر صدر الحسين عليه السلام. وعليه يستلزم الأمر قصدين:

القصد الأوّل: التّقريع والتوبيخ، فالمتكلّم كنى عن الشمر، بأنّه ليس فيه شيء مما يكون للعقلاء، وبالتالي جرّده عن صفة العقل.

(١) الحباشة، صابر، مغامرة النص من النحو إلى التداولية، قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني: ص ١٠٣.

(٢) ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، الخصائص: ج ١، ص ٢٤٧.

(٣) يُنظر: الاسترّابادي، رضي الدين، شرح الرّضي على الكافية: ج ١، ص ٤٠٧.

(٤) يُنظر: المصدر نفسه، ص ٣٧٤. ويُنظر: الخضري، محمّد بن مصطفى، حاشية الخضري على ابن عقيل: ج ٢، ص ٧١.

القصد الثاني: الإمام عليه السلام قصد إقبال الشمر عليه والتفاتة إليه؛ كي يحذّره من عذاب جهنم، وعن عبد الله بن مسعود: ويل وادي في جهنم من قيح^(١). والذي يقوّي المعنيين ويرشّحهما النقطة الآتية (ب).

ب- مقصدية القول الخبرية

الذي يرشّح التقرير والتوبيخ للذين خرج لهم النداء، هو الفعل القضوي، الذي أنجز فعلين لغويين، الأول تمثّل بجملة القول التي يمكن الاستدلال عليها من القرينة البنيوية وهي (قد+ الفعل المضارع) والتي أنجزت فعلاً لغوياً مباشراً، دلّ عليه المعنى الحرفي للتركيب (قد ارتقيت مرتقى) وهو الإخبار، إلّا أنّ المقام يستلزم من الفعل اللغوي المباشر فعلاً لغوياً غير مباشر، وهو الأمر بالنزول من هذا المرتقى العظيم، أي أن المقام المقصود للإمام عليه السلام هو مقام الإمامة.

ج- مقصدية التعريف بالاسم الموصول

إنّ سلّم "المعارف" عند أغلب النّحاة يتصدّره التعريف بالأقوى؛ (فالاسم العلم، هو أقوى المعارف، تليه المبهات: الاسم الموصول، واسم الإشارة، الضمير)^(٢)، والذي يساعد المتكلّم في أن يلجأ إلى هذا التعريف هو مقام التلفّظ، أي: عند ما يكون نقص في معلومات المخاطب عن المسند إليه، ما خلا الصّلة، مثل: الذين قاتلوا مع الحسين عليه السلام علماء صالحون^(٣). وجاء في جواب سؤال الإمام، قول الشمر: الذي ركبك هو الشمر بن ذي الجوشن الضبابي.

(١) ابن المبارك، عبد الله، مسند ابن المبارك: ص ٦٥.

(٢) يُنظر: شروح التلخيص، سعد الدين التفتازاني: ج ١، ص ٣٠٢، الدسوقي، محمّد عرفة، حاشية الدسوقي: ص ٣١٣.

(٣) الحباشة، صابر، مغامرة النص من النحو إلى التداولية، قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني: ص ١٠١.

ففي محور التعارف الصوري خرق الشمر قاعدة الكم مرتين:

- الخرق الأول: الشمر خرق قاعدة الكم، وكان لازم الجواب وما يناسب المقام أن يقول: الشمر أو غاية ما في الأمر، (الذي ركب الشمر) فما المسوّغ لهذا الخرق في وفرة كمّية المعلومات التي قالها في ظرف مضطرب وخرج زمانياً ومكانياً ومقامياً، إذ المقام هو ارتكاب أبشع جريمة في الوجود؟ بل في تاريخ الإنسانية، وهذه المعلومات تمثّلت بذكر اسمه كاملاً ولقبه، ولها جملة من المسوّغات:

- ١- حضور الجمع الغفير من العسكر الذي بلغ أربعين فارساً.
- ٢- خوف بعض الأسماء اللامعة في معسكر ابن سعد وإحجامهم عن الإقدام من قبل شيث بن ربعي، وسانان بن أنس النخعي، وعدم تمكّنهم.
- ٣- رغبة الشمر في شهادة عمر بن سعد له أمام يزيد للحصول على الجائزة.
- ٤- الافتخار بنفسه.

٥- تعريف نفسه لمن لا يعرفه.

كل هذه المسوّغات بمعونة المقام دفعت الشمر للتعريف بنفسه على غير العادة^(١)، إذ بدأ بالاسم الموصل مع صلته، وهو فعل كلامي، ليس مقصوداً بذاته، ليُنجز فعلين لغويين، أحدهما مباشر والذي يُستدل عليه من خلال القرينة البنيوية المتمثلة (بالاسم الموصل + جملة الصلة)، ومعناه القضوي دلالة الحرفية وهو التعريف، أما الفعل غير المباشر الذي يستلزم من المباشر فيحتمل قصدين:

١- أن يجعله ذريعة لتحقيق الخبر، أي: تقريره وتثبيته في ذهن المستمع أو المخاطب، حتى كأن الإيحاء المستلزم برهان عليه.

٢- يستلزم منه تعظيم غير الخبر، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعْبًا كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢).

(١) تقتضي العادة أن من يرتكب جريمة قتل يخفي اسمه.

(٢) الأعراف: آية ٩٢.

فهنا قصد أن الخبر المبني على الموصول وصلته مما ينبئ عن الخيبة والخسران وتعظيم الشأن لشعيب^(١). والذي يؤيد هذا المعنى قول الإمام الحسين عليه السلام ارتقيت مرتقى عظيماً. فالمرتقى هو جسد الإمام عليه السلام، أو ما هو أبعد من ذلك؛ أي ارتقى منهجاً وديناً ونبوة وإمامةً وقرآناً ناطقاً، فالتعظيم لهذا كله لا للشمر كما قد يُتوهم.

- الخرق الثاني: تمثّل بتقديم معلومات زائدة في جوابه عن سؤال الحسين عليه السلام الثاني: هل تعرفني؟، ولزام هذا السؤال، هو نعم أعرفك أو لا أعرفك. بلا لجوء إلى التفصيل (أنت الحسين بن علي بن فاطمة الزهراء ابن رسول الله أخوك الإمام الحسن) الذي لا يقتضيه المقام ولا الكم، فأَيّ صلافةٍ وأَيّ جرأةٍ يمتلكها الشمر؟! وكأنّه أي: الشمر، أراد أن يخبر الإمام عليه السلام بأنّي أعرفك تمام المعرفة.

المحور الثاني: محور التحقق من فعل الشمر

قال الإمام الحسين عليه السلام: ويلك، فإذا علمت ذلك فلم تقتلني؟
قال الشمر: أريد بذلك الجائزة من يزيد.
فقال له الإمام الحسين عليه السلام: يا ويلك، أيّهما أحبّ إليك، الجائزة من يزيد أم شفاعة جدّي رسول الله ﷺ؟
فقال الشمر: دائق من جائزة يزيد أحبّ إلى الشمر من شفاعة جدّك.
ويمكن ذكر مسوّغ آخر مهم في هذا المحور يضاف لما سبق: وهو الرحمة والعطف اللذان كانا حقيقة جوهر الأئمة التكويني، فهم فيض الرحمة الإلهية.
أمّا قصد الإمام عليه السلام الذي ستعرّف عليه بعد الوقوف على مفاصل الخرق، في ضوء مبادئ وآليات تحليل الخطاب (مبدأ التعاون، ومبدأ التأدب) فيتمثّل في حصول

(١) يُنظر: الحباشة، صابر، مغامرة النص من النحو إلى التداولية، قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني: ١٠١ - ١٠٢.

خرق فى قاعدة الكم، بزيادة المعلومات التى استعملها الإمام عليه السلام، والحال أن الردّ على هكذا عدوّ لمن هم فى سياق حال شبيه بهذا السياق يكون هو الدعاء، لكن المتمعّن يكشف أن الحسين عليه السلام ومن أجل بلوغ تمام قصده، مع شدّة الوضع الذى يكشفه الدعاء فى مقدّمة الحوارية، حيث احترام فيه الإمام الحسين عليه السلام قاعدة المناسبة، أما خرق قاعدة الكم على الفرع الثانى فهو تقديم أقلّ عدد من المعلومات على وفق مقتضى المقام بقوله: «يا إلهى، صبراً على قضائك، ولا معبود سواك، يا غياث المستغيثين»^(١) وإقامة الحجّة على المخاطب.

ففى بداية المحور الثانى، مع أن الإمام عليه السلام قد دعا عليه بالويل، أى: ويل لك، إلا أن نفس الرحمة التى جبل عليها الإمام - منذ أن خرج إلى العراق، بل منذ ولادته وحتى آخر لحظات حياته - بدت متجسّدة فى أفعاله وأقواله، فعلى الرغم مما لحقه من أذى، وقتل لأهل بيته وأصحابه، وبعدما تبين له شدة عناد الشمر وإصراره من خلال تعريفه بالإمام عليه السلام وعنوانه واسمه ومكانته من رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا أنه قد منحه فرصة التراجع عن سفك دمه من خلال التشكيك فى حقيقة فعله عبر أسلوب التوجيه المركّب. والتوجيه المركّب أعني به ما جاء مركّباً من أسلوبى الشرط والاستفهام، ولعلّ وراء أساليب التوجيه هذه أسباباً تدفع المتكلّم إلى تعديل قوّته الإنجازية فى التعبير عن فعله الكلامي^(٢):

(١) القيومي، جواد، صحيفة الحسين عليه السلام (جمع): ص ١٠٠. الريشهري، محمد، أهل البيت عليهم السلام فى الكتاب والسنة: ص ٢٩٠. القندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم، ينبيع المودة لذوى القربى: ج ٣، ص ٨٢.

(٢) قصدي من القوة الإنجازية: هي الشدّة والضعف اللذان يمكن أن يعرض بأحدهما غرض أنجازي واحد فى سياق بعينه من سياقات استعمال المنطوق، وهي بالتالي خاصية المنطوقات دون الجمل، فالمنطوق الواحد يمكن أن يمتلك قوى أنجازية مختلفة فى سياقات استعمال متعدّدة. يُنظر: بحث منال النجار فى كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي: ص ٣١٤.

١- التعديل من أجل نقل المعنى (القصد) المرتبط بسلوك المتكلم وتصرفاته تجاه القضية التى يُعبّر عنها *Modal Meaning*.

٢- التعديل من أجل التعبير عن معنى تأثيرى *Affective Meaning* أو عن سلوك المتكلم إزاء المخاطب فى سياق المنطوق^(١).

وفى ضوء مسوِّغات خرق الخطاب فى أعلاه تتبيّن مقاصد الإمام عليه السلام على النحو الآتى:

١- الإمام عليه السلام أراد أن يبيّن للمتلقّي أنّه تعرّف على عزمه وإصراره لارتكاب هذا الأمر الجلل، عن طريق القوّة الإنجازية لأسلوبى الشرط والاستفهام، فالفعل اللّغوى المباشر والذى دلّت عليه القرينة (أداة الشرط "إذا" فعل الشرط) أعطى قوّة إنجازية حرفية من تعلّق حصول الجواب بحصول الشرط، فى حين أنّه أفضى إلى قوّة إنجازية وقصدٍ غير مباشر يستلزم منه، التماس العذر - عبر قاعدة التعقّف - إن كان جاهلاً أو مغروراً به، وهذا قريب جداً من مفهوم مخالفة الشرط عند الأصوليين.

أمّا الفعل اللّغوى المباشر الآخر فهو الذى دلّت عليه القرينة اللفظية (ما الاستفهام مع صيغة الفعل المضارع «تقتلني») وقوّة الإنجازية المباشرة هى دلالة التركيب الحرفية التى اقتضت معرفة واستخباراً عما يجهله المتكلم - بشكل عام - ما خلا سؤال الإمام عليه السلام غير الكاشف عن جهل، بل عن علم ودراية بعواقب مصيره المحتوم، والذى أفضى إلى استلزام قوّة إنجازية سياقية أخرى تراءى من خلالها قصد الإنكار وإبداء الاستغراب من هكذا فعل، لاسيّما بعد ما أكّد الشمر للإمام

(١) Holmes Janet modifying op cit p: ٣٤٨.

نقلًا عن: بحث منال النجار فى كتاب التداوليات علم أستعمال اللغة، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي: ص ٣٢٦.

حقيقة ما يقدم عليه.

٢- قصد التلويح للشمر بعد أن شكك بفعله إلى تخيره بين مصيرين وطريقين:

أ - طريق الهلكة الذي يقوده لجهنم باتباعه لحكومة الجور والظلم وسلطانها (المتمثلة بيزيد)، التي مصيرها الزوال.

ب - طريق النجاة باتباع الحق والركوب في قارب النجاة، فقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ أن «الحسين مصباح هدى وسفينة نجاة»^(١).

٣- من المقاصد التي أراد الإمام ﷺ إيصالها إلى المتلقي التأكيد على شرعيته في ما يقول ويفعل، وعلى انتسابه إلى رسول الله ﷺ بقوله (جدي)، ولو لم يُرد ذلك لاكتفى بقوله رسول الله ﷺ، ولم يقدم زيادة في المعلومات، إلا بقصد إقامة الحجة على العدو من أنهم خرجوا على الخليفة الشرعي، وكذلك نقضهم للعهود والمواثيق، بعد أن قاموا بدعوته لإمامتهم، وقد سبق هذا التكرار لتأكيد إقامة الحجة ورفع التضليل عنهم، لعلهم تحت وطأة التضليل المغرر.

فتعساً لهاتيك القلوب التي تعيش تيهاناً وضلالاً وريناً، تدفع مثل الشمر أن يردّ على الإمام ﷺ بقوله: دانق من جائزة يزيد أحبّ إليّ من شفاعة جدك. مما يكشف عن الخرق الحاصل بكمية المعلومات ومقدارها، التي قدّمها الشمر، والتي قصد منها بيان بغضه للنبي وآل النبي ﷺ، بعد ما سمعه من طول حوار بينه وبين الإمام الحسين ﷺ في ظلّ ظرف حرج، وكذلك لبيان موالاته للطاغية يزيد أمام هذا الحشد وقائدهم. فالدانق: وهو المهزول الساقط من الأشياء^(٢)، أو هو لفظ كناية عن الشحّ والبخل أو القلة في الشيء^(٣)، لاحظ أن الشمر قد تعطلت عنده وعند غيره من

(١) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا ﷺ: ج ١، ص ٦٢. السند، محمد، الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد: ص ٣٧٣.

(٢) يُنظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): ج ٤، ص ١٤٧٧.

(٣) يُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٠، ص ١٠٥ - ١٠٦.

أجلاف العرب كل مقاييس التفاضل وقول الفضيلة، فهم - بحق - كانوا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(١).

المحور الثالث: محور الكشف عن صفات الفاعل (الشمر)

- فقال له الحسين عليه السلام: «سألتك بالله أن تكشف لي بطنك».

- الشمر: فكشف بطنه، فإذا بطنه أبرص كبطن الكلاب، وشعره كشعر الخنازير.

- فقال الحسين عليه السلام: «الله أكبر، لقد صدق جدي عليه السلام في قوله لأبي: يا علي، إنَّ ولدك الحسين يقتل بأرض يقال لها كربلاء، يقتله رجل أبرص أشبه بالكلاب والخنازير».

- فقال الشمر: تشبّهني بالكلاب والخنازير، فوالله لأذبحنَّك من قفاك.

بعد أن استنفذ الإمام عليه السلام كل وسائل الدعوة والهداية مع أهل الكوفة وأقلّ الخليفة قدراً، لجأ في هذا المحور الأخير من المحاور الذي به ختم المسيرة والرسالة الخالدة؛ التي غذّاها بالأجساد الزاكية من أصحابه وأهل بيته، وبجسده ودمه الطاهرين، إلى بيان صفات قاتله التي عهدّها إليه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، ذلك الجد الذي لا ينطق عن الهوى. حيث نرصد للمسوّغات السابقة نفسها التي قادت إلى هذا الخرق في كم المعلومات ومقدارها مقاصد، وهي كالآتي:

١- أراد أن يخبرهم بأنّه لا يجرأ أحد على هذه الفعلة إلّا من تمتّع بهذه الصفات، في ظل هكذا ظروف داخلية وخارجية أحاطت بالمسيرة وأهلها.

٢- في المقطع الثاني من الحوارية قصد الإمام عليه السلام إلى ضخّ كميّة كبيرة من المعلومات التي جاءت مشحونة بقوة إنجازية تناوبت عليها بعض الأدوات والأفعال اللّغوية، التي دلّت عليها القرائن البنيوية متراوحة بين الجملة الخبرية (الله

(١) الحج: آية ٤٦.

أكبر) و(لام التوكيد) و(قد) التى تفيد التحقيق إذا دخلت على الفعل الماضى. مضافا إليها الدلالة المعجمية للفعل الماضى (صدق) ولفظة (جدّي) و(أبى) الذى جعله بمثابة الشاهد، والفعل اللغوى المباشر الذى دلّت عليه القرينة البنيوية لصيغة المبني للمجهول (يُقتل) الذى خرج عن دلالته الحرفية إلى معنى مستلزم؛ وهو التأكيد على عملية القتل دون التأكيد على تسمية القاتل، وذلك من خلال النكرة التى خصّصت بالصفات التى لا تنطبق على غير الشمر بن ذى الجوشن الضبابى.

لا شكّ فى أنّ هذا القاتل وهذه الصفات لم تكن وليدة ظروف طبيعية دعت النبي ﷺ أن يعرفه للإمام على عليه السلام قبل أكثر من خمسين عاماً على حصول الجريمة النكراء، وإنّما كانت هناك أرضية خصبة لاحتضان نطفة السوء على مدار هذه السنين عبر الأصلاب الخاوية والأرحام المنجّسة، لكى تُدخّر لقطع ریحانة رسول الله ﷺ. ويطالع الباحث نموذجاً آخر لخرق قاعدة الكم، توضّحه حوارية الإمام عليه السلام حينما طلب قليلاً من الماء، فهبّ أحد الجنّد لجوابه قائلاً: «والله، لا تذوقه حتى ترد الحامية، فتشرب من حميمها، فقال عليه السلام: بل أرد على جدّي رسول الله ﷺ، وأسكن معه فى مقعد صدق عند ملكٍ مقتدر، وأشرب من ماء غير آسن، وأشكو إليه ما ارتكبتُم منّي وفعلتم بي، فغضبوا بأجمعهم، حتى كأنّ الرحمة سلبت من قلوبهم»^(١). الحسين عليه السلام: استسقى الماء.

أحد الجنّد: والله، لا تذوقه حتى ترد الحامية، فتشرب من حميمها. الحسين عليه السلام: «بل أرد على جدّي رسول الله ﷺ، وأسكن معه فى مقعد صدق عند

(١) الحلى، ابن نما، مثير الأحزان: ص ٥٧. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، لجنة الحديث فى معهد باقر العلوم عليه السلام: ص ٦١٩. الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ص ٦١٠.

ملك مقتدر، وأشرب من ماء غير آسن، وأشكو إليه ما ارتكبتم مني وفعلتم بي، فغضبوا بأجمعهم، حتى كأن الرحمة سلبت من قلوبهم» فمقتضى احترام القاعدة هو قول أحد الجند للإمام: (لا تذوقه) وحسب، ولكنه خرقة بالتجاوز على الإمام عليه السلام بعده من أهل النار، فلفظ الحامية فيه تلويح، بل هو أحد أساء النار، مما جعل الإمام عليه السلام يلجأ - أيضاً - لخرق في تقديم سيل من المعلومات، ومقتضى الحال أن يردّه بقوله: «كذبت إنما غيرنا من يرد الحامية وهم الظالمون»، لكن الإمام عليه السلام قصد من تقديم هذا الكم الهائل من المعلومات ما يلي:

- قرب الإمام عليه السلام المادّي والمعنوي ومنزلته من رسول الله ﷺ، عبر تكراره لفظ جدّي، ويكفي أن يقول رسول الله ﷺ، ومن المعلوم عند جميع المسلمين أن الحسين عليه السلام ابن بنت رسول الله ﷺ.

- التأكيد على مقامه وإمامته، فهو الوريث الشرعي لجده وأبيه.

- إشارة الإمام عليه السلام إلى حيثية أخرى تتعلق بذلك المقام العلي، وتناسب مع سياق الحوارية؛ ألا وهي الاستقرار والسكنى بمعية جده في سكناه الأبدية؛ في مقعد صدق عند ملك مقتدر. وقد جاء هذا التفصيل لدفع التوهم عن أذهان السامعين بعدما سمعوا مقالة الجندي، حيث استلزم تكراره عليه السلام لظروف المكان بطلان دعوى المدعي عليه. ولم يكتف بذلك، بل راح يقدم المزيد من التأكيدات لنفس القصد أعلاه، بقوله: (وأشرب من ماء غير آسن)، بل سأقدم بين يدي جدّي شكوى ضدكم «وأشكو إليه ما ارتكبتم مني وفعلتم بي»، وهذا ما جعلهم يغضبون - فغضبوا بأجمعهم حتى كأن الرحمة سلبت من قلوبهم - منه عليه السلام لعلمهم بصدقه، ولعلمهم بمكانة رسول الله ﷺ وبرّ الله له ولأهل بيته، وأن مصيرهم سيكون النار لا محالة، لكنهم يعيشون حالة من التيه والضلّال لا يمكن وصفها بأي شكل من الأشكال.

ومتما يقارب الخرق في الكمّ المعلوماتي هو ما دار من حوار بين الإمام السجاد عليه السلام وبين الشيخ الشامي؛ ونصّه كالآتي:

« جاء شيخ فدنا من نساء الحسين عليه السلام وعياله، وقال: الحمد لله الذي أهلككم وقتلكم، وأراح البلاد من رجالكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم. فقال له علي بن الحسين عليه السلام: يا شيخ، هل قرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: فهل عرفت هذه الآية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟ قال: قد قرأت ذلك. فقال له علي: فنحن القربى يا شيخ. فهل قرأت في بني إسرائيل ﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾؟ فقال: قد قرأت ذلك. فقال علي بن الحسين عليه السلام: فنحن القربى يا شيخ. فهل قرأت هذه الآية ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾؟ قال: نعم. فقال له علي عليه السلام: فنحن القربى يا شيخ. وهل قرأت هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾؟ قال: قد قرأت ذلك. فقال علي عليه السلام: فنحن أهل البيت عليهم السلام الذين اختصنا الله بآية الطهارة يا شيخ. قال: فبقي الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلم به، وقال: بالله إنكم هم؟ فقال علي بن الحسين عليه السلام: تالله، إنّنا لنحن هم من غير شك، وحقّ جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله إنّنا لنحن هم، فبكى الشيخ ورمي عمامته، ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: اللهم إني أبرأ إليك من عدوّ آل محمّد من جنّ وإنس، ثم قال: هل لي من توبة؟ فقال له عليه السلام: نعم، إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا، فقال: أنا تائب. فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ فأمر به فقتل ^(١).

- الشيخ الشامي: بالله إنكم هم؟

(١) الأمين، محسن، لوايعج الأشجان: ص ٢٢٠. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٢٩.

- الإمام السجاد عليه السلام: تالله، إنّا لنحن هم من غير شكّ، وحقّ جدّنا رسول الله صلّى الله عليه وآله إنّنا لنحن هم.

- الشيخ: فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثمّ رفع رأسه إلى السماء، وقال: اللهم إنّي أبرا إليك من عدوّ آل محمّد من جنّ وإنس، ثم قال: هل لي من توبة؟
- الإمام السجاد عليه السلام: نعم، إن تبت تاب الله عليك، وأنت معنا.
- الشيخ فقال: أنا تائب.

لا شكّ في أنّ شدة ممارسة التضليل على المسلمين هي المسوّغ الذي جعل الشيخ الشامي يخرق قاعدة الكيف والكم^(١) عبر الزيادة في مقدار المعلومات بطلب التأكيد من الإمام عليه السلام عبر القسم والاستفهام والتوكيد بـ(أنّ)، وكان بإمكانه أن يكتفي بالاستفهام بقوله: هل أنتم ذوو القربى؟ فالبحث أمام معنى ظاهر وقصد خفي:
أ- المعنى القضوي الذي أحدثه الفعل اللّغوي المباشر الذي دلّت عليه القرينة اللفظية، القسم والاستفهام، والذي معناه في دلّالته الحرفية تمثّل التأكيد.

ب- القصد المستلزم، وهو عدم الاطمئنان لما ساقه الإمام عليه السلام من الاستدلالات عبر الكم الهائل من الأسئلة التي تدرّج بها مع الشامي، والتي ستذكر في احترام قاعدة الطريقة.

وعليه؛ ينبغي ملاحظة الدقّة والعمق الكبيرين التي تتصف بهما العملية التواصلية بكل أطرافها، من مرسل ورسالة ومرسل إليه وقناة التواصل والظروف الخارجية والداخلية المحيطة، التي تكتنف عملية التحوار، وتضمن سير عملية التواصل على

(١) في هذه المحاورّة حصل أكثر من خرق، وسيتمّين بحث المقاصد التي حصلت بسبب تلك القواعد، سواء في احترامها أم في خرقها، وكل في فصله ومكانه، مثلاً: خرق قاعدة الكيف في المبحث الثاني من الفصل الثاني، وهكذا باقي القواعد.

وفق مبدأ التعاون الإبلاغى وقواعده، فلا يكفى إطاعة الكم فى تحقيق التواصل، فقد تطيع قاعدة، وتخرق أخرى، وهذا ما ستلمسه الدراسة فى الفصل القادم مع قاعدة أخرى وهى الكيف. كما يبدو جلياً ما تحلّت به العملية التخاطبية من توفير لاحترام القواعد أو خرقها، إلا أنها لا تستغنى عن قاعدة المناسبة أو العلاقة، فهى قطب الرحى بالنسبة لمبدأ التعاون الغرايىسى، فالمناسبة ضرورية وحتمية لنجاح التواصل، سواء حصل الخرق أم لم يحصل، ففى خرق قاعدة المناسبة، لا بدّ من وجود مناسبة، وهى المسوّغ عند بعضهم، ومن وجهة نظر البحث هى مناسبة، أما القدر المتيقّن مع باقى المبادئ والحكم، فهو وجود المناسبة لتحقيق التواصل.

المستوى الثانى: الخرق المختزل لقاعدة الكم

يتحقّق هذا النوع من الخرق الذى يحصل عادة فى المحاورات الفردية عبر إعطاء أخبار مكثّفة ومركّزة أقلّ مما يتطلّب التفاعل الكلامى والمشاركة فى التواصل، حيث يقدّم المتكلّم أخباراً مختزلة، تكون مسؤوليّة قراءتها وتحليلها المفصّل على عاتق المستمع المتلقّى، ومن هذا القبيل توجد نماذج كثيرة، منها:

١- ما حصل مع الإمام الحسين عليه السلام فى أوّل خروجه من مكّة، حينما التقى الفرزدق الشاعر المشهور «فروى عن الفرزدق الشاعر أنّه قال: حججت بأُمّى فى سنة ستين، فبينما أنا أسوق بغيرها حين دخلت الحرم، إذ لقيت الحسين بن علي عليه السلام خارجاً من مكّة، معه أسيفه وتراسه، فقلت: لمن هذا القطار؟ فقيل: للحسين بن علي، فأتيته فسلمت عليه، وقلت له: أعطاك الله سؤالك وأملك فيما تحب، بأبى أنت وأُمّى يابن رسول الله، ما أعجلك عن الحج؟ فقال: لو لم أعجل لأخذت، ثمّ قال لي: من أنت؟ قلت: امرؤ من العرب، فلا والله، ما فتّشني عن أكثر من ذلك، ثمّ قال لي: أخبرني عن النّاس خلفك، فقلت: الخبير سألت، قلوب النّاس معك وأسيفهم عليك، والقضاء

ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء، فقال: صدقت، لله الأمر، وكل يوم ربنا هو في شأن، (إن نزل القضاء) بما نحب، فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء، فلم يبعد من كان الحق نيته، والتقوى سريرته، فقلت له: أجل، بلّغك الله ما تحبّ وكفاك ما تحذر، وسألته عن أشياء من نذور ومناسك فأخبرني بها، وحرّك راحلته، وقال: السلام عليك، ثمّ افترقنا^(١).

- الفرزدق: أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحبّ، بأبي أنت وأمي يابن رسول الله، ما أعجلك عن الحج؟

- الإمام الحسين عليه السلام: لو لم أعجل لأخذت، ثم قال لي: من أنت؟
جواب الإمام عليه السلام لسؤال الفرزدق كان مختزلاً، وأقلّ مما يتطلّبه السؤال من المشاركة في التواصل، وهذا الخرق قد يشفع له سياق الحال الذي يبرر تركيز الإمام عليه السلام على هدف أهم أراد الوصول إليه، وهو السؤال عن حال أهل العراق، فقصد الإيجاز تخلّصاً من السؤال، إلى الغرض الذي ينشده، فمقام المحاورة كان في الطريق، وقد اتّسم بالحركة والسرعة، كما يبيّنه الفرزدق بقوله: «فبينما أنا أسوق بغيرها حين دخلت الحرم، إذ لقيت الحسين...». ويمكن بيان مسوّغات هذا الخرق المختزل من الظروف الحاليّة والمقامية التي اتّسم بها الحوار، كالاتي:

أ- ظروف حالية تمثّلت بـ:

- أ/ ١- زمان المحاورة؛ وقت الحج سنة ستين للهجرة.
- أ/ ٢- مكان المحاورة كان في الطريق عند دخول الفرزدق للحرم المكيّ،

(١) المفيد، محمّد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٦٧. ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ٧٧، الخوارزمي، الموفق بن أحمد المكيّ، مقتل الحسين: ج ١، ص ٢٢٣، والطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٣٨٦، باختلاف يسير، ومختصراً في: ابن شهر آشوب، محمّد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٤، ص ٩٥، ونقله العلامة المجلسي، محمّد باقر، في البحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٦٥.

وخروج الحسين بن علي عليه السلام من الحرم؛ وقد اتّسم بالحركة والسرعة.

أ/ ٣- الهياة التي كان عليها الإمام عليه السلام «إذ لقيت الحسين بن علي عليه السلام خارجاً من مكة معه أسيفه وتراسه^(١) فقلت: لمن هذا القطار؟ فقيل: للحسين بن علي»، تُسهم في بيان المسكوت عنه في هذا الجواب المختزل، وكل تلك الظروف استلزمت حذر الإمام عليه السلام وحيطة الشديدين من أن يقتل قبل أن يلبي دعوة أهل الكوفة، وأنّ الوضع السياسي والأمني الذي كان يحيط بالإمام عليه السلام والأمة لم يكن مرضياً.

ب- سياق مقامي تحقق بـ:

ب/ ١- رغبة الإمام عليه السلام بترك الخوض في تفصيل جواب السائل، والانتقال إلى حديث آخر يخصّ السؤال عن حال القوم خلفه وموقفهم من بيعته.

ب/ ٢- مراعاة الإمام الحسين عليه السلام لقدرة المتلقّي البلاغية (الفردق) في التوصل إلى قصده المستلزم من هذا الجواب المختزل، فالمسكوت عنه الذي استلزمه الخرق، يتمثّل بتضييق السلطة الأموية على الإمام، ومحاولة أخذ البيعة بالقوة ليزيد. ومما ساعد على استنتاج القصد المسكوت عنه عوامل كثيرة، منها البحث في المسوّغات؛ ف«اللغة لا تختزل في نظام ترميزي شفاف للتواصل، فإنّ استعمالها وإنتاج الجمل وفهمها كل ذلك يتطلّب معارف غير لغوية، ويستلزم عمليات استدلالية»^(٢).

ب/ ٣- كتاب الإمام عليه السلام إلى أخيه محمد بن الحنفية الذي حرره في الثاني من محرّم الحرام، وهو ظرف اقتراب موعد الحسين عليه السلام مع الشهادة التي لا يسعه إلاّ التذكير بها. وقد قارب ذلك الكتاب خرق قاعدة الكم عبر الخرق المختزل «بسم الله الرحمن

(١) الترس: هو نوع من الأسلحة المتوقّى بها، والجمع أتراس، وتراس، وترسه، والترس: خشبة توضع خلف الباب يضرب بها السرير. يُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ٦، ص ٣٢.

(٢) آن ريبول، وجاك موشلر، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة د. سيف الدين دغفوس، د. محمد الشيباني، مراجعة د. لطيق زيتوني: ص ١٩. يُنظر: كلام الإمام الحسين مقارنة تداولية: ص ٥٨.

الرحيم، من الحسين بن علي إلى محمد بن علي، ومن قبله من بني هاشم، أما بعد، كأنّ الدنيا لم تكن، وكأنّ الآخرة لم تزل^(١)، حيث رسم لأخيه صورة تشبيهية مقتضبة، تنطوي على طباق مختزل^(٢)، وهو الدنيا = الآخرة، لم تكن = لم تزل.

وقد اعتمد الإمام الحسين عليه السلام في هذا الاقتضاب الكمّي الشديد للألفاظ على مبدأ التعاون بينه وبين أخيه؛ لأنّ الأخير لا شك أنه قد سمع كلام أبيه، ولذا اتّكأ الخطاب الحسيني المختزل على هذا التعاون التخاطبي بينهما. فكأنّ الدنيا عند الحسين عليه السلام قد تصرّمت، فأصبحت أثراً بعد عين، والآخرة عنده لم تزل شاخصّة أمامه يراها رأي العين لأنّه من طلابها، بل لعلّ مسوّغ الاختزال هنا تمثل في استحضره لكلام أبيه أمير المؤمنين عليه السلام الذي سمعه أخوه ووعاه، لا سيما أنّ الإمام عليه السلام قد استهلّ كتابه بقوله: «من الحسين بن علي إلى محمد بن علي»، فكأنّه كان قاصداً التذكير بكلام أبيهما (علي). مضافاً إلى ذلك ما اقتضاه السياق المقامي الذي تولّد عنه الخطاب من اختزال وتشبيه والتباس، وهو ما أنتج خطاباً متسقاً ومنسجماً على وفق خرق الكم والكيف والطريقة. وقد أنجز الإمام عليه السلام في هذا الخطاب الموجز فعّلين لغويين:

الأول: إعطاء معنى قضوي، كانت دلالته الحرفية: تشبيه الدنيا بالعدم، وتشبيه الآخرة بالبقاء.

الثاني: القصد المستلزم من هذا المعنى القضوي، وهو إيصال خبر استشهاد

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٥٧.

(٢) رسم الإمام علي عليه السلام ملامح هذه الصورة التفصيلية من قبل في خطبة يذكر فيها النّاس بالموت، وهو: (فكفى واعظاً بموتى عابتموهم، حملوا إلى قبورهم غير راكبين، وأنزلوا فيها غير نازلين، فكأنّهم لم يكونوا للدنيا عمّاراً، وكأنّ الآخرة لم تزل لهم داراً). يُنظر: نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق وشرح: الشيخ محمد عبده: ج ٢، ص ١٢٨.

الإمام عليّ إلى أهل المدينة. إذ أخبر عن نفسه بأنّه مقتول لا محالة، وهذا القصد لم يصرّح به المتكلّم، بل انتزعه المتلقّي انتزاعاً من السياق المقالي بمعونة الظروف المحيطة، والقرينة الخارجية التي هي خطبة أبيهما أمير المؤمنين عليّ المذكورة آنفاً.

A decorative border with intricate Islamic geometric patterns, including star and floral motifs, framing the central text area.

الفصل الثاني

الاستلزام الحواري في ضوء قاعدة الكيف

المبحث الأول

احترام قاعدة الكيف (Maxim Of Quality)

قاعدة الكيف: هي واحدة من أهمّ قواعد مبدأ التعاون في عملية التواصل التخاطبي، والتي تهدف إلى منع ادعاء الكذب أو إثبات الباطل. وبعبارة أخرى: لا تُقلّ ما تعتقد أنّه غير صحيح، ولا تُقلّ ما ليس عندك دليل عليه^(١). حيث يقتضي احترام هذه القاعدة من المتكلّم:

١ - تحرّي الصدق والاعتقاد في كل ما ينقل ويقول.

٢ - أن يكون الكلام على وفق اعتقاد صاحبه؛ بأن يمتنع المتكلّم عن قول ما يعتقد كذبه أو ما ليس له دليل عليه. فيكون المقصود بالصدق هنا هو التزام المتكلّم بالمحتوى القضوي لما قيل، وتجنّب العدول من أصل المعنى؛ لكي يصل المتلقّي مع مراعاة العوامل غير اللغوية إلى مراد المتكلّم وقصده من غير لبس أو غموض، وذلك لانتفاء القصد التواصلّي مع المخاطب فيما لو أُخلّ المتكلّم بالصدق. ومما يقارب هذه القاعدة وما تستلزمه من قصد:

(١) يُنظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواريّ في التداول اللساني: ص ٩٩ - ١٠٠، والخليفة، هاشم عبد الله، نظرية التلويح الحواريّ: ص ٢٩.

أولاً: توخى الصدق والاعتقاد فى كل ما ينقل ويقال

قول الإمام الحسين (عليه السلام) فى وصيته لأخيه محمد بن الحنفية: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد، المعروف بابن الحنفية: أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأنّ الجنة والنار حق، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من فى القبور، وأتى لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح فى أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضى الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي يا أخي إليك، وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب»^(١).

جاء خطاب الإمام (عليه السلام) متزامناً مع إعلانه المسيرة والخروج من مكة إلى العراق «يوم الثلاثاء لثلاثة مضين من ذي الحجة، وقيل يوم الأربعاء لثمان من ذي الحجة، سنة ستين، قبل أن يصله خبر مقتل مسلم؛ لأنه (عليه السلام) خرج من مكة فى اليوم الذى قتل فيه مسلم رضوان الله عليه»^(٢)، ليحدّد الإطار العام لمسيرته ونهضته الخالدة.

ففى هذه الوصية كانت المعطيات الخبرية التى قدّمها الإمام (عليه السلام) تعبيرات مباشرة؛ لأنه (عليه السلام) يمتلك الدليل القاطع على صحّتها وصدقها، ودليله القاطع مصدره ما يتمتّع به من مكانة دينية بفعل مقام الإمامة والعصمة، ومكانته

(١) الخوارزمي، الموفق بن أحمد المكي، مقتل الحسين (عليه السلام): ج ١، ص ١٨٨. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ص ٤٤، ص ٣٢٩. المهدي البحراني، عبد العظيم، من أخلاق الإمام الحسين (عليه السلام): ص ١٦٤. مع اختلاف فى العبارة.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف فى قتلى الطفوف: ص ٣٧، القندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى: ج ٣، ص ٥٩.

الاجتماعية، فهو من سادات قريش، وابن رسول الله؛ حيث جاءت الوصية متضمنة لكل مبادئ المسيرة الحسينية، صاغها بكل دقة؛ لتكون واضحة يفهمها جميع الناس، وهذا الوضوح يستلزم - بطبيعة الحال - إقامة الحجّة على الجميع؛ لكي لا يعترض أحد على عدم وضوح تلك الأهداف. وهو أمرٌ يمكن أن يكون مسوّغاً له عن عدم التقاعس، فذكر في رسالته مفاصل قويّة، تمثل صمّام أمان، يقف حائلاً أمام أيّ تهمة ضده، أو ضدّ أهداف المسيرة^(١).

فقد جاء خطاب الإمام عليه السلام مؤسساً على مرتكزات واعتقادات راسخة ومبادئ رصينة، كان مؤمناً بها، وصادقاً في كل ما جاء بها من تفاصيل:

أ- سمات المسير: إمتاز الخروج الحسيني بسمات، منها: أن الإمام عليه السلام لم يخرج:

- أشراً

- ولا بطراً

(١) من قبيل: أن الإمام عليه السلام عرض نفسه وأهل بيته من النساء والأطفال للتهلكة، والتهمة الأخرى التي راح بعض مرضى النفوس يتصيدونها، مستدلّين بقوله عليه السلام (شاء الله أن يراي قتيلاً، وأن يراهن سبايا) هي: إذا كانت إرادة الله حاصلة وماضية في خلقه، فأى فضيلة - لا سمح الله - لقيام الأمام الحسين عليه السلام بوجه الظلم والطغيان وتغيير السنّة والعبث بالشرعية السمحاء؟ إذا كانت سنن الله ماضية في خلقه فلم نسبّ يزيداً؟ وبالتالي كيف يحاسب الله يزيداً على أمر قد أُجبرَ عليه؟ ولم نقول الحسين عليه السلام ظلم؟ وفي الردّ على هذه الشبهة نقول إنّ الإرادة والمشية التي قصدها الإمام عليه السلام ليست إرادة ومشية تكوينيّة، بحيث تكون ماضية ويكون الفرد حيالها مجبراً، فالأمر عندهم عليه السلام (لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين أمرين)، ومن هنا يكون قصده عليه السلام بالإرادة والمشية هو الإرادة التشريعية التي من قبيل فرض الأحكام والتكاليف الشرعية (كالصلاة والصوم) التي اقتضت المشية الإلهية الالتزام بها وتطبيقها لكن لا على نحو الجبر والإكراه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

- ولا مفسداً

- ولا ظالماً

ب - أهداف المسيرة: لقد كانت أهداف المسيرة واضحة من خلال المقابلة بين أهداف المسيرة الحسينية وأهداف البيت الأموي، ومتجلية من خلال السيرة العملية للإمام الحسين عليه السلام. ومع ذلك رأى تقييدها وحفظها في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية، وهي:

- طلب الإصلاح
- ضد فساد بنى أمية.
- أريد الأمر بالمعروف
- ضد المنكر الذي شاع في البيت الأموي.
- أنهى عن المنكر
- المتمثل بأفعال السلطة وسياستها.
- أسير بسيرة جدّي
- سيرة معاوية وبنى أمية.

ج - الوصايا:

- إنّ الحسين عليه السلام يشهد أن لا إله إلا الله، ويكفر بكل معبود سواه.
 - إنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله سيّد الأنبياء وخاتمهم.
 - إنّ كل ما جاء من عند الله هو الحق، وما جاء من غيره هو الباطل.
 - إنّ الجنة والنار حق، يستلزم الاعتقاد بالثواب والعقاب.
 - إنّ الساعة آتية لا ريب فيها، فالدنيا فانية ولا أمان لها.
 - إنّ الله يبعث من في القبور، وهذا ما يستلزم المعاد.
- يمكننا فهم رسالة الإمام الحسين عليه السلام بالتمعن في هذه الأساسيات التي انطلقت منها المسيرة، فقد بيّن أهدافه عليه السلام بكل وضوح؛ لتكون بمتناول فهم الجميع، ولعلّ هذا من تمام المقاصد التي تتحصّل من احترام القاعدة؛ فإطاعة الحكم ومبادئ التحوار والتقيّد بها من المتكلم بصورة مباشرة، يعتمد على قدرة المخاطب التوسّعية

في فهم الكلام المنطوق، وتحليله عن طريق الاستنتاج والاستدلال المباشر المبني على افتراض أنّ المتحدث يطيع قواعد التخاطب في الأحوال الاعتيادية^(١). وبعبارة أخرى إنّ التقيد بمقولة الكيف يؤكّد للمتلقّي صدق المتكلّم فيما يقول، وفي ما نحن فيه يُعدّ التصريح بخبر ما، تلويحاً معمّماً يؤكّد اعتقاد المتكلّم بصدق الخبر^(٢).
تتضح معالم احترام قاعدة الكيف لدى رواد المسيرة الحسينية من خلال:

أ- مقصدية التوجيه

أ/ خطاب الإمام الحسين عليه السلام مع القوم

عند أول نزول للإمام عليه السلام في أرض كربلاء، خاطب القوم قائلاً: «أيها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوني، فإن قبلتم عذري وصدّقتم قولي، وأعطيتُموني النصف، كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا منّي العذر، ولم تعطوا النصف من أنفسكم ﴿فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾^(٣)، أمّا بعد، فانسبوني، ثمّ انظروا من أنا، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يحلّ لكم انتهاك حرمتي؟ أأست ابن بنت نبيكم، وابن وصيّيه وابن عمّه، وأول المؤمنين بالله، والمصدّق لرسوله بما جاء به من عند ربّه، أو ليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟ أو ليس جعفر الشهيد الطيّار ذو الجناحين عمّي...، أفما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟...، فإن كنتم في شكّ من هذا القول، أفتشكّون أثراً ما أُنّي ابن بنت نبيكم! فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم، أنا ابن بنت نبيكم

(١) يُنظر: الخليفة، هاشم عبد الله، نظرية التلوّيح الحواري: ص ٣٣.

(٢) يُنظر المصدر نفسه: ص ٤٥.

(٣) يونس: آية ٧١.

خاصة. أخبروني، أنطلبوني بقتيل منكم قتلته؟ أو مال استهلكته؟ أو بقصاص من جراحة؟...»^(١).

وعند تحليل الخطاب الأنف تظهر فيه بوادر قصديّة المتكلم بمراعاة ما يأتي:
- المتكلم هو الحسين بن علي عليه السلام، وهو إمام فرض الله على الناس طاعته في روايات مستفيضة، وهنا يتضح معنى السلطة المعنوية العليا الممنوحة لمنتج الخطاب.

- الأدلة التي ساقها المتكلم في خطابه على أحقيته في كل ما يدعي، ترك المتلقي مشلولاً حين يقف مفلساً أمام الأوامر التوجيهية التي انطوى عليها الخطاب، لا يحار جواباً.

- المخاطب مستحق للخروج عن مبدأ التأدب التخاطبي، وهذا أمر خارج عن حالة الإجرائية اللغوية، بل هو قرينة مستفادة من خارج السياق.
وعلى أية حال، فقد جاء الخطاب الحسيني مشحوناً بالتأدب على الرغم من تضمّنه الأوامر المباشرة من قبيل (انسوني، فانظروا، ارجعوا، عاتبوها، سلوا جابر، أخبروني..)، التي تعمل على زيادة خسارة المرسل إليه، وهم أهل الكوفة الذين قدموا إلى حرب الحسين عليه السلام، في حين تزيد من قيمة الذات المرسل للخطاب، بعد ما تُبقي المخاطب واجماً إزاء الأوامر الموجهة إليه خصوصاً حين لا يجد ما يمنحه التنصّل عن تلكم التوجيهات الأمرية. وقد استلزمت بداية المحاوراة التي استهلّها الإمام عليه السلام بـ (اسمعوني، وانظروني، ولا تعجلوني) مقاصد عدّة، منها:

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٢٢. أبو مخنف الأزدي، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١١٦. العسكري، مرتضى، معالم المدرستين: ج ٣، ص ٩٦. البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٨٨.

الأول: إنّ القوم حاولوا التشويش على خطاب الإمام عليه السلام واستعجاله، بل أكثر من ذلك، حاولوا أن يقطعوا خطابه؛ بسبب خوفهم من تأثر أفراد الجيش بكلام الإمام عليه السلام، فسعوا إلى مقاطعته بشتى الوسائل والسبل؛ لكي لا يفضحهم ويكشف زيفهم^(١)، ما دفع عمر بن سعد أن يمتعض ويقرّع القوم بقوله: «ويلكم، كلّموه فإنّه ابن أبيه، والله لو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً لما انقطع ولما حصر، فكلّموه، فتقدّم شمرٌ فقال: يا حسين، ما هذا الذي تقول؟»^(٢).

الثاني: يستلزم أنّ الإمام عليه السلام أراد إبراء ذمّته أمام الله؛ باعتبار أنّ للقوم عليه حقّ الهداية والإرشاد الحاكية عن حقيقة إمامته؛ فضلاً عن أنّه يستلزم الوفاء بالمواثيق والعهود التي بينه وبينهم. وقد ترجم لهم الإمام عليه السلام ذلك عملياً في سبيل تأدية حقوق الأمة، فخرج بأهل بيته والثلة من أصحابه، مُفصحاً عن هدف خروجه من مكّة بقوله: «لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً...، لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب عليه السلام»^(٣).

ثم انتقل في المقطع الثاني إلى أسلوب الشرط، حيث كثر توظيف الإمام عليه السلام لأداة الشرط (إنّ) وهي حرف شرط جازم تفيد تعلّق وقوع الجواب على تحقّق الشرط، من غير دلالة على زمكانية وقوع ركني الجملة الشرطية^(٤)، متجاوزة بذلك دلالة

(١) ومما يؤيّد صحّة هذا المعنى الظروف التي اكتنفت الخطاب - كما نقلها الطبري - منها: أنّ الحسين نادى بصوت عال...، وقول عمر ابن سعد، ومقاطعة الشمر للحسين... الخ. يُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٢٣. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٦١.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٦.

(٣) المصدر السابق: ج ٤٤، ص ٣٢٩.

(٤) يُنظر: الفوزان، عبد الله بن صالح، دليل السالك إلى ألفية ابن مالك: ج ٣، ص ٤٤.

أداة الشرط (إذا) الظرفية التي تفيد ما يستقبل من الزمان، وتكون لما تُقن وجوده أو رُجَّح أو كُثر، وحتميّة فعل الشرط معها أكبر، بخلاف (إن) فإنّها للمشكوك فيه^(١). ويغلب استعمال (إذا) في الأحكام كثيرة الوقوع، وتدّل على الجزم بشرطها، وغالباً يأتي شرطها ماضياً، وإن كانت تقلبه إلى الدلالة على المستقبل^(٢)؛ لهذا كانت ظرفاً لما يستقبل من الزمان.

أمّا سبب قلّة استعمالها في خطابه ﷺ الذي استعمله منبهاً فيه القوم وموجّهاً إيّاهم الوجهة الصحيحة، فيعوز إلى كونه على دراية ويقين بصفاتهم وخصالهم الدنيئة. وهذا ما نستشفه من المقاصد التي استلزمها الخطاب؛ والتي منها: فقدان الثقة واليقين من قِبَل الإمام ﷺ تجاه القوم بإمكانية تحقّق ما يدعو إليه على أرض الواقع، بل الأكثر شكّه بإمكانية تحقّق ذلك من أهل الكوفة؛ فقد كانت لهم سابقة مع أبيه علي بن أبي طالب وأخيه الحسن ﷺ. ومع أنّ الإمام ﷺ كان قاطعاً باستحالة رجوع هؤلاء القوم عن غيهم، إلّا أنّه لم ييأس ولم يقنط من محاولة إقناعهم بإثارة بقايا المروءة العربية والأخلاق الإسلامية من القيم النبيلة كالحميّة والغيرة، لعلّه يستنقذ منهم أحداً، أو يظفر بمسلم غيور، تهتّر مروءته لرؤية حال الإمام ﷺ، وما صار إليه أمر أهل بيته ونسائه وعياله وأصحابه في كربلاء. وهذا ما تحقّق بالفعل لثلة من القوم - كما أثبتته التاريخ - من قبيل الحرّ بن يزيد الرياحي.

وكيفما كان؛ فالإمام ﷺ لم يترك لهم مجالاً؛ سيما حين وضعهم أمام استفهامات توجيهية أقوى من ناحية الإنجاز التخاطبي في قصديّة التوجيه من الأمر المباشر؛ لأنّها استفهامات تقريرية، تكشف عن صدق صاحبها. ومع كونها سياقات

(١) المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني: ص ٣٦٧.

(٢) يُنظر: الصعيدي، عبد المتعال، البلاغة العالية (علم المعاني): ص ١٠٠ - ١٠١.

استفهامية من حيث المعنى القضوي، إلا أنها في معناها الإنجازي إخبار منه بحقائق تتعلق بذات المتكلم، حيث أن المخاطب على تمام المعرفة بحسب الإمام عليه السلام ونسبه، مضافاً إلى ذلك مكانته العالية التي انتزعها من إقرار القوم عبر آلية السؤال والجواب «وهي طريقة حوارية بارعة، تدفع بالخصم دفعاً إلى النتيجة التي يريدتها المحاور»^(١)؛ حيث اختار الإمام عليه السلام من الأسئلة ما يعلم أن إجابتها تدفع المخاطب نحو الإقرار بالنتيجة التي يريدتها، وبعبارة أخرى: أن معناها الحرفي استفهامات، في حين المعنى المستلزم منها - حوارياً - عبارة عن إخبار القوم بحقائق معينة، وإلزامهم الحجة. ويمكن إحصاء تلك الاستفهامات في قوله عليه السلام:

- هل يحل لكم قتلي؟
- أأست ابن بنت نبيكم ﷺ؟
- أأست ابن وصي نبيكم وابن عمه وأول المؤمنين؟
- أو ليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي؟
- أو لم يبلغكم قول مستفيض فيكم: أن رسول الله ﷺ قال لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنة؟^(٢).
- أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟
- أفتشكون أثراً بعد؟
- أتطلبوني بقتيل منكم قتلته؟
- ثم خرج الخطاب إلى مرحلة النداء؛ ليزيد في حراجة وإفلاس المخاطبين

(١) يُنظر: الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج ١، ص ٣٤٨.

(٢) يُنظر: البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج ١٥، ص ٤٠٩، ويُنظر: السبحاني، جعفر، الحديث النبوي بين الرواية والدراية: ص ١٦٣.

وخسارتهم، ما يجعلهم أمام واقع يعتمد على مناداتهم، والحال أن النداء يُخرج المنادى من العموم إلى التحديد والتخصيص، فتكون خسارته أقوى من دخوله بعموم الخطاب، ولذا نادى بقوله: «يا شُبث بن ربعي، ويا حجار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث»، مردفاً له باستفهام تقريرى إخراجى إفلاسي بقوله: «ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار، واخضر الجنب، وطمّت الجمال...»، فمقتضى الحال، قد كتبتم لي قد أينعت الثمار واخضر الجنب، إلا أن كلامه يستلزم قصداً أدق وهو: أن يا أيها القوم، أوفوا بما قلتم، والتزموا بما كتبتم، فليس من المروءة التنصّل والنكران. ثم يرجع ﷺ بعد ذلك إلى توجيهية النداء العمومي؛ ليكون هذا النداء السهم الأخير في كنانته التخاطبية، فيقول: «أيها الناس، إن كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمن من الأرض» ثم يختم بقوله: «لا والله، لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد»، حيث كرّر النفي مرتين؛ لتأكيد إخباره وإقراره التوجيهي لهم عبر قصديّة التوجيه، ليكشف عن ثبات في الموقف إزاء التحديات المحيطة به.

أ/٢- موقف الأنصار مع الحسين ﷺ

إنّ ما يقارب احترام قاعدة الكيف في خطب المسيرة الحسينية؛ هو حوار الإمام ﷺ مع أحد أصحابه حينما طلب الإذن بالقتال. فلما كان اليوم العاشر من المحرم، ووقع القتال، تقدّم الحجاج بن مسروق الجعفي^(١) إلى الحسين ﷺ، واستأذنه في القتال، فأذن له، ثم عاد إليه وهو مخضب بدمائه، فأنشده:

فدتك نفسى هادياً مهدياً اليوم ألقى جدك النبى

(١) عدّ من المستشهدين بين يدي الإمام الحسين ﷺ، وقد وقع التسليم عليه في زيارتي الناحية والرجبية. يُنظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج ٥، ص ٢١٤.

ثم أباك ذا الندى عىلىا ذاك الذى نعرفه الوصىا

فقال له الحسين (عليه السلام): «نعم، وأنا ألقاهما على أثرك، فرجع يقاتل حتى قتل»^(١).

يظهر من الحوار أعلاه أنّ الحجاج قد التزم بالمعنى القضوى للملفوظات، أى: الدلالة الحرفية للكلمات؛ لينجز فعلاً تأثيرياً من شأنه إيصال قصد المتكلم بكل دقة ووضوح، فجاء كلامه خالياً من الانزياحات اللغوية التى تقوم على استعمال اللفظ فى غير دلالاته المطابقة^(٢) (المعجمية)؛ إذ يكون للكلام بنية سطحية من شأن عامة الناس دركها، دون غموض أو تعقيد يتطلّب إعمالاً ذهنياً، كما هو حاصل فى البنية العميقة^(٣)، ولعلّ الذى سوّغ للمتكلّم التقيّد بمبدأ الكيف؛ هو:

١- معاينته لصلافة القوم وجرأتهم فى إصرارهم على قتال الإمام الحسين (عليه السلام).

٢- استنفاد جميع مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التى قد تتطلّب أحياناً التلميح أو الإقناع والحجاج.

٣- مراعاة حالة الإمام (عليه السلام) وإدخال السرور على قلبه.

كل هذه الأسباب جعلت المتكلم يتوخّى الدقة والوضوح فى إيصال قصده بصورة مباشرة، فجاءت كلماته طافحة بالصدق؛ لأنّها صدرت عن عقيدة وإيمان بها جاء به النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام)، حيث يكون الأسلوب المباشر فى كثير من الأحوال هو الأسلوب الأكثر تأثيراً، والأوقع نفعاً، والأجدى ضبطاً لبيان الموقف^(٤).

(١) السماوى، محمد، إِبصار العين فى أنصار الحسين (عليه السلام): ص ١٥٣. والأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٤، ص ٥٦٨.

(٢) أنواع الدلالة: مطابقة (معجمية)، تضمينية، التزامية.

(٣) يُنظر: الميدانى، عبد الرحمن حسن جنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، صور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد: ج ١، ص ٧٩.

(٤) يُنظر المصدر نفسه.

وقد جاء تصريح الحجاج بن مسروق بصورة مباشرة عبر فعل لغوي مباشر دلالة الحرفية هي الإخبار، قد دلت عليه القرينة البنيوية المتمثلة بالجملة الخبرية، وفعل لغوي غير مباشر استلزم منه صدق المتكلم. فالتصريح بخبر ما، يعدّ استلزاماً نمطياً معممًا يؤكّد اعتقاد المتكلم بصدق الخبر^(١)، ومن هذه المقاصد:

- الإمام عليه السلام قصد القول إنك في طريق الحقّ؛ لأنك ستلتقي الذوات المقدّسة.
- قصد تأكيد أرجوزته بحقيقة اللقاء، فضلاً عن الاستبشار للحجاج؛ كي يزيل عنه ألم القتل بالسيف حين يكون متشوّقاً لتلك اللقاء.
- قصد تطمين الحجاج ومواساته بأنني مقتول بعدك، فلا توجل ولا تتوجّس، والقتل على الإثر فيه تلويحٌ إلى وحدة السبيل.

٣/١ - حوارية مسلم بن عقيل عليه السلام وابن زياد^(٢)

- ابن زياد: إيه يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة؛ لتشتّتهم، وتفرّق كلمتهم، وتحمل بعضهم على بعض؟
- ابن عقيل: كلاً، لست أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارهم، وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل، وندعوا إلى حكم الكتاب
- ابن زياد: وما أنت وذاك يا فاسق، أو لم تعمل بذلك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر.

- ابن عقيل: أنا أشرب الخمر؟! والله، إنّ الله ليعلم أنّك غير صادق، وأنك قلت بغير علم، وأنا لست كما ذكرت، وأنك أحقّ بشرب الخمر منّي، وأولى به من يلغ

(١) يُنظر: الخليفة، هاشم عبد الله، نظرية التلويح الحواري: ص ٤٥.

(٢) يُنظر: الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الطبري ج ٥، ص ٤٠٢.

في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التي حرم الله قتلها، ويقتل النفس بغير النفس، ويسفك الدم الحرام، ويقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً.

- ابن زياد: يا فاسق، إنَّ نفسك تُمنِّيك ما حال الله دونه، ولم يترك أهله.

- مسلم بن عقيل: فمن أهله يا بن زياد؟

- ابن زياد: أمير المؤمنين يزيد.

- ابن عقيل: والله ما هو بالظنِّ ولكنَّه اليقين.

- ابن مرجانة: قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام.

- ابن عقيل: أما أنَّك أحقُّ من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، أما أنَّك لاتدع سوء القتلة، وقبح المثلة، وخبث السيرة، ولؤم الغلبة، ولا أحد من النَّاس أحقُّ بها منك.

ب- التزام الوضوح في تقديم المفوضات

ب/ ١- دعاء الإمام الحسين عليه السلام في آخر لحظات حياته

لما نظر الإمام الحسين عليه السلام إلى جمع بنى أمية كأنه السيل، رفع يديه بالدعاء، وقال: «اللهم، أنت ثقتي في كلِّ كرب، ورجائي في كلِّ شدة، وأنت لي في كلِّ أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد، وتقلُّ فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته إليك، رغبةً منِّي إليك عمَّن سواك فكشفته وفرّجته، فأنت ولي كلِّ نعمة، ومنتهى كلِّ رغبة»^(١).

(١) السساوي، محمد، إِبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ص ٣٢، المرعشي النجفي، شهاب الدين، شرح إحقاق الحق: ج ١١، ص ٦١٣. الدمشقي الباعوني، محمد بن أحمد، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام: ص ٢٨٤.

يدلي الإمام عليه السلام في هذا النصّ بحقيقة الاعتقاد الذي تربّى عليه البيت العلويّ، الذي يلمسه المتلقّي بصدق الاعتقاد المتجسّد في أقوالهم وأفعالهم، فهم عليهم السلام في الأرض حبل الله المتّصل بين الأرض والسماء. حيث يستلزم من هذا الخطاب أنّ الإمام عليه السلام - وبما لا يقبل الشك - صادق في كل ما يصدر منه تجاه الآخرين على طول مسيرته وحياته، فمن باب أولى أن يأتي الخطاب بكامل حمولاته الدلالية إزاء الذات الإلهية وحضرة القدس، التي تستلزم في هذا المقام مقاصد عدّة؛ منها:

- إظهار كامل العبودية والعجز والافتقار لله سبحانه وتعالى.

- خروج الجمل الخبرية من مقام الإخبار واستلزامها فعلاً إنجازياً آخر، لم يقصد منه الإمام عليه السلام المعنى القضوي الذي أفادته الدلالة الحرفية لعناصر التركيب، ألا وهو الاعتراف لله سبحانه وتعالى أمام جميع الخلق، وبيان حسن توكّله على الله في جميع أموره، فالله ثقته وعدّته في جميع أحواله، وإنّا قصد منه شيئاً آخر وهو: خروج ذاك الفعل اللّغوي المباشر الذي دلّت عليه الجمل الخبرية إلى إنجاز فعلٍ لغوي غير مباشر، أفاد طلب الدعاء؛ أي: (اللهم كن أنت ثقتي...) إلخ.

- رسالة تحمل قصدين: قصد تطميني لأصحابه بأنهم سينالون الشهادة والنصر على أعدائهم، فبدمائهم يحيى الدين، وتستمرّ تعاليمه. وآخر تعريضي بالآخرين الذين يتخذون الظالمين والفساقين عدّتهم، وثقتهم، ورجاءهم في جميع أمورهم، ولا شكّ أنّ النصر سيكون حليف من كان الله ثقته ورجاءه وعدّته.

والإمام عليه السلام بوصفه خليفة الله - مع قصر الخطاب - يقدّم دليلاً على صحّة اعترافه لأولئك الذين يجهلون حقيقة ومنزلته من خلال سوجه للفعل اللّغوي المباشر الذي خرج إلى الاعتراف وقد دلّت عليه القرينة (كم الخبرية)، فضلاً عن إنجاز فعل التعداد الذي استلزم منه إقامة الدليل على كل ما تقدّم. فكأنّه قصد إيهام الجميع بأنّ ما نزل به قديم، وما هو كائن من الهموم والبلاء، قد أنزله بساحة

القدس الإلهية رغبة، والرغبة أضافت معنى السعة عن طريق السؤال والطلب، مما يقتضي الإلحاح في الطلب على وجه السعة^(١) والكثرة، ففي الدعاء: «إليك رغب الراغبون، فرغبة هو من قولك رغب في الشيء كسمع، يرغب رغبة: إذا حرص عليه وطمع فيه، والهاء في رغبة لتأنيث المصدر»^(٢).

ومن دعاء الإمام الحسين عليه السلام قبل الاستشهاد:

«اللهم أنت متعالى المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غني عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابغ النعمة، حسن البلاء، قريب إذا دُعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر على ما أردت، ومدرِك ما طلبت، وشكور إذا شُكرت وذكور إذا ذُكرت. أدعوك محتاجاً، وأرغب إليك فقيراً، وأفزع إليك خائفاً، وأبكي إليك مكروباً، وأستعين بك ضعيفاً، وأتوكل عليك كافياً، احكم بيننا وبين قومنا بالحق، فإنهم غرّونا وخدعونا وخذلونا، وغرّروا بنا وقتلونا، ونحن عترة نبيك، وولد حبيبك محمد بن عبد الله، الذي اصطفيته بالرسالة، واثمنتته على وحيك، فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً، برحمتك يا أرحم الراحمين»^(٣).

نستشف من خلال الوقوف على الظروف المحيطة بهذا الخطاب، أن الإمام عليه السلام قد قاله في آخر لحظات حياته، حين توسّد التراب، وتكاثر عليه الأعداء ليُقطّعه بعد ما أثخنه الجراح. إذ لا شك أنها كانت ظروفًا عصيبة، تجعل الإنسان يذهل بنفسه عما سواه، إلا أن الأمر يختلف عند الحسين عليه السلام، فهو يدرك تماماً أنها أقرب

(١) يُنظر: الراغب الأصفهاني، الحسين، مفردات ألفاظ القرآن: ص ٣٥٨.

(٢) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج ٢، ص ٧١-٧٢.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٣٠٤.

لحظات الوصال مع معشوقه. لهذا يمكن عدّ كلماته في هذا الخطاب خرقاً مقامياً لمثل هكذا حالات، فقد انقطع عن نفسه وعن قاتليه وعن عياله إلى الله؛ ليرسم لوحة الانقطاع الفنيّة بكلماته التقديسية، مخالفاً نواميس الطبيعة، فإنّه لا يعبأ بسوى المعبود، جاعلاً من معبوده سكناً لطمأنينته وسعادته حين بثّ شكواه، بعد ما عجز عن عتاب قاتليه، منتقلاً من الشكاية الدنيوية إلى الأخروية، ومن النصرة البشرية إلى التعزية الإلهية.

ب- ٢ خطاب العقيلة زينب عليها السلام ليزيد في الشام:

«والله، ما اتقيت غير الله، ولا شكواي إلّا إلى الله، فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا يرحض عنك عار ما أتيت إلينا أبداً، والحمد لله الذي ختم بالسعادة والمغفرة لسادات شبان الجنان فأوجب لهم الجنة، أسأل الله أن يرفع لهم الدرجات، وأن يوجب لهم المزيد من فضله فإنّه ولي قدير»^(١).

وقولها أيضاً: «فمهلاً مهلاً، لا تطش جهلاً، أنسيت قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾»^(٢)
أمن العدل - يا ابن الطلقاء - تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله صلّى الله عليه وآله سبايا! قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفّح وجوههن القريب والبعيد والدنى والشريف، ليس معهن من رجالهن ولي، ولا من حماتهن حمي»^(٣).

(١) ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء: ص ٢٣. صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ج ٣، ص ١٣٩.

(٢) آل عمران: آية ١٧٨.

(٣) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٧، ص ١٣٩. البحراني، عبد الله، العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ص ٤٠٣.

هنا جاء النهي من السيدة زينب عليها السلام مع كونه طلباً بالكفّ عن الطيش، وأساليب الطلب لا تصدر إلا من صاحب سلطة عليا إلى من هو دونه رتبةً، فلا فرق بينه وبين الأمر، وإلى هذا ذهب جمهور العلماء^(١). ومع هذا يمكن أن ترشّح عنه معانٍ عدّة مستلزمة:

أولاً: مقصد سياسي تمثّل في أنّها عليها السلام أرادت أن تلفت انتباه يزيد ومن في مجلسه بأنّها أعلى سلطة من يزيد، وأنّها مع ماهي عليه من عظم المصائب إلا أنّ مركزها الديني وسلطتها المعنوية باقيان؛ لاتنسأها إلى البيت العلوي، وإن ادّعى يزيد اغتصابها، وهو ما أفادته قوّة الحجّة التي حاججته بها حين قالت عليها السلام: «لَكَ مُسْتَوْسِقَةٌ، وَالْأُمُورَ لَدَيْكَ مُتَسِقَةٌ، وَحِينَ صَفَا لَكَ مُلْكُنَا، وَخُلُصَ لَكَ سُلْطَانُنَا»^(٢). فمع أنّ المقام هو أنّ السيدة زينب عليها السلام كانت أسيرة مقيّدة، إلا أنّ مقامها الإلهي ونسبها الطاهر قد خوّلها الأمر والنهي، كاشفة من خلال ذلك عن بطلان حكم يزيد، وغضبه من أهله ومستحقّيه.

(١) ومن أشهرهم أبي العباس المبرّد (٢٩٣ أو ٢٨٥هـ) بقوله: (واعلم أنّ الطلب من النهي بمنزلته من الأمر، يجري على لفظه كما يجري على لفظ الأمر) المبرّد، محمّد بن يزيد، المقتضب: ج ٢، ص ١٣٥، وللنهي صيغة أصليّة كما للأمر صيغة أصليّة، وهي (لا) الناهية الجازمة؛ إذ (للنهي حرف واحد وهو لا الجازمة في قولك لا تفعل، والنهي محذو به حذو الأمر في أنّ أصل استعمال (لا تفعل) أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، فإن صادف ذلك أفاد الوجوب، وإلا أفاد طلب الترك فحسب...، والأمر والنهي حقّهما الفور) السكاكي، يوسف بن محمد، مفتاح العلوم: ص ٣٢٠.

إذن هو طلب الكفّ عن فعل شيء على وجه الاستعلاء والإلزام، ولا يأتي إلا بهيأة المضارع المقترن بلا الناهية، وقد أجادت السيّدّة عليها السلام استعماله في مقصديّة التوجيه، حيث استلزم معنى التحقير والإهانة، والذي هيأ المتلقّي لفهم هذا المعنى المستلزم هو تضافر سياق الكلام مع القرائن الحالية والمقامية، فضلاً عن توخّي السيدة زينب عليها السلام إختيار الألفاظ الواضحة التي جاءت مفعمة بروح الأمان وصدق الاعتقاد.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٥.

ثانياً: مقصد أخلاقي، فقد جاء النهي ممزوجاً ومشبعاً بالتحقير والإهانة. فهي أرادت عبر تمثّلها تكليف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن توجه المتلقّي إلى الكفّ عن الطيش. إذ لا منكر أعظم من قتل الحسين عليه السلام، وانتهاك حرمة الطاهرة. وقد عرّضت العقيلة عليها السلام بعدالة هذا السلطان الجائر من خلال سوق ما يثبت جهله وحقاقته؛ إذ يخدّر حرائره وإماءه، في الوقت الذي يسبي بنات رسول الله صلى الله عليه وآله. وهذا ما ينبأ أنّها عليها السلام استثمرت جملة من الظروف التي اكتنفت الخطاب، ومنها:

- الحشد الكبير من الناس والوجهاء المضللّين، الذين شهدوا اعتداء يزيد على الرأس الشريف والعتره.

- الخطاب حصل في عقر دار يزيد، وفي عظم الشعور بنشوة النصر والغترسة^(١).

- الحالة النفسية المتناقضة التي كان عليها طرفا الحوار.

- التعدّي السافر على الرأس الشريف من الطاغية - عندما أخذ ينكث ثانياً أبي عبد الله بمخصرته - مع سكوت أغلب الحاضرين وخنوعهم، من أهل الشام الذين شاهدوا انتهاك حرمة الرأس الشريف.

وقد أفادت السيّدّة زينب عليها السلام من ظاهرة التكرار في النفي، في الجمع بين لا النافية والفعل المضارع - وذلك في الخطبة نفسها - كي يعطي هذا التكرار (لا تدرك، ولا تبلغ غايتنا، ولا تمحو ذكرنا) معنيين دلاليين:

المعنى القضوي: المتمثل بدلالة عناصر التركيب المعجمية، والنحوية، أي: الدلالة الحرفية، وهي الإخبار.

القصد المستلزم: استلزام النهي والنفي تعجيز المتلقّي، وإعلامه أنّه مهما حاول

(١) غطرس، الغترسة: الإعجاب بالنفس، والتطاول على الأقران. يُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ٤، ص ٤٦٢ - ٤٦٣.

جاهداً، فإنّ جميع محاولاته ستبوء بالفشل. وهنا يبرز معنى آخر؛ وهو التعريض بمحاولات معاوية من قبل، إذ على الرغم مما كان يتمتع به من قوّة إلا أنّه لم يتمكن من بلوغ مآربه، فما بالك بيزيد.

المبحث الثاني

خرق قاعدة الكيف

ما دام الخطاب السياسي خطاباً تأثيرياً، يهدف إلى التأثير في الآخر، ويجعله يبادر إلى العمل^(١)، فبطريق أولى يكون الخطاب الديني - هو الآخر - خطاباً تأثيرياً إقناعياً، هدفه التأثير في المخاطب المتلقّي، وبعثه على إيجاد فعل عملي يسانخ ذلك المخاطب.

وعليه؛ يمكننا القول أنّ الغاية من تنوّع الوسائل في التواصل الخطابيّ، هي إيجاد تأثير في المخاطب عبر إقناعه. ولا يكفي تعدّد الطرق، إن لم يكن هناك تمكّن من اللغة وأدواتها، فتتراوح أساليب التأثير بين الوضوح الحاصل من الأفعال اللّغوية المباشرة ودلالاتها السطحية، وبين المجاز والانزياحات اللّغوية التي تتحصّل من الفعل اللّغوي المباشر بمعونة مجريات الأحداث والسياق المقامي، مع وعي المخاطب بأسس التواصل، وتسلّطه على ناصية اللغة وأدواتها، للوقوف على مقاصد المتكلّم، متوخّياً في ذلك مقارنة المعنى من القصد المطلوب، ومستبعداً الدلالة الظاهرة للتركيب عبر سلسلة من الاستدلالات العقلية التي تربط بين علاقة الفاعلين المباشر وغير المباشر. حيث يقتضي الإخلال بهذه القاعدة والاستخفاف بها حصول أغلب أنواع الصور البيانية، من التشبيه والاستعارة

(١) الحاج، ذهبية حمو، التحليل التداولي للخطاب السياسي: ص ٢٣٩.

والكناية والتهكّم والتلويح والمبالغة.. إلخ^(١). وبالنظر لأهميّة أكثر نصوص مادة الرسالة وقداستها؛ فلا يصح أن تبقى هذه القاعدة على صياغتها، وبالأخص عندما يحصل الاستخفاف بها، فيكون ناتج الخرق الكذب وإبلاغ ما لا برهان أو دليل على صحّته، مع الالتفات إلى أنّ المقصود من الكذب ليس بمعناه غير الأخلاقي؛ لذا تقرّر تعديل صياغة القاعدة؛ لتناسب مع هذا المحذور الأخلاقي، وعلى وفق الآتي: «تقيّد بدلالة الألفاظ المعجميّة أي: بدلالاتها الحرفية، وتجنّب الانزياحات المجازية» وبذلك يكون التزام المتكلّم بالدلالة الحرفية للكلام، والتقيّد بمعناه المعجمي، مصداقاً لتحقيق الاتصال المباشر، بلا لبس أو غموض، ويكون الخرق حاصلًا من تجاوز الدلالة الحرفية والمستوى المعجمي، في صياغة متواليات الخطاب إلى الصور البيانية والانزياحات المجازية، لبلوغ مراد المتكلّم ومقاصده^(٢)، والاستخفاف في قاعدة الكيف وهو ما عليه أكثر خطب المسيرة الحسينية، التي إتّكأت على الوسائل البيانية من التشبيه والاستعارة والكناية، فهي أجدى في تقريب الصورة إلى ذهن المتلقّي، وأبلغ في الإقناع والتأثير في السامع؛ لأنّ الفكرة التي تقفز إلى ذهن المتلقّي، تعتمد دائماً «صياغة اللّغة، أو بناء صورة أسلوبية من مادّة لغوية»^(٣). وسيتناول البحث المقاصد الناتجة عن خرق هذه القاعدة على ثلاثة مستويات:

(١) يُنظر: فرانيسكو يوس راموس، مدخل إلى دراسة التداولية، مبدأ الملاءمة والتاويل، ترجمة وتقديم: يحيى حمدان، ص ١٠٠.

(٢) يُنظر: عمّار حسن عبد الزهرة، أدعية الصحيفة السجّاديّة دراسة تداولية: ص ٧٣ - ٧٤.

(٣) جان كوهين، بنية اللّغة الشعريّة، ترجمة: عبد الولي ومحمّد العمري: ص ٢٣.

أولاً: التشبيه

وهو من أبرز مباحث علم البيان، الذى تنتهى دلالتة إلى المجاز^(١)، وهو خلاف الحقيقة، فإذا كان الخطيب أو منتج الخطاب يبتعد فى التشبيه عن الدلالة الحقيقة ويتجاوزها منتهاً المدلول اللفظى على المستوى المعجمى، فإنه يكون بذلك مستخفاً بقاعدة الكيف التى تقرّر أنّها تنصّ على التمسك بالدلالة الحقيقة؛ لأنّ طرفى التشبيه - فى الغالب - إنّما يلتقيان ويتشابهان بالمقارنة على المسامحة والاصطلاح لا على الحقيقة^(٢)

صدّر الإمام الحسين عليه السلام خطابه^(٣) - بعد ذكر الله تعالى - بقوله: «خُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة»^(٤)، حيث جاء بناء الفعل الماضى (خُطّ) للمجهول؛ ليدلّ استلزماً أنّ الاهتمام اللغوى للخطاب جاء منصباً على حدث الفعل المبني للمجهول الذى لا تؤدّيه آليات الفعل، فيما لو كان الفعل مبنياً للمعلوم^(٥)، أي: أنّ الدلالة التى يريدّها النصّ هى دلالة الحدث الفعلى من خلال إسناد الفعل إلى نائب الفاعل (الموت) الذى هو المقصد الحقيقى لتوظيف الخطاب، وهى من الصور البلاغية الجميلة التى تستلزم حمل الشحنة الخطابية العميقة لمكنون النصّ التوصيفى للحياة السرمدية. إذ قلّمًا يتناولها المبدعون فى تحويل الصورة

(١) يُنظر: القىروانى الأزدي، أبو الحسن بن رشيق، العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده: ج ١، ص ٢٦٨. ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر: ج ٢، ص ٧١.

(٢) القىروانى الأزدي، أبو الحسن بن رشيق، العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده: ج ١، ص ٢٦٨.

(٣) وهو أوّل خطاب له عليه السلام فى أصحابه قبل انطلاق المسيرة.

(٤) الحلى، ابن نهار، مثير الأحرار: ص ٢٩. المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٦٦. الأمين، محسن، لوايح الأشجان: ص ٧٠. الحلوانى، الحسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص ٨٦.

(٥) يُنظر: هادى سعدون هنون، التصوير الفنّى فى خطب المسيرة الحسينية: ص ٩٥.

المخيفة للموت، وما تتركه من جانب نفسي يبعث الوجل والهلع والخوف في نفوس سامعيه، فتجعل ذكر الموت من مناشئ الطيرة عند الكثيرين، إلا أن الإمام عليه السلام قد ألبسه اللباس الذي يرفع منه الصورة المأساوية؛ ليزينه للآخرين بهذه الهيئة التي تجتذب السامعين، لا سيما أن الإمام عليه السلام كان يعيش لذّة الأنس بقاء الله تعالى بعد الموت، التي قلما يشعر بها الناس. فكان قصده عبر هذا الخرق أن يذيقهم حلاوة هذا الأنس من خلال براعته في استعمال خرق هذه القاعدة، مستخدماً ريشة التشبيه في رسم هذه الصورة الرائعة، المنبئة عن شعوره بحاجة الأمة إلى هذا اللقاء. كما جاء نداؤه مستلزماً للاستنصار الجماعي، وهو توظيف بلاغي يهدف إلى تصوير العالم الماورائي (المتافيزيقي) كونه من العوالم المعنوية غير المحسوسة بصورة فنية حسنة جميلة، تبعث الراحة والانجذاب والشوق لدى المتلقي؛ لأن لفظ الفتاة مما يشعر السامع بنوع من التفاؤل والوثام والعطف والإستقرار^(١)، فهو تشبيه من نوع التشبيه البليغ، إذ حذفت منه أداة التشبيه ووجه الشبه، وقد عدّ من أرقى أنواع التشبيه عند السكاكي (ت ٦٢٦هـ)^(٢)، إذ تتجلى فيه معالم التصوير الفني لحقيقة حتمية يصفها القرآن لشدة هولها بأنها مصيبة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتُمْ مَصِيبَةً الْمَوْتِ﴾^(٣) وهي من الحقائق التي لا بدّ منها؛ إذ أنها مآل كل المخلوقات بلا استثناء، في حين أن الإمام عليه السلام كان قد وجه خطابه إلى بني آدم من دون غيرهم^(٤)، ذلك لأن الغاية والقصد من وراء الخطاب هو التوظيف التعبيري المشحون للتأثير في المتلقي، وحثه كي يركب مع الحسين عليه السلام سفينة النجاة

(١) يُنظر: هادي، سعدون هنون، التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية: ص ٩٦.

(٢) يُنظر: السكاكي، يوسف بن محمد، مفتاح العلوم: ص ٤٦٤.

(٣) المائدة: آية ١٠٦.

(٤) الصدر، محمد، منبر الصدر: ص ٣٧.

العازمة على الرحيل، فكان على الحسين عليه السلام أن يوظف بلاغته من أجل توضيح نداء الاستنصار عبر تحديد المضمون بموضوع النصرة، وهم السامعون من الرجال كونهم الأدوات الحقيقة للثورة.

يشترط علماء البلاغة المتقدمون أن تكون ثمة علاقة تلازمية ما بين المشبه والمشبه به؛ كي تكتمل الصورة التشبيهية لدى المتلقي، وحتى لا يجد هذا الأخير نفسه أمام عمل إبداعى عقيم، يخلو تماماً من الصورة الإبداعية لخلوه من التصوير التشبيهي المؤلف.

وعليه؛ لا بدّ من توفر جهة جامعة بين المشبه والمشبه به، وهو ما يعرف عندهم بوجه الشبه، الذي لا يشترط وجوده فى النص، بل يكفي اشتراط ارتسام صورته القريبة فى أذهان السامعين، وأن يكون غير بعيد عن الذوق المؤلف. فهل تخلى الخطاب الحسيني الآنف عن أسس التشبيه المؤلف أو لا؟

لكي نتزع الجواب المناسب عن هذا السؤال؛ أرى أنني ملزم بسبر أغواره من خلال استعمال بعض الآليات اللغوية والتداولية فى عملية الاستنطاق، والتي من شأنها معرفة المسوّغات والظروف التي تكتنف الخطاب:

أ- يُستشعر للوهلة الأولى أنّ حتمية الموت على بني البشر لا تتناسب مع تشبيهه بالقلادة التي يستعملها ويتقلدها القليل من الفتيات.

ب - فالواقع يحكي بأن قلادة العنق وقف على الميسورات من النساء^(١)، فليس من داع أن تكون مورداً لأن تشبه بالموت الحتمي على بني البشر، إذ ليس من التلازم فى شيء أن تكون القلادة مورداً لتشبيه الحتميات؛ لأنّ الملازمة بين القلادة وبين العنق ليست من مصاديق الملازمة العقلية كي تكون مشبهاً به فى المقام،

(١) يُنظر: الصدر، محمد، منبر الصدر: ص ٣٧.

كالملازمة بين بني آدم وبين الموت الذي توطنه الآية الشريفة ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(١). نعم يبقى ثمة توجيه آخر يعتمد على فهم المراد (القصد) لأننا أمام كلام الإمام المعصوم، وكلامه من القداسة بمكان، فالإمام الرضا عليه السلام يقول: «إنَّ في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن، ومحكماً كمحكم القرآن، فردّوا متشابهها إلى محكمها، ولا تتبّعوا متشابهها دون محكمها فتضلّوا»^(٢).

وعليه؛ (خطّ الموت) في حقيقته وواقعيته وحتميّه كحتميّة كون القلادة خطّاً على عنق الفتاة، وليس على مكان غيره^(٣)، فالقلادة سمّيت كذلك؛ لأنّها تكون معلّقة في العنق، ولا ريب أنّ تأرجحها على الأعناق مما لا يقول بخلافه أحد. وبعبارة أخرى: كل قلادة تكون معلّقة على أعناق الفتيات، وليس كل الفتيات ترتدين القلائد، فالكلام إذاً في حتمية تدلّي القلادة على أعناق الفتيات، وهذا لا محيص عنه، وهو المقصود من وراء هذا الخرق في قواعد الحوار، في حين يفرّق بعضهم بين اسم المكان واسم المصدر في كلمة (مخط)، فإن كان المراد منها اسم المكان فهي جلدة العنق التي لا تنفصل عنه، كما لا ينفصل الموت عن ولد آدم، وإن كان اسم المصدر فهي كالدائرة التي تطوّق الجيد، فلا يخرج منها، كما أنّ الموت يطوّق صاحبه^(٤).

ومن اللافت للنظر أنّ الإمام عليه السلام لم يكن وحده من يستذوق طعم الموت وحلاوته في سبيل المعاني السامية، بل سرى هذا الاستشعار إلى رجال النهضة جميعهم من غير وقف على واحد بعينه. حيث صار الموت دون الحسين عليه السلام لديهم سبيلاً للإشراف على السعادة الأبدية التي لا يستشعرها الجاهل بحقيقة سيّد

(١) الزمر: آية ٣٠.

(٢) يُنظر: الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٢٦١، حديث: ٣٩.

(٣) يُنظر: الصدر، محمد، منبر الصدر: ص ٣٧.

(٤) يُنظر: السماوي، محمد، إبصار العين في أنصار الإمام الحسين عليه السلام: ٤٢، و ٢١.

الشهداء عليهم السلام. فهذا القاسم بن الحسن عليه السلام الذي يقول عنه المؤرّخون بأنّه لم يبلغ الحلم، يسأله عمّه الحسين عليه السلام قائلاً: «يا بني، كيف الموت عندك؟» فيجيبه: «يا عم أحلى من العسل»^(١)، وكما يروي الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) في إرشاده: أنّ الحسين عليه السلام في طريقه إلى كربلاء جعل يقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين، ففعل ذلك مرّتين أو ثلاثاً، فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين عليه السلام على فرس، فقال: ممّ حمدت الله واسترجعت؟ فقال: يا بني، إني خفقت خفقة فعنّ^(٢) لي فارس على فرس، وهو يقول: القوم يسرون، والمنايا تسير إليهم، فعلمت أنّها أنفسنا نُعيت إلينا، فقال له: يا أبت، لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحق؟ قال: بلى، والذي إليه مرجع العباد، قال: فإنّنا إذاً لا نبالي أنْ نموت محقّين، فقال له الحسين عليه السلام: جزاك الله من ولد خير ما جرى ولداً عن والده»^(٣). ومن هذه المقاصد التي خرج إليها هذا الخطاب:

١- الشوق إلى لقاء المعشوق

ينطوي الخطاب الحسيني، بالإضافة إلى ما سبق، على وصف للحالة التي تغمر الإمام عليه السلام، كالوله والشوق للقاء أسلافه الذين فارقوه، وهم جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، وأبوه علي عليه السلام، وأمّه فاطمة عليها السلام، وأخوه الحسن عليه السلام، وقد أفصح عن هذا الشوق بقوله: (وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف)، ليكشف لنا مدى الشوق الذي يعتصر قلبه المقدّس للقاء الأحبة الذين سار على خطاهم التي بلغوا بها مقام رضا الله تعالى، مما ينبئك عن عظم الوشيجة التي تربطه بتلك الذوات

(١) البحراني، هاشم، مدينة المعاجز: ج ٤، ص ٢١٤-٢١٥.

(٢) خفق: نام نومة خفيفة. وعنّ: ظهر أمامه.

(٣) المفيد، محمّد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٨٢.

المقدّسة من أصحاب الكساء، وهو شوق إلى المقامات الرفيعة العالية المدخرة لهم وللحسين عليه السلام نفسه، إذا ما سار على الخطى المقدّسة لهم؛ لينالها بمقام الشهادة^(١). وقد جاء تشبيهه لشوقه بشوق نبي الله يعقوب عليه السلام إلى معشوقه النبي يوسف عليه السلام حتى أذهب بصره، كما يعبر القرآن الكريم عنه بقوله: ﴿وَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفُ عَلَى يَوْسُفَ وَأَبِصَّتْ عَيْنَاهُ مِنْ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾^(٢)، ولعلّ الالاف للنظر أنّ هذا الكلام من الإمام الحسين عليه السلام قد يستبطن ذمّاً - في الجملة - للأمة الإسلامية التي لم تعرف حق الحسين، فتركته غريباً، يستصرخ أسلافه الموتى. وهو ما يكشف عن تدمّره من الدنيا وأهلها، حيث تحلّى هذا الشعور جليّاً حينما زار قبر جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، فقال له - حين رآه في المنام -: «يا جدّاه، لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا، فخذني إليك، وأدخلني معك في قبرك»^(٣). ناهيك عن المواقف الأخرى التي يكفي الباحث الإطلاع عليها ليستشف مدى أنس الحسين عليه السلام بالموت، جاعلاً من الموت القنطرة التي توصله للقاء الله تعالى، والتي جسّدها بكلمات نثرية وشعرية، منها:

- قوله في مسيره إلى كربلاء: «إني لا أرى الموت إلا سعادةً، والحياة مع الظالمين إلا برماً»^(٤).

- وقوله مخاطباً عبد الله ابن الزبير: يا ابن الزبير، لأن أدفن بشاطئ الفرات أحبّ إليّ من أن أدفن بفناء الكعبة»^(٥).

(١) يُنظر: الصدر، محمد، منبر الصدر: ص ٣٢ - ٦٢.

(٢) يوسف: آية ٨٤.

(٣) يُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٨.

(٤) يُنظر: ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٢٤.

(٥) يُنظر، ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٥٢.

- وأنشد يوم عاشوراء: الموت خير من ركوب العار، والعار أولى من دخول النار^(١).

فقول الإمام عليه السلام يحمل شحنتين دلالتين:

المعنى القضوى: هو الدلالة الحرفية (المعجمية) لعناصر التركيب، وهو الإخبار القصد المستلزم: قصد الإمام عليه السلام إصراره على المضي قدماً فى مواصلة هدفه الذى خرج من أجله، وهو الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسير بسيرة جدّه حتى الاستشهاد. ذلك المسار الآمن من عار الخنوع والخضوع للظالمين فى إعطاء البيعة.

إنّ الإمام عليه السلام فى كل ما تقدّم من متوالياته اللفظية، وتام الاعتقاد وكمال فى ما يفعل ويقول، يمتلك الدليل القاطع على صحّة أقواله بدليل قوله: «ألا وأنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات ممّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك، ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبيّة، من أن نؤثر طاعة اللئام، على مصارع الكرام»^(٢). ومدلول هذا الكلام أنّكم (أيها القوم) إذا كنتم تحسبون القتل، وسفك الدماء، وسبى النساء، وحرق الخيام - التى هى من عادات الجاهلية - وتقطيع الأجساد عاراً، فإنّ هذا العار الذى يلحق الإنسان لأجل مبدأ إحقاق الحق هو أولى من دخول النار، الذى ستجزونه بسبب خوفكم وخنوعكم، وهو أمرٌ سيجعلكم مستحقّين له عاجلاً غير آجل، ذلاً ومهانةً فى الدنيا وعذاباً أليماً فى الآخرة.

(١) يُنظر: البحراني، عبد الله، العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ص ٦٧.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٤. الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص ١٣١. العسكري، مرتضى، معالم المدرستين: ج ٣، ص ٣١٣.

- وأنشأ مخاطباً الحرّ بن يزيد الرياحي - حين قال له الحرّ: ارجع إلى حرم جدّك، فإنّك مقتول - :

سأمضي فما بالموتِ عارٌ على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً
وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً وباعد مجرماً
فإن عشت لم أندم وإن متُّ لم أُلَم كفى بك ذلاً أن تموت وترغماً^(١).
إنّ المعنى الحرفي لهذه الأبيات، هو دلالتها الحرفية على الإخبار. أما المعنى المستلزم؛ فهو تصميم الإمام عليه السلام وعزمه على إحدى الحُسنيين، إمّا النصر وإمّا الشهادة، اللذين علّلهما بالآتي:

علل النّصر بتحقيق ما خرج من أجله، وبالتالي لا حاجة للنّدم واللوم ما دام قد تحقّق النّصر، وعلّل الشهادة، بوصفه إماماً أدّى تكليفه الشرعي والأخلاقي على أتّم وجه، فلم يكن الموت عنده سوى برزخ يصل به إلى السعادة الأبدية، ويحصل به على المقام الذي أدّخره الله ﷻ له بعد شهادته في كربلاء. وهو من المعاني التي لم يفهمها معاصروه، فكان عليه أن يسعى لتبيين هذه الحقيقة لغيره، وهو انتقال من الخطاب العام إلى الخاص؛ ليكشف عن مكنون الخطّة الحسينية المفضية إلى الشهادة. وهذا ما استقرّ في نفس الحرّ بعدما أدرك من خلال تلك الأبيات قصد الإمام عليه السلام، قال الطبري: «فلما سمع ذلك منه الحرّ تنحّى عنه، وكان يسير بأصحابه في ناحية والحسين عليه السلام في ناحية أخرى، حتّى انتهوا إلى عذيب المهجانات»^(٢).

(١) المفيد، محمّد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٨١. الريشهري، محمد، الصحيح من مقتل سيّد الشهداء وأصحابه عليه السلام: ج ١، ص ٦٦٩.

(٢) موسوعة شهادة المعصومين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام: ج ٢، ص ١٥٣.

٢- الإخبار الغيبى

انتقل الإمام (عليه السلام) بعد ذلك إلى ملامسة البعد الغيبى - من خلال ما يجرى عليه بالتحديد - لما ستنهى إليه هذه الرحلة الطويلة، وذلك حين وصف حقيقة ما سيجرى بالوصف ذاته الذى بدأ به، وهو الإخبار بالفعل الماضى المبني للمجهول فى قوله: (وخير لي مصرع أنا لاقيه)؛ لكي يعبر الفعل المبني للمجهول عن حقيقة بلاغية لا يحققها غيره من الأفعال، أو لا يحققها الفعل نفسه لو كان مبنياً للمعلوم، وذلك بالتركيز على الشحنة الدلالية للحدث الذى يحملة فعل الاختيار؛ ليكشف للسامع دوافع التخطيط الإلهي لهذا الخروج، وأنه لم يكن إرادياً بالمعنى الدقيق؛ لأنه بُلِّغَ بضرورة الخروج سلفاً، وأن المسألة ليست منوطة بالخروج فقط، إنما المراد هو تحديد ما يترتب على خروجه حينما جعل الفعل مسنداً إلى نائب الفاعل (مصرع) الذى يصور تلکم النتيجة، بعدما أخفى النصّ الفاعل الذى كان وراء الاختيار المذكور لهذا المصرع الحتمى؛ لكي يكشف قصده ويوصله، كونه يسير بأمر من السماء. وبذلك يتسنى للمخاطب والسامع فهم أن الإمام (عليه السلام) يسير على خطى مرسومة له من قبل من لم يصرح باسمه فى خطابه، الأمر الذى يجعل السامع أمام هذا النصّ البلاغى الجميل الذى يقتضى الإذعان لطلب الخطاب المستلزم للنصرة يركّز على درك أنس الإمام الحسين (عليه السلام) بقاء الله، بدلاً من أن يفتش عن الأمر له.

ومع ذلك لم ينف بالمرة إرادته فى تحقيق هذا التخطيط الإلهي المأساوي وتليته، ولهذا قلت: لم يكن إرادياً بالمعنى الدقيق، وهذا الإطلاق التركيبى للسياق له قيمته العقديّة فى زمن الحسين (عليه السلام)؛ لأنّ الأمة تعيش سبات المخدر الأموي القائم على سيادة الأمة، وحكمها واستعبادها تحت عنوان حاكمية الله التى يمثلها الخليفة الأموي بالاعتماد على بعض الروايات الموضوعة، التى تسند هذه الفرية المخالفة للأسس والثوابت الدينية الحقّة. وهذا ما يجعل هذا الأمر حاضراً فى الخطاب الأوّل

للإمام عليه السلام، حين قال: (أنا لاقية)، ليجمع بين الأمر الإلهي وبين حرّية التنفيذ والخضوع والاختيار للقضاء الإلهي، وفي هذا يتجسّد ما عليه الفكر الإمامي إزاء توجيه الأفعال الصادرة على أساس ديني والمستمدّة من كلام المعصومين عليهم السلام أنفسهم، التي تقضي بأنّ أفعال الإنسان إنّما هي برزخ بين الجبر والتفويض، فلا هي محكومة للجبر المحض، ولا التفويض المحض، إنّما هي أمر بين أمرين^(١)، فقول الحسين عليه السلام: (أنا لاقية) يستلزم دلالة واضحة لإرادته في اختيار هذا المبدأ، في حين أنّ الواقع ينبئ بأنّ الموت هو ما يبحث عن صاحبه لا العكس، بدلالة قول أمير المؤمنين عليه السلام - لما أراد الخروج إلى المسجد في الليلة التي ضربَ فيها -: «أشدّد حيازيمك للموت فإنّ الموتَ لا ييكا»^(٢). وبضمّ الشاهدين المذكورين؛ يتضح لنا:

المعنى القضوي: أنّ الموت هو الذي يرصد مطلوبه ويلاقيه.

القصد المستلزم: الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يصوّر - توظيفاً - بأنّه سعى إلى حتفه مختاراً ومليّاً ومسلماً لإرادة السماء، على الرغم من الجانب المأساوي فيه كما يصوّره هو عليه السلام.

ومادنا نبحت في الخطاب الحسيني المستنهض لهمم الجماهير في مرحلة متقدّمة على عاشوراء، لذا ينبغي الإشارة إلى الصورة الحتميّة لما سيقدم عليه الحسين عليه السلام، من خلال الدلالة الحرفية للملفوظات التي يحملها الوصف (لاقيه)، ولا شكّ في أنّه من الأوصاف الاشتقاقية في اللغة العربية المسمّى باسم الفاعل، والذي لا يعمل عمل فعله إلّا بشروط يذكرها علماء النحو في ذلك من قبيل: أنّه لا يعمل إلّا

(١) فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: (لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين أمرين)، يُنظر: الصدوق، محمّد بن علي، الهداية: ص ١٨.

(٢) يُنظر: الشريف الرضي، محمّد بن الحسين، خصائص الأئمة عليهم السلام: ص ٦٣.

معتمداً على نفى أو استفهام، أو يكون خبراً أو حالاً وغيرها من شرائط عمله التى يقول بها البصريون^(١)، كما ينبغى أن يدلّ على الحال والاستقبال حين يكون مجرداً من (أل) التعريف كشرط آخر من شرائط عمله، وأمّا إذا دلّ على الزمن الماضى فلا بدّ من إضافته إلى معموله، فلا يكون عاملاً حينها، ولكن الواقع اللغوى، لا سيما فى الدرس اللغوى الحديث، يرى أنّ عمل اسم الفاعل ودلالته الزمنية من المسائل التى تقع تحت تأثير السياق اللغوى بما توظفه الدلالة النحوية داخل التركيب السياقى، بعد تضافر القرائن الموصلة إلى القصديّة المتوخّاة من دلالات سياقيّة.

وعليه؛ تكون دلالة اسم الفاعل فيما نحن فيه، على الزمن المستقبل الذى أنبأ به الإمام الحسين عليه السلام فى الإخبار عن مصرعه الذى هو من سيقدم عليه ويلاقيه، مع أنّه جاء مضافاً، فيلزم بناءً على المذهب البصرى أن يكون دالاً على الزمن الماضى، فى حين أنّ المصرع الذى يذهب إليه الإمام عليه السلام يقع - لا محالة - فى الزمن المستقبل؛ لأنّه لم يكن قد وقع فى زمن الخطاب، وهذا المعطى أوصلنا إليه النصّ متماسكاً؛ ليكشف عن الوظيفة السياقيّة التى يحددها قصد المبدع لا غيره.

وهذه الصيغة الصرفية التى ينبغى - بصرياً - أن تدلّ على الماضوية الزمانية يمكن أن تجعلها القرائن السياقيّة المقاميّة مستلزماً للدلالة على الزمن المستقبل، وعلى حتميّة حدوث المصرع المستفاد من الوظيفة المقامية لحال النصّ وزمانه. لكن يبقى القول إنّ اسم الفاعل يحتمل دلالة أخرى، تضاف إلى دلالاته السابقة، وهى دلالاته على الثبوت والدوام^(٢)، خلافاً للفعل الذى يدلّ على التجدد^(٣)، ومن هنا سمّاها

(١) يُنظر: الجرجاني، عبد القاهر، المقتصد فى شرح الإيضاح: ج ١، ص ٥٠٨ - ٥٠٩.

(٢) يُنظر: الإسترابادي، رضى الدين، شرح الكافية: ج ٣، ص ٣٣١.

(٣) يُنظر: المخزومي، مهدي، فى النحو العربى نقد وتوجيه: ص ٤٥ - ٤٦.

الكوفيّون بالفعل الدائم^(١)، كونه يدلّ على ديمومة الحدث وثبوته وقراره، الذي لا يستطيع الفعل أن يدلّ عليه، فاسم الفاعل هنا استلزم التعبير عن حتميّة وقوع المصراع، الذي لا تكشفه الوظيفة السياقية للفعل، فضلاً عن الدلالة الصرفية له، على العكس من اسم الفاعل. فالدلالة الصرفية التي تحملها بنية اسم الفاعل بالتعاون مع الدلالة النحوية داخل التركيب السياقي، تفضي إلى حتميّة المآل المفضي له الخطاب الحسيني غير القابل لريب أو شكّ أو زعزعة موقف؛ ليعلم السامع من خلال هذا الخرق الحواري جليّاً بيقينية الذهاب إلى العراق، و يقينية الموت الذي سيؤول إليه هذا الذهاب^(٢).

٣- حيّ على الشهادة

ينتقل أبو الأحرار عليه السلام إلى المضمون الفعلي لخاتمة الثورة الحسينية، كاشفاً عن أحقيّته بالنصرة من غيره بوصفه الإمام المفترض الطاعة على أبناء الأمة الإسلامية، إذ انتقل من الصيغ الإخبارية للخطاب التوصيفي التي تضمّنها النصّ الحسيني منذ بدايته إلى أن صار يستنصر الناس للخروج معه، فانتقل النصّ من الصيغ الخبرية الوصفية، إلى الصيغ الطلبية الإنشائية الأمرية بقوله: «من كان فينا باذلاً مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإنّي راحلٌ مصباحاً إن شاء الله»^(٣) وليس هذا تغييراً عفويّاً في الصيغ الاستعمالية التركيبية للخطاب، وإنّما هو انتقال مقصود إلى الغاية التي وُظّف الخطاب من أجلها، وهي استنهاض لهمم أبناء الأمة؛ أي: هو جزء من الدلالة التوظيفية للتغيّر الصرفي في السياق النحوي للتعبير عن مكنون

(١) يُنظر: النحوي البغدادي، أحمد بن الحسن بن شقير، الجمل في النحو: ص ٢٢٨.

(٢) يُنظر: الصفار، حسن بن موسى، عاشوراء ثقافة النهضة والبناء: ص ١٩٥.

(٣) الحلي، ابن نما، مثير الأحرار: ص ٢٩. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٦٧.

النصّ حين يصل إلى ما وُظّف من أجله، عندما استعمل واحدة من الصيغ الطلبية هي صيغة الفعل المضارع المسبوق بلام الأمر الدالّة على الطلب لا بأصل الوضع، ولكن من التضام ما بين الفعل المضارع ولام الأمر، التي هي من أدوات الجهة فى القرينة السياقية للدلالة على الزمن النحوى لا الصرفى، ومن هنا فقد كان دخول اللام على الفعل المضارع سبباً لدلالة الفعل المضارع على زمن الحال والاستقبال^(١)، بعدما كان يدلّ على الزمن المستقبل قبل الالتضام مع اللام الطلبية، ولذا أفاد منه الخطاب الحسينى من أجل الدلالة على الزمن المستقبل القريب، وهو صباح الغد الذى هو موعد الرواح. ولكنّه طلب من النوع الثقيل الذى تنأى به الجبال الرواسى، فقد صيرّ طلبه جملة شرطية تتضمّن وصفاً للذوات التى ينبغى أن تتركب سفينة الالتحاق بالركب الحسينى؛ حتى يتسنّى لهم أن يكونوا أنصاراً وأعواناً لإمامهم الحسين عليه السلام، وإذا كان الإمام الحسين عليه السلام يسير إلى المصرع الذى هو لاقه، فينبغى على مرافقيه أن يكونوا قد استشعروا حتمية الموت المحقق الواقع لا محالة.

وضع الإمام عليه السلام شروطاً خاصّة على مرافقيه، كي يتسنّى لهم شرف الرفقة معه، وهى بذل النفس والنفيس دونه؛ لأنّه وضّح بعض المعانى الكاشفة عن أنّه ممن ينبغى التضحية من أجله - قبل أن يعطى هذه الشروط - حينما قال: (رضا الله رضانا أهل البيت)؛ كي تعي الأمة أنّ الطريق الحسينى يعنى طريق الله عليه السلام؛ لأنّ الحسين عليه السلام هو من مصاديق رضا الله عليه السلام، إن لم يكن كل المصداق الحقيقى لرضاه عليه السلام فى زمانه. كما قال: (من كان باذلاً)، للدلالة على وحدة المبدأ بين الخالق وبين مخلوقه الحسين عليه السلام الذى يمثّل وجه الله عليه السلام الحقيقى فى الأرض، أى: أنّ بذل المهج فى الحسين عليه السلام لا يعنى بذلها لغير الله عليه السلام، بل هو البذل فى الله عليه السلام؛ لأنّ الحسين عليه السلام يسير

(١) يُنظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: ص ٢٥١.

وفق أمر الله ﷺ، فلا اثنيّة بين المبدأين الحسيني والإلهي، بدلالة قوله ﷺ: «موطناً في لقاء الله نفسه»، المؤكّد للمضمون نفسه الذي بدأ به؛ لأنّ لقاء الله ﷻ المرضي بمثله الطريق الأوحدي لسيد الشهداء ﷺ في البذل النفسي والجسدي. وهذا هو التوظيف التداولي للخطاب الحسيني الموصل إلى الله ﷻ، عندما اعتمد عليه الإمام ﷺ لكي يخبر عن الحقيقة التي يستبطنها مضمون كلامه، في كونه يسعى إلى توضّيح معنوية تعبوية عظيمة، تكون من النوع الذي يترك بصماته على صفحات التاريخ حتى يكتب لها الدوام إلى ما شاء الله ﷻ من السنين والقرون. ولكي يتحقق هذا الأمر لا بدّ أن تكون التوضّيح التي يريدّها هي توضّيح بالنخب والذوات التي تعي معنى الشهادة مطلقاً، ومعنى الشهادة مع الحسين ﷺ خاصّة، لا مع غيره ولا مع عدوّه. فكان الإمام لا يفتأ من التركيز على هذا المطلب، وذلك من خلال التوظيف الدقيق بين معنى الشهادة المطلقة وبين معناها مع الحسين ﷺ، أي: مع المبدأ المقدّس القائم على نكران الذات، وعدم الخضوع لسياسة الظالمين الممزوجة بالحيل والمكر والتخويف، إذ لا شبهة أنّ الإنسان الذي يستطيع الانتصار على نفسه الجموح، ويجعل روحه على راحتية، ويلبّي دعوة الموت والشهادة من أجل العقيدة الإلهية؛ دفاعاً عن نور الوجود الإلهي المتجلّي بالحسين ﷺ، هو من النفائس الإنسانية التي هي أنفس من الكبريت الأحمر، كونه قد أرخص المهجة وزهد بها؛ كي يرضي إمامه المظلوم. وهذا ما أكّد عليه الإمام الحسين ﷺ من خلال توظيف الطابع الذاتي لرفقاء الرحلة الحسينية وترويضه، حتى يكونوا من الذوات التي تخضع للاختيار الانتقائي لشق مسيرة هذه النهضة النوعية، وهو مما لا يتناسب إلّا مع الكمّل من البشر. لذا لم يدخر الحسين ﷺ وسعاً، ولم يتوان عن التأكيد على أنّه مقدم على القتل والذبح في كل محطة من محطات خروجه حتى وصوله إلى كربلاء، قاصداً - بذلك - إعطاء الرخصة لكل من آثرت نفسه الحياة الدنيا، كي يعزف عن

اللاحق بالحسين عليه السلام، فلا يبقى معه إلا من تعلّقت روحه بالمبدأ الحسيني المقدّس .
وقد اعتمد الإمام الحسين عليه السلام على صيغ موحّدة في تحديد الصفات التي يريدها في أنصار الركب الحسيني ورؤّاده، وهي صيغ اسم الفاعل (بازل، موطن، راحل) التي تعبّر عن الدلالة الزمنية في المستقبل؛ لأنّ اسم الفاعل ينبغي أن يدلّ على الزمن المستقبل كي يكون عاملاً، ولا شكّ في أنّ صيغتي اسمي الفاعل كانتا عاملتين في النصّ حين قال: (من كان باذلاً فينا مهجته)، إذ صيرّ كلمة (مهجته) مفعولاً به لصيغة (بازل) كما جعل كلمة (نفسه) معمولاً (مفعولاً به) لصيغة اسم الفاعل (موطن) في قوله: (موطناً للقاء الله نفسه)، لا سيما أنّ الصيغ كانت خاضعة لشرط المذهب البصري من حيث وجوب الاعتماد في الصيغ الاشتقاقية كي تكون عاملة، إذ كانتا خبراً للفعل الماضي الناقص (كان) مما يستلزم الدلالة الاستقبالية التي يدلّ عليها اسم الفاعل في عمله؛ لأنّ الخطاب يستلزم رجاء التضحية مستقبلاً لمن يرغب بتلك التضحية التي تتناسب مع مضمون الخطاب الطالب للنصرة من أجل نهضة عظيمة ستقع بعد حين.

ولأنّ الإمام عليه السلام يطلب النصر والدعوة إلى الرحيل المميت، ما يستلزم استعمال تلك الصيغ التي تعبّر عن الدوام والثبوت مما يتناسب وطبيعة الأهداف النهضوية التي ذهب من أجلها، فالشخص المطلوب - كما تدلّ عليه صيغ اسم الفاعل - يجدر به أن يكون ثابت القدم، لا يتزلزل عند اللقاء وعند اصطكاك الأسنّة، وكما ذكرنا: إنّ هذه الصرامة في النصر الحسينية عبّر عنها بصيغة اسم الفاعل بأجل وأوضح صورة، لأنّ المسألة لا تحمل التذبذب في الشخصية الناصرة للحسين عليه السلام؛ بل يتعيّن تلبّسها بالثبات والرسوخ الذي تلبّست به شخصية إمامهم في اتخاذه للقرار النهائي، والعزم على مواصلة التحدي للفكر الأموي، حين قال: (فإني راحل لا محالة)؛ لأنّ المصرع لا بدّ إذاً لاقيه، فلا مناص من الرحيل، وهي لا بُدّية الصيغ

الإسمية الدالة على الدوام والثبوت، المتضمنة معنى الجزم. فالفعل اللغوي (راحل) استلزم - بوصفه من الصفات - الجزم بأن القرار صائر لا محالة، فالصفة تستلزم حتمية الخروج المقيّد بالقرينة الحالية (مصباحاً)، وليس الإخبار فقط^(١)، مما تؤكد القرينة (صيغ اسم الفاعل) التي اعتمدها الخطاب على الزمن المستقبل، إذ أنّها من خلال الخطاب تدلّ على المستقبل المطلق غير المقيّد، فكان عليه أن يبيّن القيد الزمني الاستقبالي لموعد الرحيل؛ كي يضع السامعين أمام ما سيقدم عليه وجهاً لوجه.

وليس هذا فحسب، بل إنّ اسمي الفاعل لم يدلّاً على الثبوت الإسمي المستفاد من الصيغة الاشتقاقية لكل من (بازل) و(موطن) بوصفهما يدلّان على ذلك من خلال التركيب السياقي لهما، فهذا المعنى المقصود يمكن أن تستلزمه وتوضّحه الدلالة اللغوية المعجمية للفظ المفردة خارج نطاق التركيب اللغوي النحوي^(٢)، أي: بواسطة المدلول الصرفي للفظتين، وعليه يمكن استجلاء تلك المقاصد في ضوء المعطيات الآتية:

١- ذكر ابن منظور (ت ٧١١هـ) في توضيح المعنى المعجمي لكلمة (بازل) قوله: «كل ما طابت نفسه بإعطاء شيء فهو باذل له»^(٣). أما المعنى المستلزم وهو ما قصده الإمام عليه السلام؛ أي: البذل دون مقابل، فيمكن أن يُفسّر بأنّ الإمام عليه السلام يخاطب الإرادة الإنسانية كي تنسلخ عن ذاتها لتنتقل من الآن إلى الله تعالى^(٤)، وهذا الأمر لا يتحقق إلّا بإرادة الإنسان مع قناعة العقل بالتجرّد عن كل ما دون الله تعالى.

(١) الاستلزام هنا من الاستلزام اللغوي العام الذي مرّ ذكره في التمهيد.

(٢) يُنظر: التمهيد من هذه الرسالة.

(٣) يُنظر: ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج ١١، ص ٥٠ (بذل).

(٤) يُنظر: الأصفى، محمّد مهدي، في رحاب عاشوراء: ج ٣، ص ٢٩٨.

٢- يشترط في هذا البذل أن يكون بذلاً للمهجة التي هي «دم القلب ولا بقاء للنفس بعدما تراق مهجتها»^(١)، وليس بذلاً للمال أو غيره من مغريات الدنيا الفانية التي لا تعني شيئاً في الفكر الحسيني.

٣- ينبغي أن يكون بذل المهجة بذلاً في محله؛ كي يعطي النتائج المتوخاة، وليس له محل في هذه الدنيا سوى الحسين عليه السلام، فالتقديم بالجار والمجرور (فيها)، الذي خرق نظام الملفوظات^(٢) استلزم منه أن يعطي السمة التعليلية لهذه التضحية، وهي الاختصاص - كما مرّ - من خلال إذكاء شعور الولاء والانتفاء في روح الباذل، الذي هو انتفاء بالدرجة الأساس، وليست الغاية التضحية، بل هي ابتغاء وجه الله تعالى^(٣)، إلا أنه لا مانع من الجمع بين التضحية في الحسين عليه السلام، والتضحية في الله تعالى، فهناك الكثير من الأدلة النقلية التي تؤكد وحدة المضمون، أي: وحدة النتائج المفضية بين الموت في الحسين عليه السلام وبين رضا الله تعالى، من قبيل ما جاء في دعاء زيارة عاشوراء «اللهم أرزقني شفاعة الحسين يوم الورود، وثبت لي قدم صدق عندك مع الحسين وأصحاب الحسين، الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام»^(٤)، فالخطاب يتضمّن ثبوت القدم عند الله تعالى، وهذه العبارة تعني أن القرب المعنوي لأصحاب الحسين عليه السلام من الحسين عليه السلام؛ بعدما بذلوا مهجهم دون إمام زمانهم، ألهمهم للقرب من الله تعالى.

٤- نتيجة الذب عن الإمام الحسين عليه السلام وحرمة هي مرضاة الله تعالى، لذا تكون النتيجة واحدة بدلالة قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ

(١) ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج ٢، ص ٣٧٠ (مهج).

(٢) هذا ما سيتطرّق إليه البحث في الفصل الرابع (قاعدة الطريقة).

(٣) يُنظر: الآصفي، محمّد مهدي، في رحاب عاشوراء: ج ٣، ص ٢٩٣.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٣٢.

أَلْمُحْسِنِينَ»^(١)، إذ يقول صاحب تفسير الميزان في (جاهدوا فينا): «استعارة كناية عن كون جهده مبذولاً فيما يتعلّق به تعالى من اعتقاد وعمل، فلا ينصرف عن الإيمان به والالتزام بأوامره والانتها عن نواهيه بصارف يصرفه»^(٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام في الآية الشريفة نفسها: «هذه الآية لآل محمد وأشياهم»^(٣)، فهذا يدلّ على وحدة المضمون بين التضحية في الحسين عليه السلام والتضحية في الله تعالى، لأنّ النتائج واحدة، إذ كلّها تقود إلى رضاه عليه السلام ما دام «رضا الله رضانا أهل البيت». فلا قيمة للتضحية بهذا المعنى، ما لم تستمدّ جذورها ومباركتها وعنوانها التشريعي من البيت الطاهر.

٥- حتى يبيّن الحسين عليه السلام أنّ التضحية دون أهل بيت العصمة والطهارة ليست خارجة عن رضا الله تعالى أردف كلامه بضرورة أن يكون الباذل فيهم مهجته من المواطنين أنفسهم على لقاء الله تعالى، أما معنى التوطن، فقد جاء في لسان العرب: «وطّن نفسه على الشيء وله، فتوطّنت: حملها عليه فتحملت وذلت له»^(٤)، وهذا التفسير اللغوي ينسجم تماماً مع الدلالة النحوية لصيغة اسم الفاعل الدالة على الثبوت، ما يستلزم إنطواء صيغة الكلمة على قوّة وشحن لغوي يحكي أوصاف أنصار الحسين عليه السلام ومريديه، بعد الإفادة من الدلالة الاصطلاحية لمفهوم التوطن الذي يعني «أعلى درجات الإعداد النفسي لمواجهة الابتلاء»^(٥)، فقد كان الحسين عليه السلام يرفض أن يكون في صفوف جيشه أيّ فرد يعيش ضعفاً أو حرجاً في ارتباطه به؛ لذلك

(١) العنكبوت: آية ٦٩.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٦، ص ١٥١.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٤، ص ١٤٣.

(٤) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٣، ص ٤٥١ (وطن).

(٥) الأصفي، محمد مهدي، في رحاب عاشوراء: ج ٣، ص ٢٩٤.

كان يخاطب مرافقيه مرخصاً لهم في تركه كلّما سنحت الفرصة لذلك^(١)؛ لأنّ الإمام عليه السلام لم يكن محتاجاً للصحة بمعناها المطلق؛ بل صحة تدفع عنه القتل بسيوفها^(٢).

وهنا تجدر الإشارة إلى مسألة في غاية الأهمية، كان قد تضمّنّها الخطاب الحسيني، حيث يذهب الأصوليون إلى أنّ الجملة الشرطية تستلزم مفهوماً يستفاد من منطوقها اللّغوي - خاصة تلك التي ترد في السياق القرآني، أو في السنّة المطهّرة - مفاده أنّ الجملة يمكن أن يرد فيها مفهوم مغاير لما عليه السياق اللّغوي، يعرف في الدرس الأصولي بمفهوم الشرط، وهو المدلول السلبي للجملة الشرطية^(٣)، وقد وُظّف الأصوليون هذه النظرية في توجيه النصوص الدينية التي تأتي على هيئة الجملة الشرطية. وفيما نحن فيه؛ نجد أنّ الجملة الشرطية في الخطاب الحسيني، توقّف فيها جواب الشرط الذي هو طلب الرحيل بمعية الركب الحسيني على ركيزتين، هما: بذل الأجساد، وتوطين النفوس للقاء الله ﷻ، وهو المعنى القضوي للجملة الشرطية، الذي يمكن أن نستخلص منه مفهوماً يغيّر السياق اللّغوي، والقصد المستلزم، الذي يستلزمه الخطاب الحسيني نفسه، وليس تحنيئاً عليه، أو لياً لعنق الخطاب، بل هو استعمال دلالي مارسه الأصوليون^(٤)، وهو: من لم يكن باذلاً فينا مهجته، ولا موطناً للقاء الله نفسه، فلا يرحل معنا، ما يعني أنّ الشرطين الذين استلزمهما الخطاب الحسيني، قيدان أساسيان في الحقيقة النوعية لشخصيات الرفقة في الركب الحسيني، تحصل الموافقة على الرحيل بوجودهما وتنتفي بانتفائهما.

(١) يُنظر: المطهري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج ٢، ص ٩٦.

(٢) يُنظر: الصدر، محمد، أضواء على ثورة الحسين عليه السلام: ص ١١٣.

(٣) هو انتفاء الجزاء بانتفاء الفعل في الجملة الشرطية. يُنظر: الصدر، محمّد باقر، دروس في علم الأصول:

ج ١، ص ٢٢٢.

(٤) وهو ما عليه التداوليون اليوم وغرايس في استلزامه الحواري.

ثانياً: الاستعارة

تعدّ الاستعارة من أهم الأساليب البيانية، وأكثرها تأثيراً في النفس، وإرهافاً للحس، وعلامة هذا الاهتمام هو كثرتها في الكتاب الكريم والسنة النبوية والأدب العربي شعراً ونثراً وخطابة.

والاستعارة حسب تعبير الجاحظ: «تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه»^(١)، وتعني عند عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٤هـ) «أن يكون اللفظ أصلاً في الوضع اللغوي معروفاً، تدلّ عليه الشواهد على أنّه اختصّ به حين وضع، ثمّ يستعمله الشاعر في غير ذلك الأصل»^(٢) أو يوضحها بعبارة أدقّ «أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبّه به فتعيّره المشبّه وتجرّبه عليه»^(٣)، وعند السكاكي «أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدّعياً دخول المشبّه في جنس المشبّه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبّه ما يخصّ المشبّه به»^(٤) فتزاح الدلالة فيها سالكة مساراً منحرفاً عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي؛ على أنّها صورة تشبيهية حذف أحد طرفيها، فحينئذٍ تففز من معنى اللفظ في أصل الوضع إلى معنى المعنى^(٥)، مفارقة الدلالة الحرفية للألفاظ مستخفة بالأعراف اللغوية، بكل ما فيها من حذف لأداة التشبيه ووجه الشبه وأحد ركني التشبيه وانبنائها على ادعاء دخول المشبّه في جنس المشبّه به^(٦) لتخلق «واقعاً جديداً أكثر من تقنينها لما هو موجود

(١) الجاحظ، عمر بن بحر، البيان والتبيين: ج ١، ص ١٥٣.

(٢) الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة: ص ٣٠.

(٣) يُنظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص ٦٧.

(٤) السكاكي، يوسف بن محمد، مفتاح العلوم: ص ٣٦٩.

(٥) يُنظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص ٦٧.

(٦) يُنظر: ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ج ٢، ص ٧٣ - ٧٤.

سلفاً، وهذا الخلق يؤدى إلى إيجاد مشابهات جديدة، ناتجة عن بعض الخصائص التفاعلية المتتقا^(١)، مضافاً إلى ما تنتجه من تداخل وامتزاج فى طبيعة الحدود بين الماديات (من إنسان وحيوان) والمعنويات المختلفة^(٢)، وهذا من شأنه أن يثري الخطاب، ويعزز التواصل بين المتكلم والمتلقى عبر قنوات الاتصال الفعال.

ومن المقاصد التى ظهرت عبر خرق قاعدة الكيف على مستوى الاستعارة: أولاً: ما جاء فى خطاب الإمام الحسين عليه السلام فى مكة بقوله: «...، كأتى بأوصالى تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأ منى أكرشاً جوفى، وأجربة سغباً»^(٣).

فقد عمد الإمام عليه السلام إلى إظهار بشاعة المنظر الذى سيؤول إليه حاله على يد تلك العصابة المتوحشة الفاسدة، فعمد إلى استعمال الصورة الاستعارية بعد أن تيقن بشاعة الحدث، وأراد إثارته عند المتلقى من خلال التفاعل مع الصورة فى السياق والإيحاءات الناتجة عنها لإيصال المعنى المعبر؛ لأن توكيد المعنى، أى: إيصاله إلى المتلقى عن طريق المبالغة فى إثبات تحقيق الصفة فيه، هو من أهم ما يقصد إليه المتكلم فى التصوير الاستعارى؛ من خلال استعارة لفظة أكثر تمكناً فى الدلالة على الصفة فى اللفظة الأصلية، وتوظيفها بدلاً عنها فى التعبير؛ للدلالة على ذلك المعنى مجازاً علاقة تربط بينهما، وتصحح مثل هذا الاستعمال، بحيث توحى للمتلقى بأن طرفى الاستعارة انصهر بعضهما ببعض حتى أصبح المستعار له كأنه المستعار منه، وهو ليس كذلك على نحو الحقيقة^(٤)، فالعلاقة بين (العسلان) والجيش، وبين

(١) محمد مفتاح، دينامية النص، نظير وإيجاز: ص ٥٧.

(٢) يُنظر: أياذ عبد الودود، التصوير المجازى: ص ٦٧.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، الملهوف فى قتلى الطفوف: ص ١٢٦.

(٤) عبد الفتاح لاشين، البيان فى ضوء أساليب القرآن: ص ١٩٣.

عقول تلك الذئاب البشرية والصحراء، هى «علاقة من صنع الخيال الذى يحاول أن يحدث التأثير فى المواقف والدوافع عن طريق إذابة هذه العناصر وخلق الجديد منها»^(١) وهذا بطبيعة الحال ليس خيال شاعر أو كاتب أو روائي، بل هو خيال إمام معصوم متأث من واقع علمه اللدنى، وقد عمد إليه عن قصد، لانصهار كل من طرفى الاستعارة فى بوتقة واحدة حتى تثير نبضات الإثارة، وتبعث الانجذاب فى نفس المتلقي، فاستعار لفظ عسلان من تلك الحقيقة الحيوانية لأفراد الجيش الحاد المتأهب لقتاله والمتعطش لدمائه. ومع أنه عليه السلام لم يصرح بالمستعار له إلا أنه يمكن أن يستنتج من الدلالة التاريخية^(٢)، ناهيك بأن (العسلان) حقيقة لا تسلط على أوصال صفوة الله؛ لطفاً من الله وإيثاراً له^(٣).

عمد الإمام عليه السلام إلى إظهار هذه الصورة المتمثلة بتفاعل أفراد الجيش والذئاب بعضها مع بعض، تفاعلاً مميزاً داخل سياق الكلام، إلى المتلقين؛ ليكونوا على دراية وإطلاع على وحشية القوم وشراستهم، وهذه الصفات ملازمة لتلك الحيوانات، فهو عليه السلام تقصد إيصال هذا المعنى الجامع بينهما، وبين المستعار له؛ فكلما قوي الشبه بين الأصل والفرع، ازدادت الصورة الاستعارية حسناً وجمالاً^(٤)، كما أن الخرق الذى حصل نتيجة قفز الاستعارة على المعنى الحقيقي استخفافاً بمتواليات النظم، وتجاوزاً للمعنى الحرفي للملفوظات إلى انزياحات لغوية مجازية، من شأنه تقوية المعنى وإثارة العواطف فى النفوس بما تقدمه من عرض لـ«الصور والصفات والأعمال عرضاً حسياً مجسماً؛ ليرى القارئ فى ألفاظها من الألوان والمعاني ما يراه إذا

(١) الصاوي، أحمد، فن الاستعارة: ص ٣٠٦.

(٢) يُنظر: ميثم قيس مطلق، نشر الإمام الحسين عليه السلام: ص ٣٢.

(٣) السماوي، محمد، إِبصار العين فى أنصار الحسين عليه السلام: ص ٤٣.

(٤) الأسس النفسية: ص ٢٢٤.

هو نظر إلى رسم وتبصّر فى خيال»^(١) من خلال:

١- المعنى الحرفى: وهو مباشرة الذئاب الصحراوية حقيقةً لتقطيع جسده الشريف.

٢- القصد المستلزم: وهو ما اجتهد الإمام عليه السلام فى إيصاله للمتلقّي عبر هذه الأداة التصويرية التى لا يمكن إيصال مراده - فى رسم حقيقة تلك النفوس المريضة التى امتلأت أحقاداً أموية - إلّا بها.

وقد سعى الإمام عليه السلام إلى تأكيد حقيقة تلك الحيوانات من خلال حسن إطلاقه لكلمة (تقطّعها) وما أضفته من قوّة وشدّة، ولّدها التضعيف فى حرف الطاء، فالزيادة فى المبنى تؤدّي إلى زيادة فى المعنى، ولعلّ هذا ما قصده الإمام عليه السلام لما له من دلالة نفسية، تشير إلى شدّة قسوة الجيش، ووحشيّته وغلظته التى لا تحيد عنه، كما هى الحال مع الذئاب التى تنقضّ على فريستها، فتقطّعها وتمزّقها، فكذلك ستكون أوصاله أشلاءً متناثرة على رمضاء كربلاء، وهذه من شأنها أن تبعث أثراً عميقاً فى النفس، وهزّة ترتعد منها الفرائص^(٢).

ويؤكد هذا المعنى - بمزيد من الوضوح والبيان - كلمة أنطوان بارا بقوله: «الوحشية التى شهدتها كربلاء ليس لها شبيه حتى بين أشدّ الوحوش ضراوة، وكلمة الوحشية لا نفيها حقها من الدلالة عليها، فقد فاقت الوحشية بمراحل، وتقدّمت على الدموية بخطوات، وصار لزاماً أن يوجد لها تعبير يلائمها، لكنّ العقل البشرى الذى وضع لكل مظهر حدوداً قصوى فى الفعل والتعبير عن هذا الفعل...، لم يستطع تحطّي تعبير الوحشية والهمجية، مع أنّ الواقعة كانت تتخطّاهما بمراحل شاسعة»^(٣) بل تبعها

(١) المصدر نفسه: ص ٢٢٤.

(٢) يُنظر: ميثم قيس مطلق، نشر الإمام الحسين عليه السلام: ص ٣٣.

(٣) أنطوان بارا، الحسين فى الفكر المسيحى: ص ١٢١.

عملية تقطيع أخرى، يمرّ بها المقتول بالسيف، ذلك لأنّ السيف - كما هو معلوم - لا يقطع الأوصال، بل يقطع الجسد إلى أوصال، فتكون الأوصال هي أبعاد الجسد المقطّع، وهذا هو الجو الطبيعي لمن يُقتل مقطّعاً بالسيف، إلّا أنّ الإمام عليه السلام ذكر بأنّ تلك الوحوش البرّية لم تقطّع الجسد الطاهر للإمام عليه السلام فحسب، بل عمدت إلى تقطيع آخر، هو تقطيع للأوصال التي هي بعض الجسد، ويزيد بشاعة هذه الصورة المأساوية أنّ الإمام عليه السلام جاء بالفعل (تقطع) بالتشديد؛ للدلالة على شدّة المبالغة التي ستمارس على جسده بعد قتله عليه السلام، وهو إشارة إلى أنّ هذه الوحوش لم تكن تنوي قتله لتصل إلى مرادها فقط، بل كانت تنوي توزيع الجسد، وتقطيعه، وهذه الوحشية - قطعاً - لا تتحقق إلّا بعد موت صاحب الجسد؛ لأنّ تقطيع الأوصال هي مرحلة متأخرة عن تقطيع جسده إلى أوصال، فيكون قد مات تقطيعاً إلى أوصال، فتأتي مرحلة تقطيع أوصال الجسد الميت للكشف عن بشاعة هذه الصورة. ويعزّز هذه الصورة الاستعارية بصورة استعارية أخرى؛ لتكون أبلغ في إيصال قصده بقوله: «فيملأنّ منّي أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً»، فالعملية لا تقف عند حدود التقطيع والتناثر للأشلاء، بل تتبعها عملية تناول لتلك الأجساد الطاهرة، وملء لأكراش فارغة، وأجربة قد أهلكها الجوع، وهنا استعارة تصريحية، إذ لا توصف الأجربة بالجوع، بل استعارها للبطون الجائعة بجامع الفراغ، فكأنّها كيس فارغ، ليس فيها ما يسدّ رمقها، ولك أن تتصوّر الحالة التي تكون عليها حينها تنقّص على فريستها.

وليس مراد الإمام عليه السلام من جوع البطون وفراغها على نحو الدلالة الحقيقية، بل المستلزم من خرق القاعدة قصد آخر، وهو توصيف أو تشبيه الحاجة النفسية أو الحاجة الدنيوية التي كانت لأعدائه من قتله والخلاص منه بأكرشة هذه الحيوانات

وبطونها الجائعة^(١).

ثانياً: تقف السيدة زينب عليها السلام أمام يزيد في الشام لترسم في متواليه ملفوظاتها من الصور الاستعارية ما تستلزمه من مقاصد أدق وأعمق، يجعلها أكثر تأثيراً في المتلقي، ومن ذلك قولها: «وَأَنِّي يُرْتَجَى الْخَيْرُ مِنْ لَفْظِ فُوهٍ أَكْبَادَ الشُّهَدَاءِ، وَنَبَتَ لَحْمُهُ بِدَمَاءِ السُّعْدَاءِ، وَنَصَبَ الْحَرْبَ لِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ»^(٢)، ففي هذا الخرق تستعير الخطيئة عليها السلام لفظة (فوه) لتستلزم منه قصد التذكير بما فعلته جدته التي أخرجت كبد حمزة بن عبد المطلب عليه السلام في معركة أحد، ولاكت قطعة منه بسبب الحقد المتأجج في صدرها، والسيدة زينب عليها السلام إنما استحضرت في خطبتها هذه الصورة البيانية، بعد ما رأت يزيد ينكث ثنيايا الحسين عليه السلام بمخصرته؛ لتقدمه من خلالها لمن كان في حضرته على أنه الوارث لجدته في الحقد على الإسلام وآل الرسول عليه السلام.

وفي خطاب آخر ترسم صورة تلوح فيها إلى حقه الدفين، بقولها: «وَصَبَّ يُجْرَجَرُ فِي الصَّدْرِ لِقَتْلَى يَوْمِ بَدْرٍ»^(٣)، يظهر فيها أن السيدة زينب عليها السلام في هذا الاستعمال البياني تستعير فعلاً لغوياً (يُجْرَجَرُ) للضب، وهو الغيظ الكامن أو الحقد الخفي، لتعرب عن قصدها؛ وهو:

- فضح يزيد وبيان حقيقته، من خلال الحقد المتأجج في صدر يزيد وتُظهِرُهُ لكل من في مجلسه. حيث بلغ به حقه المطالبة بثارات المقتولين في غزوة بدر، وهم أقطاب المشركين الذين خرجوا لمحاربة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومع هذا يُريد الثأر وَيَشْعُرُ بأنَّ في قتله للإمام الحسين عليه السلام ومن معه من آل البيت والصحابة عليهم السلام غايته التي تمنى، فيستوفي بهذا الصنيع ثأره من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. كما وصفت السيدة زينب عليها السلام

(١) يُنظر: الوائلي، إسماعيل، دستور الصدر: ص ٨٣.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ١٢٥.

(٣) المصدر نفسه: ج ٢، ص ١٢٦.

حالة يزيد حين رأى الرأس الشريف بقولها: «التمتع السرور بوجهه»^(١)، وهو تعبير شكّل صورة فنيّة من هذا الخرق الاستعاري خلافاً للواقع الذي تقتضيه الدلالة الحرفية من معنى؛ إذ أنّ السرور لا يلمع، ولكنها عليها السلام استعارت لفظة (التمتع) لتبيّن من خلال هذه الاستعارة المكنيّة شدّة حقد يزيد وضيعته، لدرجة أنّ شدّة السرور الذي بان على وجهه حتّى تدفّق الدّم في وجنتيه، دفعه لضرب ثنایا الرأس الشريف للإمام الحسين عليه السلام. وهي في كل ذلك قاصدة فضح يزيد أمام الملاء، وهو ما حدا بها أن تُشكّل صورة بيانية هي غاية في القوّة والتأثير عبر هذا الخرق الحواري، بقولها: «مع أنّي - والله - يا عدوّ الله وابن عدوّه، استصغر قدرك، واستعظم تقريعتك، غير أنّ العيون عبرى والصدور حرّى»^(٢)، إذ عبّرت عن قصدها الذي من أجله خاطبت يزيد، ووقفت أمامه ذلك الموقف التأريخي، فتولّد عن قولها هذا جملة من المعاني^(٣):

أ - المعنى القضوي: المعنى الحرفي للملفوظات، والذي أرادت منه استحقار يزيد واستكثار التقرّيع فيه.

ب - القصد المستلزم: مع أنّك - يا يزيد - غير مستحق لخطابي، إلّا أنّ قصدي ليس احتمال اتّعاظك، إنّما أروم ذلك في من غرّ بهم، وهم غيرك. كما أنّ في خطابها ردّة فعلٍ طبيعيّة لما شاهده من، وبذلك جاءت هذه الخروقات عبر قاعدة الكيف المتمثلة بالصّور الاستعاريّة، لتفنّد محاولاته في الخديعة والتضليل.

وإلى مثل هذا قصدت السيدة زينب عليها السلام كواحدة من أفراد المسيرة الحسينية، على الرغم من الحالة النفسيّة التي سبّبتها لها مرارة فقد أخوتها وأهل بيتها، وكذلك

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ١٢٦.

(٢) ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء: ص ٢٢، نشر الدّر: ص ١٨.

(٣) يُنظر: الموسوي، زينب عبد الله كاظم، خطب سيّدات البيت العلوي حتى نهاية القرن الأول الهجري (دراسة موضوعية فنيّة): ص ١٦٢.

هضمها لتلك الحالة بعد قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته، وحين لم يبق معها حمي ولا ولي، سوى النساء والأطفال والعليل عليه السلام. فوقفت أبيّة الضيم بوجه يزيد بن معاوية، موظفة ما تغذته من بلاغة أبيها وأمها عليهما السلام وحسن بيانها، فجاءت خطبتها مزينة بالصور الاستعارية، ومنها قولها: «فهذه الأيدي تنطف من دماننا، وهذه الأفواه تتحلّب من لحومنا، وتلك الجثث الزواكي تتناها عسلان الفلوات»^(١): النطف: التلطّخ بالعيب، نطفَ الرجل - بالكسر - إذا اتهم بريّة^(٢)، (تنطف أكفهم من دماننا) أي: تقطر، أو تبل بالعيب.

وهذه استعارة راقية أرادت السيدة عليها السلام إنقذاح صورتها في أذهان الحاضرين، مفادها أنّ هذه الأيدي قد بُلّت وتلطّخت بدماء أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، التي يدّعي يزيد أنّها تضرب بالسيف وبالرماح لأجل نصرّة الإسلام وإعلاء كلمة (لا اله إلا الله)، بينما على عكس ذلك، جاءت أكفهم وسيوفهم تقطر من دماء أولئك السادة الأشراف.

وأخذت عليها السلام تتابع الخرق في هذه القاعدة؛ لما لها من تأثير في إيصال مرادها المتمثّل في رسم الصورة المأساوية، وما تحمله من وحشية وقساوة وغلظة، عبر خرق قواعد الحوار مجازياً بقولها «وتلك الأفواه تتحلّب من لحومنا» يُقال: حلب فلان الشاة أو الناقة، أي: استخرج ما في ضرعها من اللبن، واستحلب اللبن أي: استدرّه^(٣). حيث قصدت عليها السلام أن تشبّهم بولد الناقة، فكما أنّ ولد الناقة تتحلّب

(١) ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء: ص ٣٥ - ٣٦، ويُنظر: الخوارزمي، الموفق بن أحمد المكّي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٧١ - ٧٤، ويُنظر: الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٢ - ٣٤.

(٢) يُنظر: الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): ج ٣، ص ١١٨٦.

(٣) يُنظر: الأفعال لابن القوطية: ص ٥٨.

وتمتصّ بفمها الحليب من محالب أمّها، كذلك كان الأعداء يمتصّون بأفواههم من لحوم آل الرسول ودمائهم ﷺ، مصّاً قوياً بدافع الحقد والبغضاء.

وعليه؛ يكون السبب من إطلاق التعبير الاستعاري «وتلك الأفواه تتحلّب من لحومنا» هو يقين السيدة ﷺ بأنّ المتلقّي يستطيع فهم المعنى غير الحرفي، وهو التعبير عن شدة حقدهم وعدائهم^(١). فجاء خطابها استشاراً - لخرق قاعدة الكيف - أفادت منه من قول أبيها أمير المؤمنين ﷺ: «وإني لأنس بالموت من الطفل بئدي أمّه»^(٢)؛ ما يفيد أنّ الطفل عند المحالب يعيش سعادة الثام الثدي، فلا تعدل هذه السعادة عنده شيئاً، فضلاً عن شراهة الامتصاص التي يمرّ بها حين يُعطى الثدي وهو جائع. نفس هذه الصورة حين تنقلب في سياقها السلبي؛ نجدها تحكي السعادة المطلقة لقتلة سبط النبي ﷺ، وهم يقدمون على قتله بقلوب متوحّشة، لا تعرف معنى الرحمة، ناهيك أنّ المعنى المرتسم للشراهة من صورة (الاحتلاب) حتى تعطي بعدها التمثيلي، يتكأ على المزوجة بين هاتين الصورتين؛ أي بمعناها السلبي والايجابي.

ومن الصور الاستعارية التي جاءت في خطابات المسيرة الحسينية، هو قول الإمام الحسين ﷺ معبراً عن الدنيا بقوله: «إنّ الدنيا قد تغيّرت وتنگرت، وأدبر معروفها، واستمرت حذاء، فلم يبق منها إلّا صباية كصباية الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الويل»^(٣) فقد شبّه الدنيا بأنّها صباية، والصباية هي كما يقوله الخليل: «ما فضل في أصل إناء من شراب»^(٤)، وهي استعارة تحمل شحناً بلاغياً، استلزمت

(١) حسين عمران محمد، شعر أبي نواس دراسة تداولية: ص ٢٦٥.

(٢) مغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ج ٤، ص ٣٧٤.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٤٠٣. ويُنظر: الريشهري، محمد، الصحيح من مقتل سيّد الشهداء وأصحابه ﷺ: ج ١، ص ٦٧٥.

(٤) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ٧، ص ٩٠.

توهين الدنيا وتحقيرها فى ذهن المتلقى، من خلال الإشارة إلى أنّ المتبقى منها هو النزر اليسير من الشراب غير المرغوب فيه، والذي تنأى النفوس عن تناوله، كما وصف العيش بالحسنة لحقارته، فالخسيس أى: الحقير، يقال: حس الرجل نفسه وأحس، إذا أتى بفعل خسيس^(١). ومع أنّ الإمام وصف العيش بالحقارة لقلته، إلّا أنّه أبلغ فى توهينه ليتلقاه المتلقى بصورته الصاغرة؛ لكي يعرف حجم ما يقتتل دونه. فاستعار له مرعىً وبيلاً، أى: مع كونه حقيراً إلّا أنّه يشبه مكان عيش للدواب، وهذا المرعى وخيم وثقيل، فالمستعار - هنا - المرعى الوبيل، والمستعار له الدنيا الخسيسة، أو العيش الذي يتمناه القوم ويقاتلون لأجله.

استعار الإمام عليه السلام (للدنيا) - وهي أمر معنوي - ألفاظاً تفيد التشخيص لتقريب الصورة، من قبيل: (تنكرت، تغيرت، أدبرت) وهي كلّها صفات لأهلها الذين سرعان ما يتنكرون للمعروف، وينقلبون بعضهم على بعض؛ فهم بين مقبل ومدبر. بل لعلّ الإمام عليه السلام قصد إيصال تلك الصورة المرتكزة فى الأذهان عن الدنيا التي توشحت وشاح المرأة وتنكرت للمعروف، فهي متلوّنة متغيرة، حيث ذكر فى موضع آخر بأنّها «متصرّفة بأهلها من حال إلى حال، فالمغرور من غرته، والشقي من فتنه، فلا تغرّنكم هذه الدنيا...»^(٢)، إذ يبدو أنّ الإمام عليه السلام كان يروم عبر هذه الصورة الاستعارية ملازمة معنى المعنى كما يسمّيه الجرجاني، أو القصد المستلزم، كما هي الحال عند غرايس، فالمتلقى للخطاب أمام أكثر من معنى:

أ - المعنى القضوي: ظاهر كلام الإمام عليه السلام هو تحقير الدنيا فى عين المتلقى.

(١) أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة: ج ٢، ص ١٥١.

(٢) الخوارزمي، الموفق بن أحمد المكي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ١، ص ٣٥٧ - ٣٥٨. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٥.

ب - القصد المستلزم: يمكن أن يُلتَمَس ما استبطنته الصورة التي من أجلها سيق الخطاب، وهي أن الكلام يقتضي دعوة غير مباشرة منه عليه السلام إلى الوقوف للقاء الله تعالى بعد مقت الدنيا وما فيها، لاسيما أنه العروة الوثقى - وهو الحق - الوحيدة في زمانه التي من شأنها إيصال التواقين إلى لقاء الله ورضاه.

وفي استعارة للفعل اللغوي (ترحض) تحرق العقيلة زينب عليها السلام هذه القاعدة مخاطبة أهل الكوفة، بقولها: «وَمُنِيْتُمْ بِشَنَارِهَا، وَلَنْ تَرَحُّضُوهَا أَبَدًا، وَأَنْتِ تَرَحُّضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتِمِ النُّبُوَّةِ، وَمُعَدِنِ الرِّسَالَةِ»^(١)، حيث يلحظ أن مسوغ الخرق عبر هذه الاستعارة ما يلي:

- إظهار رغبة أهل الكوفة في التخلص من الذنب.

- التعجّب من القوم، واستنكار شدة بكائهم.

مفاد استنكار العقيلة زينب عليها السلام هو استسهالهم هذا الذنب (الرحض)، وهو فعل يتناسب مع الذنب الذي هو الدّرن، والذي لا يمكن أن يذهب الاغتسال، ومن هنا خرج الخرق إلى مقاصد منها:

- أن تُقَرَّبَ عليها السلام المعنى الذهني للعار والتلبّس بالخطيئة إلى واقع الإدراك الحسي عبر استعارة (الرحض) للغسل^(٢)، فصار القتل وصمة ولطخة، لا يمكنهم التخلص منها، فضلا عن أن ما يجعل جريمتهم مضاعفة هو تعلّقها بأعناقهم، حتى انقدحت في أذهانهم الصورة الواضحة لمعنى العار حين صورته الاستعارة المكنية بالوصمة واللّطخة.

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ج ٩٤.

(٢) فَمَسَحَ عَنْهُ الرُّحْضَاءُ؛ هو عَرَقُ يَغْسَلُ الْجِلْدَ، وَكَثِيرًا مَا يَسْتَعْمَلُ فِي عَرَقِ الْحُمَى وَالْمَرَضِ. وَالرُّحْضَاءُ: الْعَرَقُ فِي أَثَرِ الْحُمَى. وَالرَّحْضَاءُ: الْحُمَى بِعَرَقٍ. ابْنُ مَنْظُورٍ، مُحَمَّدُ بْنُ مَكْرَمٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ: ج ٧، ص ١٥٤.

- أن تقصد ﷺ إشعال ضميرهم من خلال الشعور بالذنب، فاستلزم كلامها شعورهم بالعجز والحيرة، بين ما يتمنون (من سهولة التخلص) ويفكرون به (الرحض) واستحالة تحقيقه (أنى ترحضون)، أى: كيف وبأى وجه تُبرّرون قتل سليل النبوة؟! فمن خلال الاستفهام الذى خرج من دلالة ومعناه الحقيقى إلى قصد مجازى، وهو الاستنكار المُتلبّس بحلة الاستعارة الدقيقة، ثم تعدّى الإنكار إلى الاستحالة، لم يعدّ أمامهم مجال للاعتذار عن ارتكاب مثل هذه الجريمة، فالرحض الذى فعلوه لا يُغسل؛ لأن الإمام الحسين ﷺ امتدادٌ للرّسالة، وذلك ليس بمجهولٍ عليهم.

ثالثاً: الكناية

وهى نوع من أنواع المجاز والاتساع فى القول والانزياح باللفظ عن الظاهر^(١)، أى: «أن يُعبّر عن شيء معيّن، لفظاً كان أو معنى، بلفظ غير صريح فى الدلالة عليه»^(٢). وقد حدّدها الجرجاني بقوله: «أن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعانى، فلا يذكره باللفظ الموضوع له فى اللغة، ولكن يبيّن إلى معنى هو تاليه وردفه فى الوجود، فيومى به إليه، ويجعله دليلاً عليه»^(٣)، فالكناية ضدّ التصريح يؤتى بها إمّا للإيهام على بعض السامعين، كقولك: جاءني فلان، وأنت تريد: زيداً، وقال فلان: كيت وكيت، إيهاماً على بعض من يسمع، وإمّا لشناعة المعبر عنه، وإمّا اختصاراً كالضمائر الراجعة إلى متقدّم، أو فصاحة، مثل: كثير الرماد لكثير القرى، أو لغير ذلك من

(١) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص ٤٣٠.

(٢) الاسترآبادي، رضي الدين، شرح الكافية: ج ٣، ص ١٥٠.

(٣) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص ٦٦.

الأغراض^(١)، ولكنّها من حيث البلاغة أبلغ من التصريح، مما جعل «العرب تُقدم عليها؛ توسّعاً واقتداراً واختصاراً، ثقة بفهم المُخاطَب»^(٢).

وبقصد السيدة زينب عليها السلام الإشارة إلى الأصل العقدي الثالث والرابع (النبوة والإمامة)، كنّت في خطبتها أمام أهل الكوفة، بقولها: «قَتَلَ سَلِيلِ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ، وَمُعَدِنِ الرِّسَالَةِ، وَسَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٣)، وهي بهذا الخرق تُظهر مقام النبي صلّى الله عليه وآله على سائر الأنبياء، عامدة من خلال هاتين الكنيتين إضفاء الدلالة الخاصة لكلمة سليل التي أُضيفت إليهما الدلالة التي تراها لذلك السليل، إذ أنّها لا تقتصر على السلالة النسيبة، بل هي سلالة عقديّة إيمانية، وانتماء إلى أرقى ما في النبوة من معنى. وقد أتت عليها السلام بهذا الخرق الكنائي الذي تمثّل بجُملة (سيّد شباب أهل الجنة) وعطفها على (سليّل خاتم النبوة)، لإبلاغ حجّتها^(٤)؛ إذ «من البصر بالحجّة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذ كان الإفصاح أوعر طريقة، وربّما كان الإضراب عنها صفحاً أبلغ في الدرك وأحقّ بالنظر»^(٥)، فكانت مقاصدها:

١- تقديم مظلومية الإمام الحسين عليه السلام ومقامه عند ربّ العالمين، وليس لتخبر وتذكّر برأي الرسول صلّى الله عليه وآله فيه عليه السلام فحسب؛ فالمعنى الحرفي لـ (سيّد شباب أهل الجنة) هو الدلالة الحرفية للألفاظ، وهي الإخبار والتذكير، أمّا المعنى المستلزم أو المقصود فهو التشنيع بفداحة الجريمة التي ارتكبوها بحقّ ابن بنت رسول الله وبسيّد شباب

(١) يُنظر: المصدر نفسه: ج ٣، ص ١٥٠.

(٢) الثعالبي النيسابوري، عبد الملك، فقه اللغة وسرّ العربية: ص ٢٩٣.

(٣) ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء: ص ٢٤، نثر الدر: ص ٢٠، الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ١١١.

(٤) يُنظر: الموسوي، زينب عبد الله كاظم، خطب سيّدات البيت العلوي حتى نهاية القرن الأول الهجري: ص ٤٥.

(٥) الجاحظ، عمر بن بحر، البيان والتبيين: ص ٦١.

أهل الجنة، وهذا مقام إلهي لن يناله أحد غيرهما.

٢- تولّد إضاءة جديدة عبر كناية (سليّل خاتم النبوة)، مفادها التميؤ في هذه الرابطة المعنوية؛ والقصد من ذلك:

المعنى القضوي: هو الدلالة الحرفية لمتوالية النظم وهي الإخبار.

القصد المستلزم: وهو ما لم يدرك من الفعل اللغوي المباشر الذي دلّت عليه القرائن من أنّ السيدة عليها السلام قصّدت بقولها: (سليّل) للإيلاء إلى عصمة الإمام عليه السلام، وبيان مقامه من هذا الأصل العقدي الذي تجسّد فيه، وهو الإمامة، ولكنه يدرك بالنظر والتفكّر، عن طريق إعمال الفكر. ومع علمها أنّه لا معنى للتمدّح والثناء بظاهر ما يدلّ عليه اللفظ من قرب الإمام من النبي (صلوات الله عليهما)؛ لمعرفة القوم جيداً بذلك، مما يستلزم من المتلقّي أن يطلب تأويلاً له؛ ليصل إلى مراد السيدة عليها السلام، يرجّح أنّها أرادت بـ(سليّل) خلاصة عصمة جميع الأنبياء، بل خلاصة خاتمهم صلوات الله وسلامه عليه، بدليل قوله تعالى ﴿مِنْ سُلَٰلَةِ مِنْ طِينٍ﴾^(١)، أي: من الصفو الذي يُسل من الطين^(٢). مُمهّدةً بذلك للحديث عن صورة الإمام عليه السلام، فحين «أقدمتم على قتله وانتهاك حرمة» - تخاطب أهل الكوفة - إنّما أقدمتم على انتهاك حقيقة الإمام الحسين عليه السلام بيّعدها الأخرى والديوي، عبر سلسلة من أسماء المكان المضافة إلى القضايا الأساسية التي كانت تشغل أذهان الكوفيّين^(٣).

ومن أجلّ صور هذا النوع من الخرق هو خطبة السيدة عليها السلام، التي توشّحت بهذا اللون الرائع من البديع في قولها: «أمن العدل - يا ابن الطلقاء - تخديرك حرائرك

(١) المؤمنون: آية ١٢.

(٢) الراغب الأصفهاني، الحسين، مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤١٨.

(٣) يُنظر: أثر كربلاء في خطابة آل البيت والتوّابين، رؤية عناصر الواقعة واللغة الفنيّة (بحث منشور في مجلّة المنهاج) العدد: ٥ - ٦، السنة الثانية.

وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا... يتصفّح وجوهنّ القريب والبعيد، والديني والشريف»^(١)، حيث قابلت وطابقت بين جملة من الصفات والأفعال، وقد سبق هذه المطابقة استفهام ونداء وصفة خرجت عن معناه الحرفي؛ إذ لا يخفى عنها ﷺ حقيقة يزيد والبيت الأموي، وهو ما استلزم الاستنكار والتوبيخ، ومن ثمّ إقناع المتلقّي بالالتكاء على هذا اللون البديعي في تقريب الصورة من الأذهان، وفضح يزيد أمام نفسه والحاضرين. فمسوّغات الخرق هذا هي نفسها التي تبيّن القارئ في هذا المبحث؛ لأنّ سياق الموقف المقامي والظروف التي أُنتج فيها الخطاب واحدة، وقد ترشّحت من هذا الخرق المركّب الذي تشكّل من الاستفهام والنداء والصفة (الطلاق) جملة من المقاصد، منها:

١- الإشارة إلى موقف النبي الأكرم ﷺ، حينما استوت له الأمور، ومكّنه الله من رقاب المشركين بعد فتح مكّة، وصارت تحت سلطته، حيث كان بإمكانه أن يقتلهم بسبب مواقفهم العدائية، إلّا أنّه التفت إليهم قائلاً: «يا معشر قريش، ما تظنون أنّي فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخُ كريم، وابن أخ كريم، فقال لهم: اذهبوا فإنتم الطلقاء»^(٢). ولعلّ السيدة ﷺ قصدت من هذه الصفة الكنائية أحد المعنيين أو كليهما: المعنى الأوّل: أن تذكّر يزيد وتفهّم المجلس بأنّه (يزيد) ابن الطليقين اللذين أطلقهما رسول الله ﷺ مع أهل مكّة وكأثمّ عبيد، فتكون الكلمة تذكيراً له وفضحاً أمام وزرائه ووجهاء الشام، بسوء سوابقه المخزية، وتاريخ جدّه وأبيه المزري^(٣).

(١) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٧، ص ١٣٩. البحراني، عبد الله، العوالم، الإمام الحسين ﷺ: ص ٤٠٣.

(٢) ابن هشام الحميري، عبد الملك، السيرة النبوية: ج ٤، ص ٤١. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٢١، ص ١٠٦.

(٣) يُنظر: المعلّم، محسن، زينب والظالمون: ص ١١٧-١١٨.

المعنى الثانى: أن تذكر يزيد بالإحسان الذى أغدق به عليهم رسول الله ﷺ، مستنكرة بذلك أن يكون ردّ الجميل والمعروف بما جرى عليهم؛ أى: أولست مفارقة بأن يُعامل مع بنات الطهر والعفاف بنات رسول الله ﷺ بهذه الطريقة المشينة؟!

٢- توبيخ يزيد على سلوكه الفظ وأخلاقه المنحطّة، وابتعاده عن أولويات الفطرة البشرية، التى تقضى بأن جزاء الإحسان بالإحسان.

٣- الطعن فى عدالة يزيد أمام مجلسه، إذ لا يُرجى منه عدل، مع أنّه حينها ادّعى الخلافة لنفسه والإمرة على المؤمنين، يُفترض به أن يكون عادلاً.



الفصل الثالث

الاستلزام الحوارى فى ضوء قاعدة الملاءمة

المبحث الأول

احترام قاعدة الملاءمة

احترام قاعدة الملاءمة (العلاقة أو الصلة): وهي من أهمّ مبادئ الحوار وأحكامه، التي تكتمل وتتمّ بها عملية التواصل التخاطبي، وقد اعتمدها كثير من التداولين كأساس تنطلق منه بقيّة القواعد، وأشهرهم "الصِّلَوِيُّون" أصحاب نظرية الصلة^(١) أو المناسبة. وهي قاعدة يتوافق فيها كل من المقال والمقام، لإبلاغ قصد المتكلّم بأنسب الطرق.

وتعني أن يكون الكلام مناسباً، له صلة بموضوع الحوار، أي: يأتي التخاطب مطابقاً لمقتضى حال المقام الذي قيل فيه من حيث الظروف والملابسات ذات العلاقة التداولية بموضوع الخطاب، وقد ذكر المتقدّمون من علماء البلاغة هذا الأنموذج التخاطبي في تعريفهم البلاغة، حين أخذوا هذا المعطى التداولي قيداً وشرطاً في صحّة بلاغة الخطاب وهو لكل مقام مقال^(٢)، فلا يكون الخطاب بليغاً بغيره.

(١) يُنظر: الخليفة، هاشم عبد الله، نظرية التلويح الحوارية: ص ٨٥-١٠٧.

(٢) يُنظر: التفنّازاني، سعد الدين، مختصر المعاني: ص ٢٦٥.

ولقاعدة الملاءمة السبق على (الكم، والكيف، والطريقة) فيما تقدّمه من استلزمات كثيرة، فباحترامها والتقيّد بها من المتكلّم، تستطيع أن تعطيه القدر الأكبر - أكثر من أيّ قاعدة - من الإيجاز وعدم الإطناب في الخطاب، وترك الأمور التي من شأنها حرف مسار التواصل، إذ «إنّ قائل اللغة العادية - وهو على وعي بقواها المشتقة من دلالاتها الكامنة في العلاقات - لا يفتأ ينزل هذه القوى على حكم المعايير والأغراض العلمية التي يستوجبها الموقف المعين»^(١) فيقدّم خطاباً ناضجاً ملائماً للمناسبة التي صيغ فيها بقصد الإفادة.

ولذا قد يتباين تفاعل المتكلّم في المواقف الخطابية - بحسب المقام - فأحياناً يتمثّل المعنى تاماً، فيفهمه المتلقّي من المحتوى القضوي بكل سهولة ووضوح، وأحياناً آخر قد يلجأ منتج الخطاب إلى إيهام القصد وإخفائه - لغرض ما - فيظهر الخطاب كأنّه لا يتلاءم مع مجريات المقام، وهنا يصبح المتكلّم خارقاً لمبدأ المناسبة، وعند الإمعان فيه تجده - على وفق قواعد التحاور الغرايسية - مناسباً للمقام، غير أنّ منتج أخفى قصده بالخرق؛ ليوصل رسالته بأسلوب مختلف عن المعهود. ولذا من العسير جدّاً العثور على نماذج يحصل فيها استلزام عن خرق حقيقي لقواعد هذه المقولة؛ إذ أنّه من النادر تقديم جواب لا يمكن اعتباره غير ملائم بالنسبة إلى سياق ما^(٢).

ويمكن أن نقارب - تداولياً - هذه القاعدة مع الاستلزام الحاصل في المحاورات التخاطبية في خطاب المسيرة من خلال وضوح الألفاظ:

(١) محمّد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية: ص ٢٥٤.

(٢) يُنظر: فاخوري، عادل، محاضرات في فلسفة اللغة: ص ٢٨.

أولاً: حوارية الإمام الحسين عليه السلام

إغتتم الإمام عليه السلام في فرصة حواريته مع الوليد بن عتبة^(١) عامل بني أمية على المدينة، المأمور بأخذ البعية من الإمام ليزيد^(٢)، حيث كان مروان بن الحكم^(٣) حاضراً، الحث على إصلاح ذات البين، فقال: «الصلة خيرٌ من القطيعة، والصلح خير من الفساد، وقد آن لكما أن تجتمعا، أصلح الله ذات بينكما».

- الوليد ومروان، لم يجيباه بشيء، وقد علاهما صمت رهيب!

(١) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب الأموي (ت ٦٤ هـ - ٦٨٤ م): أمير، من رجالات بني أمية، ولي المدينة (سنة ٥٧ هـ) في أيام معاوية. ومات معاوية، فكتب إليه يزيد أن يأخذ له بيعة الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير، وكانا في المدينة، فطلبهما إليه ليلاً، قبل أن يشيع موت معاوية، فأخبرهما بما جاءه من يزيد، فاستمهلاه إلى الصباح، وقالوا: نصبح، ويجتمع الناس - للبيعة - فنكون منهم. وانصرفا. وكان في المجلس مروان بن الحكم، فلام الوليد على تركهما يخرجان قبل المبايعة، وقال: إنك لن تراهما! فقال الوليد: إنني لأعلم ما تريد! وما كنت لأسفك دماءهما ولا لأقطع أرحامهما. وعزله يزيد (سنة ٦٠) واستقدمه إليه. فكان من رجال مشورته بدمشق، ثم أعاده (سنة ٦١) وثورة عبد الله بن الزبير، في إبانها بمكة. قال ابن الأثير: "ثم أن ابن الزبير عمل بالمكر في أمر الوليد، فكتب ليزيد: إنك بعثت إلينا رجلاً أخرج، ولو بعثت رجلاً سهل الخلق رجوت أن يسهل من الأمور ما استوعر، وأن يجتمع ما تفرق، فعزل يزيد الوليد، وولى عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وهو فتى غر حدث" وظل الوليد في المدينة، وحج بالناس سنة ٦٢، وتوفي بالطاعون. راجع: الزركلي، خير الدين، الأعلام: ج ٨، ص ١٢١.

(٢) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ١٣. الموفق بن أحمد المكي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ١، ص ١٨٣.

(٣) مروان شخصية مجهولة النسب، فلا يعرف له أب، وإنما تُنسب للحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، الذي أسلم يوم الفتح، وكان يتجسس على رسول الله ﷺ، وينقل أخباره إلى الكفار، وقيل: ما أسلم إلا لهذا الغرض، ولم يحسن إسلامه، نفاه النبي ﷺ إلى الطائف، ولعنه. قال الأصمعي: أما قول الحسين: (يا ابن الداعية إلى نفسها) فذكر ابن إسحاق أن أم مروان اسمها أمية أو سمية، وكانت من البغايا في الجاهلية، وكان لها راية مثل راية البيطار، هذه هي أسرة مروان، وهذا شرفها الذي عرفت به، وكانت تسمى أم حبتل الزرقاء، يُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، هامش ١٠٩. الحارثي، جعفر عباس، بلاغة الإمام الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٤٨ - ٤٩.

- الإمام - بعد أن سأل الوليد عن حال معاوية، وأخبره بوفاته - قال للوليد: لماذا دعوتني؟

- الوليد: دعوتك للبيعة.

- الحسين عليه السلام: «إن مثلي لا يبايع سراً، ولا يجتزأ بها مني سراً، فإذا خرجت إلى الناس ودعوتهم للبيعة دعوتنا معهم، كان الأمر واحداً»^(١).

- الوليد، شكر الإمام الحسين عليه السلام على مقالته، وسمح له بالانصراف إلى داره بعد أن توهم الموافقة وطلب التأجيل، فقد عُرف عن الوليد طلب العافية - كما يقول المؤرخون -^(٢).

- مروان: لئن فارقك الساعة ولم يبايع، لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، احبسه، فإن بايع وإلا ضربت عنقه.

- الإمام الحسين عليه السلام: «يا ابن الزرقاء، أأنت تقتلني أم هو؟ كذبت والله ولؤمت»^(٣) ثم أقبل على الوليد، فأخبره عن عزمه وتصميمه على رفض البيعة ليزيد، بقوله عليه السلام: «يا أمير، إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحل الرحمة، بنا فتح وبنا ختم، ويزيد فاسق فاجر، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسوق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيّنا أحق بالبيعة والخلافة»^(٤).

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٢٦٤.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٤٩. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٢٦٤.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٤٩.

(٤) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ١٤. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠. المرعشي، شهاب الدين، شرح إحقاق الحق: ج ٣٣، ص ٦١٥. مع اختلاف في بعض العبارات.

وهكذا تتجلى مقاصد الإمام عليه السلام فى ضوء مجريات الحوار وتنوع الأساليب^(١)، فتكون على النحو الآتى:

الأسلوب الأول: ابتداء الإمام عليه السلام حين دخوله بأسلوب اتسم بالهدوء والسكينة، حيث كان يناسب حال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإصلاح ذات البين؛ فقال: «الصلة خيرٌ من القطيعة، والصلح خير من الفساد، وقد آن لكما أن تجتمعا، أصلح الله ذات بينكما»؛ أي: اغتنم الإمام عليه السلام الفرصة لدعوتها للإصلاح، وبند الفرقة والقطيعة، ودعا لهما بتبام ذلك، وبقي هذا الهدوء حتى بعد أن سمع الإمام سبب استقدامه فى هذا الوقت المتأخر من الليل، وهو أخذ البيعة. فرفضها بأسلوب راقٍ وبكل ثقة، قائلاً: «إنّ مثلى لا يبايع سرّاً، ولا يجتزأ بها منى سرّاً، فإذا خرجت إلى الناس ودعوتهم للبيعة دعوتنا معهم، كان الأمر واحداً».

الأسلوب الثانى: تحوّل أسلوب الحوار من المناورة والاستمهال وتأجيل الأمور والدفع بالتى هى أحسن إلى التشنّج والمواجهة والتحدّى، وهو ما اقتضته طبيعة التفاعل فى مقتضيات المقام بعدما تدخل مروان بن الحكم، وأتب الوليد بقوله: (لئن فارقك الساعة، ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها... احبسه، فإن بايع، وإلا ضربت عنقه). فأجابه الوليد الذى كان أكثر منه حنكة وورعاً، وكان ينأى بنفسه عن التورط بدم الحسين عليه السلام لعلمه بمنزلته، وتتجلى حكمته برّد مروان، قائلاً: «ويحك، إنّك أشرت علىّ بذهاب دينى ودنياي، - والله - ما أحبّ أن أملك الدنيا بأسرها وأتّى قتلت حسيناً - سبحان الله - أقتل حسيناً لما قال لا أباع، - والله - ما

(١) حرص البحث على تناول الحوارية بتفاصيلها.

أظنَّ أحداً يلقي الله بدم الحسين إلّا وهو خفيف الميزان، لا ينظر الله إليه يوم القيامة، ولا يزكّيه، وله عذاب أليم»^(١).

وهنا وثب أبي الضيم على مروان بصوت واثق، وإيمان راسخ، يعرّض به، ويستنكر تهديده إيّاه بالقتل لوضاعته وحقارته، قائلاً عليه السلام: «يا ابن الزرقاء، أأنّت تقتلني أم هو؟ كذبت - والله - ولؤمت»^(٢) وهنا حصل الخرق في إحدى قواعد الخطاب وهي قاعدة التأدّب^(٣)، بمناداة مروان (يا ابن الزرقاء)، إلّا أنّ هذا الخرق جاء ملائماً ومحترماً لظروف المقام، بعد أن تجاوز مروان بن الحكم على مقام الإمام عليه السلام بقوله: «احبسه فإن بايع وإلا ضربت عنقه»، وفي قول الإمام الحسين عليه السلام: (يا ابن الزرقاء) كناية وتعريض بعدم طهارة مولد مروان وبيئته التي نشأ بها، وقد استلزم هذا الخرق قصد المتكلّم، وهو الاستنكار والتعجيز عن الإقدام عبر تشكيكه بمقدرتها على ذلك، فمن كانت هذه حقيقة فهو جبان وعاجز، وما رشح هذا المعنى هو الفعل اللّغوي المباشر (كذبت...، ولؤمت) والقسم (والله)^(٤).

الأسلوب الثالث: وهو رجوع الإمام عليه السلام إلى حالة الاستقرار والهدوء مع الوليد بما يتناسب مع وضع الوليد، الذي كان مجبراً من قبل السلطة على انتزاع البيعة من الإمام عليه السلام، حيث كان على علم بمكانته ومنزلته، وعلى يقين من موقفه من بيعة

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٣٤. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٢٦٤. الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص ٢٥. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٢٥٦. مع اختلاف في الألفاظ في بعض المصادر.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٤٩.

(٣) هنا الخرق جاء على وفق قواعد التأدّب التي اعتمدها رويين لأكوف، والتي سبق أن أشار إليها غرايس إشارة عابرة.

(٤) وسيظهر القصد نفسه عبر خرق قاعدة الطريقة في خرق توالي الملفوظات في تغيير رتبة الفاعل.

يزيد، فأراد من استدعائه للإمام عليه السلام تمثيلية شكلية، سببها:

الأول: أمر يزيد للوليد الذى كان واليه على المدينة، والثانى: وجود مروان بن الحكم، الذى كان حاقداً وحانقاً على أهل البيت عليه السلام وعلى الحسين عليه السلام. وهو ما يفسر قبول الوليد لكلام الإمام عليه السلام - الذى تعمّد فيه الإمام إيهام الوليد - فسمح له بالانصراف، وشكره كما تبين. وبالتالى جاء كلام الإمام عليه السلام مناسباً للموقف، ولم يعتمد الرفض المباشر لطلب الوليد فى بداية الأمر، من غير التأثير فى موقفه الثابت، فقد كان واحداً فى جميع المستويات، حيث لجأ إلى الكناية وعدم التصريح بقوله (مثلى لا يعطى بيعته سراً...) وعاد إلى مثل أسلوبه الأول مع نفس المخاطب (الوليد) بالرغم من حزمه وشدّته - الذى كان مناسباً - مع موقف مروان، حتى أنّ الإمام عليه السلام خاطبه بكلمة (يا أمير، إنّنا...) فالإمام عليه السلام قدّر وراعى - وهذا ما يلمس فى الأسلوب الأول والأسلوب الأخير من المحاوره - نوع المخاطب فى حوارهِ أثناء توجيه الخطاب، بما يتلاءم مع مجريات المقام، وتحصيل الفائدة، وبلوغ المراد، وهذه المراعاة تسمى اليوم بتعديل القوّة الإنجازية على وفق مقتضيات المقام التخاطبى، وطبيعة المخاطب كما يحلو للتداوليين تسميتها^(١)، فالمتكلّم يوازن ويعدّل منظوقه، أو يكيّفه تبعاً لمقصده فى سياق اتصالي معيّن^(٢)، فيلجأ المتكلّم إلى تلطيف الخطاب وتليينه مرّة، والشدّة والحزم مرّة أخرى، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التحدي والإنذار يباين مقام الهزل^(٣)؛ فكلّ كلمة مقام مع ما يسانحها، ولكلّ حدّ

(١) يُنظر: بحث منال النجار فى كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلى علوي: ص ٣٢٢.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ص ٣٢٢.

(٣) يُنظر: السكاكى، يوسف بن محمد، مفتاح العلوم: ص ٧١. الميداني، عبد الرحمن حسن جنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ص ٢٦١.

ينتهى إليه الكلام مقام، وبهذا يتعانق المعنى وجزئيات التركيب فى مواطن الاستعمال، كما يرتبط مع ما يبين تلك الجزئيات من علاقات خلقها المقام^١. وكل ما جرى من تنوع فى أسلوب الإمام عليه السلام الذى لم يجز على وتيرة واحدة، وإنما تنوع تبعاً لتنوع المقام، وعلى وفق ما نصت عليه حكمة العلاقة أو المناسبة من أن يكون الكلام ذا علاقة مناسبة بموضوع الخطاب، وعلى فرض أن المتكلم كان ملتزماً بمبدأ التعاون، هو الذى يجعله يتحرى الدقة والإيجاز والابتعاد عن كل ما هو خارج عن الموضوع من أجل وضوح القصد.

ثانياً: خطاب سيدنا العباس عليه السلام محدثاً نفسه

وذلك بقوله حين وصل المشرفة:

يا نفس من بعد الحسين هوني	وبعد لا كنت أو تكوني
هذا الحسين شارب المنون	وتشرين بارد المعين
والله ما هذا فعال ديني	ولا فعال صادق اليقين ^(٢) .

مما يجعل المتلقى للخطاب يستلزم مقصدين:

١- أن العباس قد صير أخاه الحسين عليه السلام ديناً له يحق له أن يقتل دونه، وأن يذوق فيه مرارة السيف والعطش، فالتلذذ بالماء وارتواء النفس عند العباس عليه السلام مخالف لمبادئ السماء وقيمها.

٢- أن هذه الأرجوزة من شأنها أن تكون دليلاً على توطين النفس التي أشار

(١) يُنظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية: ص ٦٢

(٢) القندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى: ج ٣، ص ٦٧. وقد أورده أيضاً أبو مخنف، إلا أنه بدل (شارب المنون) ذكر (وارد المنون)، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٧٩

إليها الإمام عليه السلام أول خروجه، والرابطة الوثيقة بين النهضة الحسينية وكونها هي الطريق الفريدة إلى الله سبحانه وتعالى، ومن ثمّ فهي تعبير عن وحدة الطريق بين الحسين عليه السلام وبين الدين.

ومنه قوله عليه السلام حينما قطعوا يمينه:

والله إن قطعتم يميني
وعن إمام صادق اليقين
لأحمين مجاهداً عن ديني
سبط النبي الطاهر الأمين^(١).

فجاءت هذه الأبيات مستلزماً للإصرار على التفاني والاستشهاد، ومبرزة للشعور الديني الذي يدافع من أجله العباس عليه السلام. حيث اختزل هذا الدين العظيم بشخص الحسين عليه السلام؛ لذلك صار لازماً شرعياً ودينياً أن يموت، وتقطع أوصاله الطاهرة في سبيل القضية الحسينية، فالنصرة لديه لم تستجب لنداء الأخوة النسبية بينه وبين الحسين عليه السلام، بل كانت تلبي نداء الدين الحنيف المتجسد في شخص الحسين عليه السلام، وكل هذه الألفاظ والمقاصد التي خرجت لها جاءت مناسبة لنداء الحسين عليه السلام الذي لم يختزل بزمان ومكان معين.

ثالثاً: خطاب برير بن خضير لأهل الكوفة

«يا هؤلاء، اتقوا الله، فإن ثقل محمد قد أصبح بين أظهركم، هؤلاء ذريته وعترته وبناته وحرمة، فهاتوا ما عندكم، وما الذي تريدون أن تصنعوا بهم؟ فقالوا: نريد أن نمكّن منهم الأمير عبيد الله بن زياد، فيرى رأيه فيهم»^(٢).

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٣، ص ٦٨. وجدته غير موزون والصحيح (إني أحامي أبداً عن ديني) وهو من بحر الرجز.

(٢) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ١٨٢ - ١٨٣.

وهنا ينبغي الوقوف على الظروف التي كانت وراء هذا الخطاب؛ لكي تكون قرينة حاليّة مقاميّة تسهم في توضيح فحوى الخطاب ومؤدّاه، فيعرف حينها أنّ الباث لم يخرق قاعدة المناسبة، وأهم تلك القرائن:

- الخطاب صدر في العاشر من المحرم، وكان موجّهاً لأهل الكوفة.
- كان أهل الكوفة عازمين على قتل الحسين عليه السلام، أو تسليمه لأمرهم، كما صرّحوا بذلك.

- الباث كان من عبّاد الكوفة وزهادها، ولعلّ هذا ما يتناسب مع قوله (اتقوا الله) لأنّه لو لم يكن تقيّاً لكان كاذباً بقوله هذا، فيخرق حينها قاعدة الكيف، المفترض احترامها وحصولها هنا.

- المستقبلون يعرفون حقيقة المتكلّم، لذا لم ينكروا عليه مقام الوعظ في خطابه.
- المناسبة تقتضي أن يأتي بما يتناسب مع الأمر بالتقوى، وهو ما ذكره بعد أمره إياهم بتقوى الله (فإنّ ثقل محمد صلى الله عليه وآله بين أظهركم)، وهو بهذا يعمل على تحقيرهم؛ لأنّهم مقدمون على قتل رسولهم ونبّيهم، والثقل هنا جيء به لتبشيع صورة الإقدام على القتل.

- أراد الباث أن يزيد في توضيح صورة العترة التي يريدون قتلها، بقوله: «هؤلاء ذريّته وعتريته وبناته وحرمة، فهاتوا ما عندكم، وما الذي تريدون صنعه بهم»، وهو توبيخ مبطن، إذ أنّ العرب كانت تأنف أن تجهز على البنات والحرم، وهذا ما قصده وأراد أن يوصله لأذهانهم العارية من النبل.

فقد كانت الملاءمة، والكيف حاضرتين في صورة هذا الخطاب، بعد شحنها بمعانٍ قصدية، أراد لها الباث أن تصل كي تحقّق تأثيراً، فلعلّ المستقبل يرعوى ويتراجع عن عزمه قتل الحسين عليه السلام وآله. حيث استلزم هذا الاحترام للقواعد قصداً حجاجياً أدّى إلى انزياح الخطاب عن معانيه الحرفية المتمثلة بالجمل الخبرية،

إلى قصدية الإقناع بشنيهم عن الإقدام على القتل وانتهاك الحرمات، فقدّم من الأدلة الحجاجية ما يكفي لردعهم، ولكنهم أبوا إلا عتوّاً ونفوراً، وran على قلوبهم.

رابعاً: حوار الإمام الحسين مع زينب عليها السلام

قال: «لَوْ تَرَكْتُ الْقَطَا^(١) لَيْلًا لَنَامَ، قالت: يا ويلتي، أفتغصب نفسك اغتصاباً؟^(٢) فذلك أقرح لقلبي وأشدّ على نفسي، ثم خَرَّتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا، فقام إليها الحسين عليه السلام، فصبّ على وجهها الماء، وقال لها: يا أختي، اتقي الله، وتعزّي بعزاء الله، واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون، وأنّ أهل السماء لا يبقون، وأنّ كل شيء هالك إلا وجه الله، الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد واحد. أبي خير منّي وأمّي خير منّي وأخي خير منّي، ولي ولهم ولكلّ مسلم برسول الله أسوة. فعزّاها بهذا ونحوه، وقال لها: يا أختي، إنّني أقسم عليك، فأبرّي قسمي، لا تشقيّ عليّ جيباً، ولا تخمشي عليّ وجهاً، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت»^(٣).

يلمس القارئ من هذا الخطاب براعة الأسلوب الخطابي ودقّته وتمكّن الملقّي من ناصية اللغة؛ إذ جاء كلامه موافقاً بين حالتين من حالات تقديم المعلومات، الحالة

(١) القطاء: جمع قطاة، وهي طائر بحجم الحمام، صوته قطا قطا، وهذا مثل، قال الميداني: نزل عمرو بن أمامة على قوم من مراد، فطرقوه ليلاً، فأثاروا القطا من أماكنها، فرأتها أمراته طائرة، فنبّهت المرأة زوجها، فقال: إنّها هي القطا، فقالت: لوترك القطا ليلاً لنام. يضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته، وقيل غير ذلك. يُنظر: النيسابوري الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد، مجمع الأمثال: ج ٢، ص ١٧٤، رقم المثل: ٣٢٣١.

(٢) ولا يرى المجلسي لذكر الاغتصاب وجهاً، فيقول: والظاهر أنّه تصحيف؛ والصحيح: (أفتحتسب نفسك احتساباً). يقال: احتسب ولدأله: إذا مات ولده كبيراً، ومثله: احتسب نفسه: إذا عدّها شهيداً في ذات الله، وقد مرّ في (ص ١٣٨ من ج ٤٤) كلام الحسن بن علي عليه السلام: (اللهم إنّني أحتسب نفسي عندك) يُنظر: المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٣ في الهامش.

(٣) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام: ص ٤٩٠.

الأولى كانت متماشية مع مراعاة مجريات السياق المقامي، أي: احترام (الملاءمة)، والحالة الثانية منسجمة مع احترام قاعدة الطريقة، وذلك من خلال مجيئ سياق الملفوظات مرتباً على وفق ما تقتضيه القاعدة الفرعية الرابعة من قاعدة الطريقة^(١)، فتجد الإمام عليه السلام عمد إلى لفت انتباه أخته زينب، ومناداتها بأحبّ وأقرب الألفاظ على قلبيهما، ثم بعد ذلك رتب الكلام. ومع أنّ الظروف والسياسات المفاجئ يشيران إلى أنّها عليها السلام قد أغشي عليها إلا أنّ الإمام عليه السلام تمكّن من لفت انتباهها إليه، فأخذ يوجّهها ويذكرها بتقوى الله أولاً، ثم التعزّي، أي: التصبّر^(٢) والتقوى بقوة الله تعالى وغلبته^(٣). ومن خلال تقديم المعلومات في سياق ملفوظات مرتبة جاء كلامه مرتباً، فبدأ بذكر فناء أهل الأرض قبل أهل السماء، ثم أكد أنّ كل شيء هالك إلا وجه الله، وعرج إلى ذكر سبب بقاء وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ثم ذكرها بالبعث، وانتقل إلى ذكر صفات الله تعالى، وأخذ يسترسل بذكر أفضليّة أبيه وأمه وأخيه عليه السلام وتأسّي الجميع بأسوة العالمين جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله. حيث يمكن أن يُستجلى من كلّ ما تقدّم مجموعة من المقاصد كانت وراء ترتيب المعلومات وتسلسلها مع ملاءمتها لمجريات السياق المقامي:

١- بيان حتمية وقوع المصيبة والفاجعة.

٢- تهيئة الأسرة ومن سيتولى بعده قيادة ركب المسيرة الإصلاحية لهول المصاب الذي سيلقونه، إذ لا بدّ من التعرّف على مجريات الأمور على وفق حجمها الطبيعي،

(١) سيأتي بيان هذه القاعدة تفصيلاً في الفصل الرابع من الرسالة.

(٢) وذهب نفر من اللّغويين إلى أنّ التعزّي غير التصبّر؛ إذ المرء يعزّي لكي يصبر، بل بعضهم يفسّره بأحسن الصبر، وبالتالي يكون مراده ذهاب الصبر كلّ، أدناه وأعلاه، وأقلّه وأكثره. يُنظر: رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطوير: ص ١١١.

(٣) يُنظر: ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج ٥، ص ٣٧٤ مادة (عزز).

فبدى حجم المصيبة عظيماً، وجاءت ردود الفعل كبيرة، ما جعل الإمام ينتقل - تداولياً - إلى المقصد الثالث.

٣- يشدّ عزمهم، ويقلّل من هول المصيبة وحجمها، وتقوية أخته العقيلة عليها السلام، والربط على قلبها، وتذكيرها بمصير حال من هم أفضل منه عبر ترتيب المفوضات والاستدلال. فطبيعة المتكلم والمقام وحالة المتلقي كلّها مجتمعة تحدّد حجم المصيبة.

خامساً: خطاب السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام لأهل الكوفة

حين استقر ركب السبايا في الكوفة توجّهت إلى أهلها مخاطبة، فقالت: «تَبّاً لَكُمْ، فَانْظُرُوا اللَّعْنَةَ وَالْعَذَابَ»^(١)، إذ جاء خطابها عليها السلام موجّهاً لأهل الكوفة الذين قتلوا والدها وأهل بيتها عليهم السلام، وموافقاً للمناسبة وظروف المقام، حيث استثمرت الفعل اللّغوي المباشر الذي دلّت عليه القرينة (صيغة الأمر) في إنجاز معنيين:

١- المعنى القضوي الذي تؤكّده الدلالة الظاهرية للتركيب، الاستفادة من أمرهم بانتظار العذاب على وجهة الإلزام، فالأمر «طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الأمر لنفسه على أنّه أعلى منزلة ممّن يُخاطبه، أو يوجّه الأمر إليه، سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا»^(٢). وهي عليها السلام مع أنها أعلى منزلة منهم في الواقع، إلّا أنّ مناسبة المقام اقتضت خروج الأمر على غير الظاهر.

٢- القصد المستلزم: وهو أنّ خروج الفعل اللّغوي على غير مقتضاه أنجز فعلاً لغوياً غير مباشر، استلزم منه قصدها توبيخ المتلقي وتوجيه ذهنه من خلال التهديد والوعيد لما ينتظره من العذاب، وهذا ما يناسب احترام قاعدة المناسبة، فهي مع

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللّهُوف في قتلى الطفوف: ص ٩٠، الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٨.

(٢) عبد العزيز عتيق، علم المعاني، عبد العزيز عتيق: ص ٨١.

كونها فى حالة لوعة وحزن شديدين؛ لقتل أبىها الإمام الحسين عليه السلام، قد جاءت بما يؤكّد هذا المعنى الذى خرج إليه القصد، فقرنت (الفاء) بفعل الأمر لتؤكد هذا القصد، فى نهاية الخطبة بقولها: «فَاكْظُمُ وَاقَعٌ كَمَا أَقْعَى أَبوك»^(١)، وهى لم تقصد بالأمر الإيجاب والإلزام، بل استلزم من استعمالها هذا قصد توبيخ المتلقّى وتقريعه، إذ شبّهته بالكلب حينما يجلس، لما فيه من تحقير وتقريع له. فالإقعاء من أقعى الكلب إذا جلس على أسنّته مفترشاً رجله وناصباً ساقه^(٢)، وهو أن يلصق الرجل إتيه بالأرض وينصب ساقه ويتساند إلى ظهره.

سادساً: خطاب السيدة زينب عليها السلام أمام أهل الكوفة

قالت السيدة زينب عليها السلام فى خطبتها أمام أهل الكوفة: «هل فىكم إلّا الصّلفُ والعجبُ والشّفنُ...، أَتَبْكُونُ أخى؟.. أَتَدْرُونَ - وَيَلْكُم - أَيَّ كَبِدٍ لِمَحْمَدٍ صلى الله عليه وآله فَرَيْتُمْ؟ وَأَيَّ عَهْدٍ نَكُثْتُمْ؟ وَأَيَّ كَرِيمَةٍ لَهُ أَبْرَزْتُمْ؟ وَأَيَّ حُرْمَةٍ لَهُ هَتَكْتُمْ؟ وَأَيَّ دَمٍ لَهُ سَفَكْتُمْ؟.. أَفَعَجِبْتُمْ أَنْ تُنْطَرِ السَّمَاءُ دَمًا»^(٣).

مما يعين الخطيب على بلوغ مقاصده على وفق احترام المناسبة، هو حسن تمكّنه من إطلاق جماليات التعبير وتأثيراتها فى صياغة الحوار، ومنها: الاستفهام^(٤)، فكثير من الحوارات تبنى على طريقة السؤال والجواب «وهى طريقة حوارية بارعة تدفع

(١) ابن طاووس، على بن موسى، اللهوف فى قتلى الطفوف: ص ٩٨. الطبرسي، أحمد بن على، الاحتجاج: ج ٢، ص ١٠٨.

(٢) يُنظر: السيّد خضر، أبحاث فى النحو والدلالة: ص ١٧٣.

(٣) ابن طاووس، على بن موسى، اللهوف فى قتلى الطفوف: ص ٩٤ - ٩٥. الطبرسي، أحمد بن على، الاحتجاج: ج ٢، ص ١١٠-١١٢.

(٤) حسن محمّد وجيه، مقدمة فى علم التفاوض السياسى والاجتماعى: ص ٧٤.

بالخصم دفْعاً إلى النتيجة التي يريدُها المحاور»^(١)؛ لأنَّ العقيلة عليها السلام اختارت من الأسئلة التي تعلم أنَّ إجابتها تدفع نحو النتيجة التي تريد، ولو تأمل القارئ أسلوب الاستفهام الذي وظّفه السيّد عليه السلام، لعلم أنّه «من أوفر أساليب الكلام معاني، وأوسعها تصرّفاً، وأكثرها في مواقف الانفعال وروداً...، وحيث يُراد التأثير وهيجان الشعور للاستحالة والإقناع، فالاستفهام أقدر تلك الأساليب على الوفاء بحقّ تلك المواقف»^(٢)، إلّا أنّها لم تكن تنتظر الجواب، فهي تدرك أن حقيقة الاستفهام تأتي لـ «طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، بأداة خاصّة»^(٣). وهذا ما استلزم مقاصد عديدة، منها أنّها:

أنكرت عليها السلام عليهم فعلتهم التي خذلوا بها الإمام الحسين عليه السلام، مُستثمرة الموقف بقصد تأجيج المشاعر، وإثارة الحماس في نفوسهم، بعد أن نبّهتهم على جسامته ما اقترفوه بحقّ إمام مفترض الطاعة. حيث وجّهت الخطاب لهم مُرجعة ضمير المُخاطب عليهم وحدهم، من غير أن تترك احتمال وجود مُشارك لهم في الجريمة، مع يقينها - ويقينهم - أنّ الجريمة تمّت بأمر من يزيد، وهذا ما سوّغ إعطاء الخطاب استلزاماً تداولياً، القصد منه كشف حقيقة خطئهم على مقدار ما اقترفوه.

سابعاً: خطاب السيدة أم كلثوم عليها السلام في أهل الكوفة

تسلم السيدة أم كلثوم عليها السلام خطاب التفرّيع لأهل الكوفة قائلة: «ويلكم، أتدرون أيّ دواهٍ دهتكم؟ وأيّ وزرٍ على ظهوركم حملتم؟ وأيّ دماءٍ سفكتموها؟ وأيّ كريمةٍ

(١) يُنظر: الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج ١، ص ٣٤٨.

(٢) فودة عبد العليم السيد، أساليب الاستفهام في القرآن الكريم: ص ٢٩٢.

(٣) عبد العزيز عتيق، علم المعاني: ٩٦. علي الجارم ومصطفى أمين، جواهر البلاغة: ص ٨٥.

أصبتموها؟ وأي صبيّة سلبتموها؟ وأي أموالٍ انتهبتموها؟»^(١)، وقد ترك تقديم الحوار بأسلوب الاستفهام المتكرّر منها، أثراً بليغاً في نفوس المستمعين من خلال الكشف عن عظم المصائب الذي لحق آل البيت عليهم السلام إثر ما اقترفه القوم. وقد بدت أهميته بارزة لما استلزمه من معانٍ آخر غير الاستفهام الحقيقي:

- ١- جاء الاستفهام إنكارياً، كاشفاً عداة هؤلاء القوم للبيت العلوي.
- ٢- استلزم التعجب ممّن قتل ابن بنت نبيهم صلّى الله عليه وآله، وهذا ما سوّغ للسيدة أم كلثوم عليها السلام أن تأتي بالاستفهامات مُتتالية بلا فاصل، لإظهار فداحة جريمتهم.

ثامناً: حواريّة الإمام الحسين عليه السلام مع الطرمّاح بن عدي الطائي

بعد أن عرض الطرمّاح على الإمام الحسين عليه السلام نصرته هو وعشيرته؛ أطلعه على أخبار الكوفة، فقال عليه السلام: « جزاك الله وقومك خيراً، إنّه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول، لسنا نقدر معه على الانصراف، ولا ندري علام تنصرف بنا وبهم الأمور في عاقبة»^(٢).

حتى نلمس تفاعل خطاب الإمام وتباينه مع الطرمّاح وأصحابه مع مجريات السياق المقامي، يحرص المنهج التحليلي على تناول المحادثة بتفاصيلها؛ كي تتضح مقاصد الحوار بشكل واضح وجلي، وقد جاء ذلك على ثلاثة مستويات:

المستوى الأوّل: هو مستوى الاستفهام والسؤال عن أخبار الكوفة ورأي الناس، فأخبروه بذلك، وبقصّة مقتل مبعوثه قيس بن مسهر الصيدائي، فقال عليه السلام: (منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً)، وهنا قصد الإمام عليه السلام التلويح

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللّهُوف في قتلى الطفوف: ص ٩٩.

(٢) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٨٨. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٠٧. العسكري، مرتضى، معالم المدرستين: ج ٣، ص ٧٤.

للإصرار على الشهادة وبتوطين الأنفس على ذلك، كل حسب دوره ومسؤوليته، ودعا لهم بقوله: «اللهم اجعل لنا ولهم الجنة نزلاً، واجمع بيننا وبينهم في مستقر رحمتك ورغائب مذخور ثوابك»^(١)، فمع كون هذا الخطاب دعاءً لكنه جاء محملاً بدلالاتين: المعنى القضوي: وهو الدلالة الحرفية المعجمية لعناصر التركيب، وهو النداء والأمر.

المعنى المستلزم: وهو التلويح للمتلقى (الطرمّاح وأصدقائه) بأن كل من صحب الحسين عليه السلام، وكل من قضى نحبه في ركب الحسين، سيحظى بدعاء الحسين، وسينال الجنة وصحبة أهل البيت عليه السلام، وهذه الصحبة هي في مستقر من رحمة الله ورضوان، بما «لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»^(٢).

المستوى الثاني: وهو مستوى خرج إلى التضامن من لدن الإمام عليه السلام حينما خاطب أصحابه بقوله: «لأمنعهم مما أمنع منه نفسي، إنّما هؤلاء أنصاري وأعواني»^(٣) عندما حاول الحرّ حبسهم، فالإمام عليه السلام يفتح خطابه معهم (أنصاري وأعواني) ذات الدلالة الاجتماعية على التلاطف القربي؛ ليخلق جواً من التبادل العاطفي مع الطرمّاح ومن معه، ولا شك أن قوله هذا يخلق تبادلاً قيمياً، فلا يتصور السامع معها أن الخطاب سينطوي بعد ذلك على غير المكاشفة الدالة على التضامن مع المتلقي، الذي يرشح هذا المعنى قوله بعد ذلك «هم أصحابي، وهم بمنزلة من جاء

(١) السماوي، محمد، إِبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ص ١١٤. المرعشي النجفي، شهاب الدين، شرح إحقاق الحق: ج ١١، ص ٦٠٥.

(٢) ابن حزم، علي بن أحمد، المحلّي: ج ١، ص ١٢. السبكي، علي بن عبد الكافي، فتاوى السبكي: ج ٢، ص ٥٦٢. المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: ج ٥، ص ٣٦٦.

(٣) أبو مخنف، لو ط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٨٨. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ص ٤، ص ٣٠٦. العسكري، مرتضى، معالم المدرستين: ج ٣، ص ٧٤.

معني، فإن تَمَّت على ما كان بيني وبينك وإلا نأجزتك»^(١) وهو خطاب تضامني عالي المستوى منه عليه السلام، يستلزم مقاصد عدة:

١- تقوية موقفهم تجاه حكومة عبيد الله بن زياد، الذي أصدر أوامره للحرّ الرياحي بحبسهم؛ لأنهم مؤمنون ورافضون للظلم وقلوبهم مع الحسين عليه السلام، فحينما ينسبهم الحسين لنفسه، سيكون حتماً موقفهم أقوى.

٢- النهي والترك عمّا عزم عليه الحرّ من حبسهم: «وأقبل إليهم الحرّ بن يزيد فقال: إنّ هؤلاء النفر الذين من أهل الكوفة ليسوا بمن أقبل معك، وأنا حابسهم، أو رادّهم»، فقد هدّد الإمام عليه السلام بالقتال إن نقض ما كان بينهما، ممّا جعله يكفّ عنهم.

٣- قصد الإمام عليه السلام محاججة الحرّ، ومن ثمّ إقناعه، وتأتي أهميّة الإقناع بوصفه هدفاً واستراتيجية تحقّق القصد الخطابي في كثير من الخطابات، يستعمل المرسل فيه آليات كثيرة وأدوات لغوية وغير لغوية^(٢)، حيث وظّف الإمام عليه السلام أسلوب التركيب الشرطي. إذ الشرط هو توقّف الشيء على غيره، أو هو توقّع حصول الشيء لوقوع غيره^(٣)، كما أنّ جملة الشرط من أكثر أنواع الجمل ملاءمة للغرض الجدلي الحجاجي، المفيدة مع شرطها أنّ المقدّمة إن كانت صالحة، فإن النتيجة ستكون حتماً كذلك، والعكس بالعكس^(٤). لذلك يمكن استثمار التركيب الشرطي في أغراض الجدل القائم على توالي المقدمات ونتائجها. وقد استلزم حوار الإمام الحسين عليه السلام عبر أسلوب الشرط معنيين، هما:

(١) المصادر الثلاثة نفسها.

(٢) يُنظر: الحاج، ذهبيّة هو، التحليل التداولي للخطاب السياسي: ص ٤٥٤.

(٣) يُنظر: المبرّد، محمّد بن يزيد، المقتضب: ج ٢، ص ٤٦.

(٤) الوسائل اللّغوية للتأثير والإقناع في مقالات إحسان عبد القدوس عن الأسلحة الفاسدة، إيهان السعيد جلال، صحيفة اتلالسن (٢٤)، ٢٠٠٨م: ص ٥٩.

المعنى القضوي: وهو ما دلّت عليه الدلالة الحرفية لعناصر التركيب، وهي الإخبار بحقيقة هؤلاء القوم.

القصد المستلزم: تذكير الإمام عليه السلام للحرّ، ونهيه عن التعرّض لأصحابه مادام لم يأتِه كتاب عبيد الله بن زياد، بقوله «وقد كنت أعطيتني ألاّ تتعرّض لي بشيء حتى يأتيك كتاب من ابن زياد، فقال: أجل، لكن لم يأتوا معك، قال: هم أصحابي، وهم بمنزلة من جاء معي، فإن تمّمت على ما كان بيني وبينك وإلاّ ناجزتك...» وهنا الإمام عليه السلام خيّرهُ من خلال استلزامه الفعل اللّغوي المباشر، الذي دلّت عليه القرينة بقوله (أعطيتني) ما بين أن يلتزم بالعهد وبما قطعه على نفسه، وبين القتال.

المستوى الثالث: وهو ما ختمت به الحوارية، حيث لم يفارق الهدوء والطمأنينة، والسكينة، والاستقرار الإمام عليه السلام، مما يستلزم منه الافصاح عن عمق الإيمان في أداء الواجب، فضلاً عن استلزامه التضامن - أيضاً - الذي ترشّح عن دعاء الإمام عليه السلام بقوله: «جزاك الله وقومك خيراً»، وقد جاء جواب الإمام عليه السلام بعد ما قدّمه الطرّاح من عرض، في سياق التزام الإمام عليه السلام مع أهل الكوفة؛ بقوله: «إنّه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول، لسنا نقدر معه على الانصراف، ولا ندرى علام تنصرف بنا وبهم الأمور في عاقبة»^(١)، حيث يستلزم قوله هذا، أموراً عدّة:

١- الاستجابة لاستغاثة أهل الكوفة، وقد عبّر عنه في موقف آخر «فحين استصرختمونا وجلين فأصرخناكم موجفين»^(٢).

(١) الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٠٦. العسكري، مرتضى، معالم المدرستين: ج ٣، ص ٧٤. أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٨٧.

(٢) وجلين: خائفين، موجفين: مسرعين.

٢- إنَّ أهل الكوفة كتبوا إليه أنَّهم يبائعونه، ويولّونه عليهم بقولهم: «فأقدم علينا، فإنَّك إنَّما تقدم على جند مجنّدة»^(١)، وهنا يمكن أن ترد عدّة إشكالات تتعلّق بالهدف، والقصد الذي استلزمه خطاب الإمام عليه السلام، لعدم قبول العروض التي قدّمت له، سواءً من عبد الله بن عباس، أم من الطرمّاح الذي كان قريباً من أخبار أهل الكوفة وأوضاعهم التي انطوت على نكث البيعة وعلى الغدر. ويستلزم من كل هذه الإشكالات سقوط تكليف الإمام عليه السلام وانتفاؤه^(٢)، حيث انطوى العرض الذي قدّمه الطرمّاح على مقترح ذكي، يكشف عن الفرق بين منطق النّاس العاديين ومنطق الشهداء، فلكلّ معايير ومقاييس يُحدّد بموجبها موقفه من المسائل والأحداث. كما لا يمكن قياس أو مقارنة منطق الشهيد بمنطق النّاس العاديين؛ لأنّه أسمى وأرقى لمزجه بين منطق المصلح ومنطق العاشق، فالمصلح يتضوّر قلبه ألماً لمجتمععه، والعاشق يتضوّر شوقاً للقاء ربّه ومعشوقه^(٣). نعم هو تفكير منطقي، لكنّه ليس تفكير المصلح العاشق ومنطقه الذي يتحرّق شوقاً للقاء ربّه، ويروم الانصهار في جسم المجتمع المظلوم؛ ليعيد له حقّه المغتصب في جسد الأمة الميّت، وليبعث فيه حياة القيم الإنسانية من جديد.

٣- إعطاء المثل الأعلى للدين الحنيف، الذي يستحقّ هذا القدر العظيم من التضحية والفداء؛ حتى تطبّق الأحكام الإسلامية والشعائر الدينية^(٤).

(١) ابن كثير الدمشقي، إسماعيل، البداية والنهاية: ج٨، ص١٩٤. أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص١١٨. الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج١، ص١٠٢.
 (٢) الصدر، محمد، أضواء على ثورة الحسين عليه السلام: ص٩٧ - ١٠٠.
 (٣) يُنظر: المطهري، مرتضى، بين المنبر والنهضة الحسينية: ص١٧٩.
 (٤) الصدر، محمد، أضواء على ثورة الحسين عليه السلام: ص١٠١.

تاسعاً: حوارية مبعوث قيصر الروم مع يزيد^(١)

قال: «يا ملك العرب، رأس من هذا؟ فقال له يزيد: ما لك ولهذا الرأس؟ قال: إنِّي إذا رجعت إلى ملكنا يسألني عن كلِّ شيء رأيتَه؛ فأحببت أن أخبره بقصة هذا الرأس وصاحبه؛ ليشاركك في الفرح والسرور، فقال يزيد: هذا رأس الحسين بن عليّ بن أبي طالب، فقال: ومن أمّه؟ قال: فاطمة الزهراء، قال: بنت من؟ قال: بنت رسول الله، فقال الرسول: أف لك ولدينك، ما دين أحس^(٢) من دينك، اعلم أنّي من أحفاد داود، وبينني وبينه آباء كثيرة، والنصارى يعظمونني ويأخذون التراب من تحت قدمي تبرّكاً؛ لأنّي من أحفاد داود، وأنتم تقتلون ابن بنت رسول الله وما بينه وبين رسول الله إلا أم واحدة، فأبّي دين هذا؟ ثم قال له الرسول: يا يزيد، هل سمعت بحديث كنيسة الحافر؟ فقال يزيد: قل حتّى أسمع^(٣)...، فقال يزيد لأصحابه: اقتلوا هذا النّصراني؛ فإنّه يفضحنا إن رجع إلى بلاده ويشنّع علينا، فلما أحسّ النّصراني بالقتل، قال: يا يزيد،

(١) روى الخوارزمي بإسناده عن زيد بن عليّ، وعن محمد بن الحنفية؛ عن عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام أنّه قال: لما أتى برأس الحسين عليه السلام إلى يزيد، كان يتخذ مجالس الشّرب، ويأتي برأس الحسين فيضعه بين يديه ويشرب عليه، فحضر أحد مجالسه رسول ملك الروم، وكان من أشرف الروم وعظمائها. يُنظر: موسوعة شهادة المعصومين عليهم السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام: ج ٢، ص ٣٨٢ - ٣٨٣.

(٢) هكذا ورد، والصحيح (ما ديني إلا أحسن من دينك)

(٣) فقال: إنّ بين عمان والصّين بحراً مسيرته سنة، ليس فيه عمران إلا بلدة واحدة في وسط الماء، طولها ثمانون فرسخاً، وعرضها كذلك، وما على وجه الأرض بلدة أكبر منها، ومنها يحمل الكافور والياقوت والعنبر، وأشجارهم العود، وهي في أيدي النّصارى، لا ملك لأحد فيها من الملوك، وفي تلك البلدة كنائس كثيرة، أعظمها كنيسة الحافر، في محرابها حُقة من ذهب معلقة فيها حافر، يقولون: إنّ حافر حمار كان يركبه عيسى، وقد زينت حوالي الحُقة بالذهب والجواهر والدّياج والإبرسيم، وفي كلّ عام يقصدها عالم من النّصارى، فيطوفون حول الحُقة ويزورونها ويقبلونها، ويرفعون حوائجهم إلى الله ببركتها، هذا شأنهم ودأبهم بحافر حمار يزعمون أنّه حافر حمار كان يركبه عيسى نبيّهم؛ وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم، لا بارك الله فيكم ولا في دينكم.

أترى قتلّى؟ قال: نعم، قال: فاعلم أنّى رأيت البارحة نبيكم فى منامى وهو يقول لى: يا نصرانى، أنت من أهل الجنة، فعجبت من كلامه حتّى نالنى هذا، فأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله، ثمّ أخذ الرأس وضّمّه إليه، وجعل يبكي حتّى قتل^(١).
يمكن أن يُستشفّ جملة من المقاصد التى انطوت عليها المحادثة فى ضوء قاعدة الملاءمة ووضوح الألفاظ حوارياً، جاءت متناغمة مع مجريات السياق المقامى على منوالين:

المنوال الأوّل: ما تتمّع به مبعوث القيصر من ذكاء، وفطنة، وبراعة فى استدراج يزيد من خلال مقصديّة التضامن والإقناع التى سلكهما بما يناسب مجريات حيث بدت أهمّ مسوّغات استراتيجية التضامن التى استلزمها قاعدة الملاءمة فى كسب ولاء النّاس، وتأسيس الصداقة بين طرفى الخطاب، والتركيز على حسن التعامل مع صاحب السلطة... إلخ^(٢). أمّا أبرز مسوّغات استراتيجية الإقناع التى اقتضتها قاعدة الملاءمة فهى شموليّتها؛ إذ تستعمل فى جميع الأصعدة، وتأثيرها التداولى فى المتلقّى أقوى؛ لأنّها تحقّق النتائج دون فرض أو قوّة، ونتائجها تبتعد عن سوء فهم أو تأويل الخطاب^(٣).

ولتحقيق مقصديّة التضامن ووسائله، لا بدّ من توفر أداة التضامن، وهى التعبير الإطرائى؛ إذ يعتمد منشئ الخطاب لاختيار ألفاظ تدلّ على التضامن

(١) يُنظر: القندوزى الحنفى، سليمان بن إبراهيم، ينبع المودّة لذوى القربى: ص ٢٩. الحسينى الفيروزى، مرتضى، فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج ٣، ص ٢٩٨. موسوعة شهادة المعصومين (عليه السلام)، لجنة الحديث فى معهد باقر العلوم (عليه السلام): ج ٢، ص ٣٨٢-٣٨٣.
(٢) كان يزيد يتخذ مجالس الشّرب، ويأتى برأس الحسين، فيضعه بين يديه ويشرب عليه.
(٣) يُنظر: الشهرى، عبد الهادى بن ظافر، استراتيجيات الخطاب: ص ٢٦١-٢٦٢.
(٤) يُنظر: المصدر نفسه: ص ٤٤٥-٤٤٧.

والتقرب من المتلقى، فى جعلها دليلاً ومؤشراً لغوياً فى خطابه من خلال إنجاز بعض الأفعال اللغوية، مثل: السلام والحمد والثناء والتهنئة والترحيب وغيرها^(١)، وقد سمّته "هدى عبد الغنى باز" بالترفضيل التعبيرى^(٢)، وبتطبيقه على ما نحن فيه نجد أنّ مبعوث القيصّر أطلق تعبير (يا ملك العرب) الذى استلزم من ظاهره تضامنه مع يزيد، مع أنّ ما آلت إليه الحوارية استلزم غير ذلك.

المناول الثانى: الذى ناور فيه مبعوث القيصّر مع يزيد بقصد التضامن أولاً من خلال الفعل الكلامى غير المباشر؛ الذى يخوّل للمتكلّم إفهام المتلقى إيصال رسالته بصورة مباشرة فى ضوء الخطاب المباشر، أو بواسطة الخطاب غير المباشر، وهو الاستراتيجية البديلة للخطاب المباشر؛ لئلا يكون الإخفاق مآل الخطاب. ولإنجاز ذلك لا بدّ من توفر شروط مشتركة بين فهم الخطاب المباشر وغيره، من أهمّها:

- ١- معرفة أصول اللغة بمستوياتها كافة.
- ٢- معرفة دلالات هذه الأصول.
- ٣- معرفة كيفية إنتاج الخطاب على وفق ما تقتضيه الأحوال والسياق المقامى^(٣). والمعرفة بهذه الشروط هي نتاج الكفاية اللغوية التى يمتلكها الإنسان السويّ، وكل شخص الخطاب - آنذاك - من مرسلٍ ومتلقٍ كان على قدر ليس بالقليل من الكفاءة اللغوية، ويرى الصّراف أنّ من أهمّ المسوّغات التى تدفع المرسل إلى استعمال الخطاب غير المباشر^(٤):

(١) يُنظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب: ص ٢٨٤.

(٢) هدى عبد الغنى باز، الخطاب السياسى عند مصطفى كامل: ص ٩٩.

(٣) يُنظر: الصراف، علي محمد حجي، الأفعال النجازية فى العربية المعاصرة: ص ١٢٧.

(٤) المصدر نفسه: ص ١٣٦.

- ١- التأدّب في الخطاب مع الذات أو مع المتلقّي، أو مع مكان الخطاب.
- ٢- تجنّب إكراه المتلقّي أو إحراجه لإنجاز فعل قد يكون غير راغب في إنجازه.
- ٣- الاستغناء عن إنتاج عدد من الخطابات، والاكتفاء بإنتاج خطاب واحد؛ ليؤدّي معنيين في الآن نفسه، هما: المعنى الحرفي والمعنى غير المباشر.
- ٤- رغبة المتكلّم في التخلّص والتهرّب من مسؤولية الخطاب؛ يجعل الخطاب يحتمل أكثر من تأويل، منها القريب ومنها البعيد، فيلجأ المتلقّي إلى التأويلات الممكنة والمناسبة للسياق.
- ٥- استجابة المتكلّم لمخاوفه تدفعه لاستعمال تلك الأفعال، لئلا يتّخذ المتلقّي خطابه دليلاً عليه.

وقد تحدّثت عن تلك الأفعال غير المباشرة روبين لأكوف في سياق حديثها عن مبدأ التأدّب الذي تفرّعت عنه ثلاث قواعد، أطلقت عليها قواعد تهذيب الخطاب^(١). إنّ المبعوث (السفير) يمثّل رئيس دولته أمام الدولة المعتمد لديها، كما أنّه يمثّل وزارة الخارجية والوزارات الأخرى^(٢)، واعتمد على قدرة وإمكانية يزيد في أعمال عقله في القياس والانتقال من العام إلى الخاص بقوله «يسألني عن كل شيء رأيت» والرأس بعض هذه الأشياء، ثم انتقل إلى التعليل، وهو أحد وسائل الإقناع اللّغوية التي يطلقها المتكلّم ليشكّل خطابه الإقناعي وبناء حججه فيه؛ بحيث يستعملها الخطيب ليبرر فعله أو تعليله بناءً على سؤال متلفّظ أو مستلزم، ومن ألفاظ التعليل

(١) سنأتي على التفصيل في ذلك ضمن الفصل الرابع لهذه الرسالة.

(٢) عبد الحكيم سليمان وادي، بحث وظائف البعثات الدبلوماسية، المبحث الثاني، الوظيفة الدبلوماسية: <https://Pulpit.Alwatanvoice.Com/Articles/٢٠١٣٠٣١٥١٢١١٣٧١>.
 .Html

المفعول لأجله، لام التعليل^(١)...الخ. وتقدير هذا السؤال الذى جاء ملائماً، ومناسباً حوارياً هو: لم يسألك؟ فىأتى الجواب؛ لىشاركك فى الفرح والسرور، وهذا ما دفع يزيد إلى البوح والتعريف باسم صاحب الرأس، دونما خوف أو وجل، بعد أن تحقق قصد المبعوث، وهو إقناع يزيد الذى تردد، وأنكر سؤال المبعوث بقوله: «مالك والرأس»؟! إلا أن المبعوث تأكد من حقيقة صاحب الرأس عبر تكرار السؤال الذى جاء مناسباً حوارياً على وفق مجريات الأحداث مقامياً. ويمكن أن نستنتج من هذه الحوارية مقاصد عدة جاءت حاكية عن معنيين:

المعنى القضوى: وهو ما أفادته الدلالة الحرفية المعجمية لعناصر التركيب؛ أى: الاستفهام والتعليل.

القصد المستلزم: التعريض والتشكيك بدين يزيد وبإسلامه الذى جاء على خلاف المبادئ السمحة التى جاء بها دين جدّ صاحب الرأس الشريف ﷺ، وهو ما يستنتج من الاستلزمات الآتية:

أ - كشف حقيقة هذا الملك - الذى نصب نفسه مدّعياً خدمة البلاد والعباد - للقيصر وللحاضرين.

ب - إظهار أفضلية الديانة (النصرانية) بقوله: (أفضل من دينك يا يزيد) الذى جاء كأحد وسائل الإقناع، متعمداً إيصال مفاد ذلك إلى المتلقي - يزيد -، وأردفه استدلال عبر خرق قاعدة الملاءمة تمثّل بسؤال يزيد عن كنيسة الحافر؛ إذ لو كان يزيد قد سمع بها ووعاها لما أخبره المبعوث بحقيقة صاحب الرأس على أقل تقدير؛ خوفاً من النتائج المترتبة على ذلك، وإنّما المبعوث زاد فى ذكرها خارقاً القاعدة؛ بقصد الزيادة فى التعريض والنكايه بيزيد وفعلته الشنيعة المتعلقة بصاحب الرأس

(١) الشهرى، عبد الهادى ظافر، استراتيجيات الخطاب: ص ٤٥٦.

الشريف وأهل بيت النبى ﷺ.

يمكن أن يستشف من هذه الحوارية أنّ قضية الإمام الحسين عليه السلام لم تعد خاصة بطائفة أو اتجاه مذهبي معين، بل إنّها أصبحت تياراً يجذب جميع الطبقات الفكرية والاجتماعية فى العالم، وإلى مثل هذا الرأى ذهب عبد الرحمن بدوى؛ بقوله: إنّ ثورة الحسين لو لم تتحقّق لأصبح الإسلام عند أهل السنّة مثل المعادلات الكيميائية، مُفرغاً من الجانب الروحى. بعبارة أخرى: إنّ ما بقى فى الدين الإسلامى من جوانب روحية وعاطفية وأخلاقية لدى أهل السنّة هي مدينة للإمام الحسين عليه السلام، فالثورة الحسينية وإن كان أثرها فى شيعة بشكل مباشر، لكنّها أثّرت فى المسلمين بشكل غير مباشر؛ لأنّ القوانين الأموية والقوانين العباسية وسياساتهم كانت ستحوّل الدين الإسلامى إلى دين وضعى مثل الماركسية. ففضل الإمام الحسين عليه السلام حافظ المسلمون على الصبغة الإلهية ولو بشكل فاتر لدى المذاهب السنية، وسبب ذلك الفتور يرجع إلى التصور المغلوط عند الكثير من أهل السنّة بأنّ ثورة الحسين خدمت الشيعة فحسب^(١).

(١) يُنظر: دراسات فى تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها، نقلاً عن الدكتور عصام العماد، ٩، محرّم الحرام، ١٤٣٩ هـ، قناة الفرات الفضائية.

المبحث الثاني

خرق قاعدة الملازمة

لما كان السياق المقامي الحجر الأساس في تأويل الملفوظات تأويلاً تداولياً وتفسيراً للتواصل الإظهارى - بشكل عام - الضمني والصريح على السواء^(١)؛ خصّص غرايس مبدأً في استلزامه الحوارى، أطلق عليه مبدأ الصلة أو قاعدة المناسبة أو العلاقة (الملازمة)، وهي «بمثابة حدٍ مقصدي الهدف، منها منع المتكلم من أن ينزلق إلى مقاصد أخرى مخالفة لتلك التي استهدفها الخطاب، أي: يراعى علاقة المقال بالمقام»^(٢).

ويرى دان سبيرر أن مبدأ الصلة ينطبق ويتحقّق - بغير استثناء - على كل فعل من أفعال التواصل الإظهارى؛ لأنّه (فعل التواصل) يعبر عن افتراض صلة، أو مناسبة بين طرفي الحوار^(٣). إلّا أنّ خرق قاعدة المناسبة مقصديّة أسمى في التحليل التداولي؛ فهي أداة يتوصّل بها المتلقّي إلى تأويل أقوال وتحليلها. إذ ليست لها علاقة جليّة مع ما يقال أثناء العملية التحويريّة، ولكن بمعونة المقام والمعرفة السابقة بالظروف المحيطة يتجلّى - شيئاً فشيئاً - تأويل المعنى الحرفي للخطاب^(٤)، ومنه يُتوصّل إلى مقصد المتكلم. فتأويل الخطاب لا يتحصّل بشكل اعتباطي، بل يؤسّس

(١) يُنظر: دان سبيرر وديدرى ولسون، نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل الإدراكي، ترجمة: هاشم عبد الله الخليفة: ص ٢٨١.

(٢) العياشي أدرأوي، الاستلزام الحوارى في التداول اللساني: ص ١٠٠.

(٣) يُنظر: دان سبيرر وديدرى ولسون، نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل الإدراكي، ترجمة: هاشم عبد الله الخليفة: ص ٢٨١.

(٤) فرانيسكو يوس راموس، مدخل إلى الدراسة التداولية، مبدأ التعاون ونظرية الملازمة والتأويل، ترجمة وتقديم: يحيى حمدان: ص ٩٣.

على مجموعة من القرائن، يستحضرها المتلقي من توظيف المتكلم لتلك القرائن في خطابه. إذاً عملية التأويل الناتجة عن خرق هذه القاعدة، تحتاج إلى تضافر تعاوني من طرفي الحوار في التأويل؛ لأنّ المتكلم قاصد هذا الخرق، والمتلقي مضطرّ إلى بذل ما في وسعه لتحقيق نجاح تواصله، فضلاً عن احترام مبدأ التعاون. حيث يمكننا رصد نوعين من الخرق لهذا المبدأ في خطاب المسيرة الحسينية، هما:

الأول: خرق مقتضيات السياق המקامي

يتجلّى هذا الخرق המקامي في حادثتين:

الحادثة الأولى: ما دار بين برير بن خضير الهمداني^(١)، وعبد الرحمن بن عبد ربّه الأنصاري^(٢) «فلما كان الغداة أمر الحسين عليه السلام بفسطاط فضرب، وأمر بجفنة فيها

(١) برير بن خضير الهمداني المشرقي (وبنو مشرق بطن من همدان) كان برير شيخاً تابعياً ناسكاً، قارئاً للقرآن، من شيوخ القراء، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من أشرف أهل الكوفة من الهمدانيين، وهو خال أبي إسحاق الهمداني السبعي. السماوي، محمد، إِبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ص ١٢١.

(٢) هو عبد الرحمن بن عبد ربّه الأنصاري الخزرجي، رجل صحابي أدرك النبي ﷺ، وشهد الغدير ومن رواية حديثه، وكان من أصحاب الإمام علي عليه السلام ومن جملة الشهداء الذين شهدوا له وقاموا تأييداً لولاية علي عليه السلام في يوم رحبة، وورد عن الأصبغ بن نباتة، قال: نشد علي الناس في الرحبة، من سمع النبي ﷺ يوم غدير خم ما قال، إلّا قام، ولا يقوم إلّا من سمع رسول الله ﷺ يقول، فقام بضعة عشر رجلاً فيهم أبو أيوب الأنصاري وأبو عمرة بن عمرو بن محصن وأبو زينب وسهل بن حنيف وخزيمة بن ثابت وعبد الله بن ثابت الأنصاري وحبشي بن جنادة السلولي وعبيد بن عازب الأنصاري والنعمان بن عجلان الأنصاري وثابت بن وديعة الأنصاري وأبو فضالة الأنصاري وعبد الرحمن بن عبد رب الأنصاري، فقالوا: نشهد أنّا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: ألا إن الله وليّ وأنا ولي المؤمنين، ألا فمن كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبه، وأبغض من أبغضه، وأعن من أعانه. استشهد في يوم عاشوراء مع الحسين عليه السلام. يُنظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة: ج ٤، ص ٢٦٦ - ٢٧٧. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أسد الغابة: ج ٣، ص ٣٠٧. السماوي، محمد، إِبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ج ١١٦ - ١١٧.

مسك كثير، فجعل فيها نورة^(١)، ثم دخل ليظلي^(٢)، فروى أن برير بن خضير الهمداني وعبد الرحمن بن عبد ربّه الأنصاري وقفا على باب الفسطاط ليظليا بعده، فجعل برير يضاحك عبد الرحمن، فقال له عبد الرحمن: يا برير، أتضحك؟ ما هذه ساعة ضحك ولا باطل، فقال برير: لقد علم قومي أنني ما أحببت الباطل كهلاً ولا شاباً، وإنّما أفعل ذلك استبشاراً بما نصير إليه، فوالله ما هو إلا أن نلقى هؤلاء القوم بأسيافنا نعالجهم بها ساعة، ثم نعانق الحور العين^(٣).

ففي هذا الحوار القصير الذي أفضى عن مقاصد جمّة، تتجلى فيه براعة أصحاب الإمام عليه السلام وقمة إخلاصهم وشجاعتهم، فبرير - هنا - في سياق هذا الموقف الذي يقتضي التوتر والشدة والتهيؤ للعدو - وهذا أمر طبيعي لعامة الناس - قد تعمّد خرق سياق المقام مع عبد الرحمن وملاطفته له والضحك عند اشتباك الأسنة واشتداد الضرب، أمر قد ألفه من أئمة وهم علي بن أبي طالب وذريته عليهم السلام، ويستلزم من هذا التصرف السيميائي اطمئناناً وقيناً عاليين وتوطيئاً للنفس.

فضحك برير هو إشارة للفرح والسرور، أو بشارة بأخبار سارة تستوجب التعبير عن الرضا، ولو تأملت المقام الذي كانا فيه، وهو غداة اليوم الذي سبق مقتل الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، لوجدت هذا الكم الهائل من العدة والعدد في معسكر ابن سعد لا يستوجب الضحك بدلالاته المتعارف عليها. إذ يستبعد أن شخصية كشخصية برير، يصدر عنها هذا السلوك اعتباطاً.

(١) النورة: مادة - كانت ولا زالت - لإزالة شعر الجسم كالإبطين...، وهي كالتراب إذا مزجت بالماء يظلي بها الموضع فيترك فترة ثم تزال.

(٢) الطلاء هو وضع النورة على الشعر الذي يراد إزالته، كما يقال طليت الجدار، أي: صبغته.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٥٨. البحراني، عبد الله، العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٤٥. مع اختلاف في بعض العبارات.

وعليه يكون برير قد قدّم بسلوكه معنيين، هما:

المعنى الحرفي: سلوك يدلّ على الفرح باستعماله التداولي (الضحك).

القصد المستلزم: تلميح واستلزام مقامي حوارى من برير إلى صاحبه عبد الرحمن وكل من يراه؛ إذ «حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأنّ المعاني مبسّطة إلى غير غاية، وممتدّة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة ومحصّلة محدودة، وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد، وأولها اللفظ، ثمّ الإشارة، ثمّ العقد، ثمّ الخطّ، ثمّ الحال وتسمّى نصبة، والنصبة هي الحال الدالّة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائدة من صورة صاحبها، وحلية مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثمّ عن حقائقها في التفسير»^(١). أحياناً تكون الحركات - كالإشارة وغيرها - أجدى لتحصيل المقصود من الكلام؛ حيث «يقوم المتكلّم باختيار مختلف أنواع الحوامل الشكّليّة وغيرها، الكفيلة بتحقيق التواصل، التي من بينها: اللسان، والحركات والإيماءات، والنبر والتنغيم»^(٢)، فالتداولية تؤكّد الظروف القبلية الخارجية والداخلية المشتركة بين المتحاورين، التي أطلق عليها (علم استعمال اللغة)؛ مؤكّدين أهميّة العوامل غير اللّغوية - التي تكتنف الخطاب - في تأويل القول وإدراك المقاصد، وحتميّة معرفة الشروط القبلية التي تدخل في صناعة القصد الناتج عن القول، وهذا ما يعطيها الأهميّة التي تتمتع بها على المستوى التنظيري والتطبيقي^(٣)، فالقصد المتضمّن كان لرفع الحالة المعنويّة عند عبد

(١) الجاحظ، عمر بن بحر، البيان والتبيين: ج ١، ص ٧٦.

(٢) إدريس سرحان، طرق التضمين الدلالي والتداولي في اللغة العربية وآليات الاستدلال:

ص ١٠٩. ويُنظر: نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات: ص ٢٣٤.

(٣) يُنظر: التداولية في البحث اللّغوي النقدي، تحرير د. بشرى البستاني: ص ١٤ - ١٥.

الرحمن ومن يشاهده من خلال الاستخفاف، واستصغار الموقف بعين الطرف الآخر، بدليل قوله: (ما هي إلا ساعة، نميل على القوم فيميلون علينا، فنعانق الحور العين)، لاسيما أنّ سيرة برير تستبعد الحالة الأخرى للضحك، من وصف صاحبه بالسّفه، وقلة العقل، وعدم إدراك الأمور، كما فهم المحاور منها، فاعترض بقوله: (أهذه ساعة ضحك) فالمعنى القضوي لقول عبد الرحمن هي الدلالة الحرفية للاستفهام، في حين المعنى المستلزم هو الإنكار والرفض لهذا السلوك.

الحادثة الثانية: تكلم رأس الإمام الحسين عليه السلام - بعد أن رُفع على الرمح - فقد نقل التاريخ عن المفيد أنّه قال: «ولما أصبح عبيد الله بن زياد بعث برأس الحسين عليه السلام، فدير به في سكك الكوفة، وقبائلها، فروي عن زيد بن أرقم^(١) أنّه قال: إنّهُ مُرَّبّه عليّ وهو على رمح، وأنا في غرفة لي، فلما حاذاني سمعته يقرأ ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾^(٢) فوقف - والله - شعري علي، وناديت: رأسك - يا ابن رسول الله - أعجب وأعجب»^(٣)، وروي - أيضاً - «هذا الخبر عمّن سمع رأس الحسين عليه السلام يتلو

(١) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن الخزرج الأنصاري، أبو عمرو، من أصحاب رسول الله ﷺ والإمام أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهما السلام، كانت له مع النبي ﷺ سبع عشرة غزوة، روى عن النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليهما السلام، وروى عنه أنس بن مالك وأبو الطفيل والنهدي وغيرهم، مات سنة ٦٥، وقيل غير ذلك. الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الشيخ الطوسي: ٢٠، ٤١، ٦٨، ٧٣. اليافعي اليمني، عبد الله بن أسعد، مرآة الجنان: ج ١، ص ١٤١. ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ج ١، ص ٧٤. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب: ج ٣، ص ٣٩٤، المامقاني، عبد الله، تنقيح المقال: ج ١، ص ٤٦١.

(٢) الكهف: آية ٩.

(٣) الكوفي، محمد بن سليمان، مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ج ٢، ص ٢٦٧. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ١١٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٨٨، ١٢١. البحراني، عبد الله، العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ص ٣٨٩، ٤١٢. ابن حمزة الطوسي، محمد بن علي، الثاقب في المناقب: ص ٣٣٣. قطب الدين الراوندي، سعيد بن عبد الله، الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٥٧٧.

آيات من سورة الكهف، ولم يصلنا ذلك عن أحد من الأئمة عليهم السلام، لكنني لا أنكره، بل أراه حقاً، فإذا جاز في يوم القيامة لأيدي المجرمين وأرجلهم أن تتكلّم، وهو ما ورد في القرآن ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١)، فيصح أن ينطق رأس الحسين، ويلهج لسانه بالقرآن، وهو خليفة الله، وإمام المسلمين، وسيد شباب أهل الجنة، وجدّه محمد المصطفى، وأبوه علي المرتضى، وأمه فاطمة الزهراء، بل إنكاره إنكار لقدرة الله وفضل صاحب الرسالة، والعجب لمن ينكر صدور مثل هذا عمّن بكته الملائكة^(٢)، وهنا يحقّ للباحث في ضوء آليات المنهج التداولي أن يتساءل: هل يحقّ لنا تصديق هذه الرواية؟

وفي الجواب نقول: بدواً يُعتقد أنّه من المستحيل تكلم الموتى مطلقاً، فضلاً عن كون الرأس مقطوعاً، ومضى على قطعه وقت طويل دون أن يحفظ طيباً!، إلا أنّ المنهج التداولي يحرص على أهميّة العوامل القبلية غير اللغوية التي تحيط بالخطاب في تأويل القول وإدراك القصد. فالمدونة أمام خطاب لرأس الإمام الحسين عليه السلام، وهي إشارة واضحة لكون مسيرته الاصلاحية لم تنته بقتله واستشهاده عليه السلام - كما توهّم أعداؤه -، بل بدأت منذ خروجه من مكّة، واستمرّت إلى يومنا هذا، بشهادة خطاب هذا الرأس الذي لوّح إلى معاني عدّة:

- ١- المعنى القضوي: هو الدلالة الحرفية لعناصر التركيب المعجميّة، التي أرادت الإخبار بالإعجاز في قصّة أصحاب الكهف الذين أمتهم الله ثلاثمائة وتسع سنين.
- ٢- المعنى المستلزم: وهو ما قصده الإمام عليه السلام عبر خرق قاعدة المناسبة الذي حصل من جهات عدّة:

(١) يس: آية ٦٥.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الهداية: ص ١٦٣.

(٣) يُنظر: الصدر، محمد، أضواء على ثورة الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٢٣.

أ - أنَّ المقام ليس مقام خطاب، فقد قُضي الأمر باستشهاده ﷺ كما حسب ابن زياد، مما جعله يطمئن، فأمر أن يطاف به في أزقة الكوفة وأسواقها.

ب - أنَّ النَّاسَ في الأزقة والأسواق مشغولون عن التوجّه إلى خطاب الإمام ﷺ الذي خذلوه حيّاً ومستشهداً، ومع كل هذه الظروف القبلية التي أحاطت بالخطاب إلّا أنَّ صاحبه أصرَّ على توجيه خطابه للجميع، ولفت انتباههم إليه^(١) مع عدم وجود السياق الحالي والمقامي (المناسبة)^(٢)، ومما يعضد هذا الرأي هو ردّ زيد بن أرقم على الرأس الشريف بقوله: (بل رأسك سيّدي أعجب وأعجب)^(٣).

وفي رواية أخرى عن المنهال بن عمرو، قال: «رأيت رأس الحسين ﷺ بدمشق على رمح، وأمامه رجل يقرأ سورة الكهف حتى إذا بلغ إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ...﴾. نطق: أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحمل^(٤)». وأهم المقاصد المنتزعة من هذه الرواية؛ هي:

١ - مناسبة الإعجاز المستفاد من الآية التاسعة في سورة الكهف، والتي تعلّقت بأصحاب الكهف، الذين كانوا موحدّين ومضطهدين من قبل السلطان الجائر،

(١) لما حُلّ الرأس الشريف ونُصب في مواضع الصيرافة حيث لغط المازّة وضوء المتعاملين، فأراد سيّد الشهداء توجيه النفوس نحوه؛ ليسمعوا عظامه، فتحنح الرأس تنحنحاً عالياً، فاتجهت إليه الناس، واعتلتهم الدهشة حيث لم يسمعوا رأساً مقطوعاً يتحنح قبل يوم الحسين.... يُنظر: أنطوان بارا، الحسين في الفكر المسيحي: ص ١١٥-١١٦.

(٢) وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنَّ القاعدة الثالثة من قواعد مبدأ التعاون (الملائمة) حاضرة في جميع القواعد وفي جميع المستويات (مستوى الاحترام، مستوى الخرق) فصاحب الخطاب رأى مناسبة لخرق قاعدة الملائمة في الخطاب أعلاه.

(٣) يُنظر: المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار ج ٤٥، ص ١٢١. البحراني، عبد الله، العوالم، الإمام الحسين ﷺ: ص ٣٨٩.

(٤) يُنظر: المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار ج ٤٥، ص ١٨٨. البحراني، عبد الله، العوالم، الإمام الحسين ﷺ: ص ٤١٢. أنطوان بارا، الحسين في الفكر المسيحي: ص ١١٥-١١٦.

ويعيشون في مجتمع رضي بالظلم دون وعي. وقد حفظ الله أجساد هذه الثلة المؤمنة بعد أجيال وحضارات متعددة؛ لتفردهم في طريق الحق والهداية؛ وليبين لنا أنه قادر على نصر المستضعفين، وإرجاعهم إلى الدنيا ليدركوا حقيقة غلبتهم على القوم الظالمين، بدليل قوله تعالى ﴿وَرِيدُ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ أَسْتَضِعُّوْا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَتَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(١).

٢- قصد الإمام عليه السلام هذه الآية بالذات؛ لأن فيها تلويحا وإشارة إلى رجعة الأولياء والصالحين، كما هو حال أصحاب الكهف، بل قضية أهل البيت عليه السلام أعجب وأعجب.

٣- الإمام الحسين عليه السلام في أول خروجه كان قاصداً الكوفة، التي استصرخته واستنهضته للخروج، إلا أن السلطة الأموية منعت من دخولها، فأبى عليه السلام إلا دخولها وإيصال خطابه لها^(٢).

٤- إن نطق الرأس الشريف كان لإقامة الحجّة على أهل الشام الذين كانوا يجهلون شأن صاحبه عليه السلام وإمامته وصدق قضيتّه، بل كانت السلطة الظالمة تغرس في أذهانهم أن هذا الموكب لسبايا غير مسلمين من الروم أو الزنج أو الديلم ونحو ذلك، فتعيّن على موكب الحسين عليه السلام أن يثبت صدق قضيتّه، وبالرغم من أنهم لم يقصّروا في ذلك، لاسيما بعد أن تكلم الإمام زين العابدين عليه السلام، وزينب بنت علي عليه السلام، إلا أن الحسين عليه السلام قصد المشاركة في هذه الحملة الإعلامية الموسّعة من خلال قراءته القرآن ورأسه فوق رمح طويل، فجاءت مشاركته وأكد من كل تلك المشاركات؛ لسبيين:

(١) القصص: آية ٥.

(٢) هذا طبعا على فرض أن خطاب الرأس الشريف حصل في الكوفة.

- ١- أنه الشخص الرئيس والأهم في المسيرة الإصلاحية.
- ٢- أن مشاركته إعجازية، وهاتان الصفتان لم تتوافرا لأي من المشاركين في معسكر الحسين عليه السلام، مع علو مكانتهم وعظمة شأنهم^(١).

الثاني: خرق مبدأ الملاءمة حوارياً

«وهو ما يحصل من الفعل التحواري بين طرفي الخطاب، الذي يكون على غير ما يتوقعه المتلقي في الردّ، بعد أن كان متكلماً، فهنا الأدوار تتبادل في التواصل التحواري، ومما يوضح الاستلزام الحاصل عن هذه الفقرة، ما جاء في هذه المحاورة التي دارت بين علي بن الحسين والإمام الحسين عليه السلام حين استأذنه للبراز، وكان أول من قتل بالطف من بني هاشم بعد أنصار الحسين علي بن الحسين عليه السلام، فإنه لما نظر إلى وحدة أبيه تقدّم إليه، وهو على فرس له، يُدعى ذا الجناح، فاستأذنه للبراز - وكان من أصبح الناس وجهاً، وأحسنهم خلقاً - فأرعى عينيه بالدموع وأطرق، ثم قال: اللهم اشهد أنه قد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك، وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إليه، ثم صاح: يا بن سعد، قطع الله رحمك، كما قطعت رحمي، ولم تحفظني في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما فهم علي الإذن من أبيه شدّ على القوم، وهو يقول:

أنا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله أولى بالنبي والله لا يحكم فينا ابن الدعي

فقاتل قتالاً شديداً، ثم عاد إلى أبيه، وهو يقول: يا أبت، العطش قد قتلني، وثقل الحديد قد أجهدني، فبكى الحسين عليه السلام وقال: وا غوثاه، أتى لي الماء، قاتل يا بني قليلاً واصبر، فما أسرع الملتقى بجذك محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فيسقيك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها

(١) يُنظر: الصدر، محمد، أضواء على ثورة الحسين عليه السلام: ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

أبدأ، فكّر عليهم يفعل فعل أبيه وجدّه، فرماه مُرّة بن منقذ العبدى بهم»^(١).
فى هذه الحوارية يجرى الخرق فى مضمار الحوار الذى دار بين على بن الحسين
والإمام الحسين عليه السلام:

- على بن الحسين عليه السلام: يستأذن أباه للمبارزة.
- الحسين عليه السلام أرخى عينيه بالدموع وأطرق، ثم قال: «اللهم اشهد أنّه قد برز
إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك...».
- ثم صاح: «يا ابن سعد، قطع الله رحمك، كما قطعت رحمى...».
- على ابن الحسين عليه السلام شدّ على القوم مرتجراً:
أنا على بن الحسين بن على نحن وبيت الله أولى بالنبي
والله لا يحكم فىنا ابن الدعي

يمكن أن يستشفّ من هذه الحوارية خرق لقاعدة المناسبة، عبر انزياح الرمز إلى
مقاصد كامنة يمكن إدراكها من سياق المقام، فقد ظهر ذلك الخرق - استخفافاً
لسيمائية البكاء - مقروناً بالتركيب الذى يلوح لحكم متداول فقهيّاً وعرفيّاً. إذ على
بن الحسين عليه السلام يسأل أباه طلب الإذن فى البراز، ولكن تجاوز جواب الإمام
الحسين عليه السلام فى ظاهره موضوع المحاورّة، وبذلك عُدّ استخفافاً لمبدأ المناسبة، بتقديم
أخبار لا تتوافق مع سطحيّة الحوار، إذ مقتضى قاعدة المناسبة أن يجب الإمام عليه السلام
بنعم أو لا؛ إلّا أنّه خرق القاعدة بسيمائية البكاء التى استلزمت الموافقة، وأيّ
موافقة تلك التى تضمّنت:

- ١ - الحسرة والألم على استشهاد ولده.
- ٢ - شدّة تعلق الإمام عليه السلام بجدّه رسول الله ﷺ، وأنّه بفقد ولده سيكون الألم

(١) السماوى، محمد، إبصار العين فى أنصار الحسين عليه السلام: ص ٥١.

مضاعفاً، فإنّه بذلك يكون قد تضاعف عليه فقدان جدّه وولده الذي طالما كان يُذكره به، والذي يرشّح هذا القصد، قوله ﷺ: «قد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخُلُقاً ومنطقاً برسولك، وكُنّا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إليه».

٣- تضمّنت بيان المكانة الكبيرة لولده علي بن الحسين (الأكبر) ﷺ في أهل بيته وعند أبيه بشكل أكثر وأعمق، وما يعضد هذا الرأي قوله ﷺ: «يا بني، على الدنيا بعدك العفاء، وخرجت زينب بنت فاطمة ﷺ، وهي تقول: وا أخاه، وانكبت عليه، فأخذ بيدها الحسين ﷺ وردّها إلى الفسطاط»^(١). وهنا أطلق الإمام ﷺ المعنى الحرفي للخبر، وأضفى عليه معنى مستلزماً عندما ضمّنه تلميحاً بالإذن للبراز، مستعملاً الفعل اللّغوي المباشر، الذي دلّت عليه قرينة صيغة فعل (برز) لينجز فعلاً غير مباشر خرج إلى الرخصة وإعطاء الإذن في البراز لحظة التلفّظ بالفعل المباشر، وليس يخبر عن فعلٍ أنجزه في الماضي^(٢). كما تشير القرينة البنيويّة حرف العطف (ثم) - وهي من الاستلزام اللّغوي العام - إلى استلزام الترتيب مع مرور مدّة زمنية، تخلّلها انفصال ما بين الدعاء الذي سبقها، ثمّ التوجّه إلى العدو بالصياح، الذي يقتضيه السياق المقامي لما سيلقاه فلذة كبده، بدليل قوله: (قطعت رحمي، قطع الله رحمك) مع تضافر تلك القرائن السياقية التي أكّدت معنى الاستشهاد لعلّي الأكبر، ما جعله يشدّ على القوم بعزيمة صلبة وعقيدة راسخة.

ومرّة أخرى يطالعنا خرق قاعدة المناسبة - حوارياً - بالوسيلة نفسها عبر آليّة البكاء التي سبقت الاستغاثة (وا غوثاه) والتحيّر الذي أجبر على إظهاره أمام علي الأكبر، وهو أبيّ الضيم، ولكن توجد مسوّغات عدّة لهذا الخرق:

(١) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٥، ص ٣٤٠.

(٢) يُنظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب: ص ٣٤٦.

أولاً: مع أنّ الحسين عليه السلام إمام معصوم، إلّا أنّ هذا المقام والمنزلة لا يبعده عن عاطفة الأبوة، فهو قد بكى رحمة ورأفة على الأعداء من دخول النار، فكيف به على ریحانته تتناشها الرماح والسيوف. كما أنّ الإمام عليه السلام مضطّر لإظهار حالة الاستغاثة والتحيّر هذه؛ ليخفف عن ابنه الذي جاء يستنجد بشربة ماء يتقوى بها على الأعداء بعد أن أجهده ثقل الحديد، وما أسهلها من طلبه، لكن يبقى السؤال قائماً: لماذا لم يقدم شربة من الماء لولده؟ وهذا ما أخرج الاستغاثة والتحيّر إلى مقاصد:

أ - إخبار الإمام عليه السلام ولده بأنّه سيستشهد عطشاناً بين يدي الله سبحانه؛ فذلك أعظم أجراً وأعلى مقاماً، وهو ما أراده الإمام عليه السلام لنفسه، فاستقبل عليّ الأكبر إخبار أبيه بنفس راضية.

ب - إستغاثة الإمام عليه السلام بقوله: من أين آتيتك بالماء؟ تشير إلى أنّ السبب الطبيعي لوجود الماء كان متعذراً عليه. وهو ما دعى عليّ الأكبر بأن يلوح للإمام عليه السلام بالاعتذار، إذ كان بإمكانه أن يقدم المزيد من الفتك بالأعداء. فما كان من الحسين عليه السلام إلّا التضامن معه، حيث لم يجد بداً من أن يشجعه، ويوجهه بالفعل اللغوي الذي دلّت عليه صيغة فاعل (قاتل) وافعل (اصبر)، بعد ما استلزم منه البشارة لولده عليّ الأكبر بالحصول على الجائزة الكبرى (الشهادة) بقوله: «فما أسرع الملتقى بجدك محمد ﷺ، فيسقيك بكأسه الأوفى شربة لا تظماً بعدها أبداً».

وعند التأمل والتمعّن في سياق المقام ومجريات هذه الحوارية، يتبيّن أنّ طرفي الحوار لم يتوقّف قصدهما عند الدلالة الحرفية للملفوظات، فالمقام التحواري وظاهر الخبر لا يتوافق مع دلالة المحاورّة التي جرت مع علم عليّ الأكبر، بأنّ أباه أشدّ عطشاً منه، وأنّ كلام عليّ الأكبر لم يُرد به مجرد الإخبار مثلاً اتضح.

ثانياً: مما يقارب هذا الخرق «يا قوم، إن لم ترهوني فارحموا هذا الطفل، فرماه رجل

منهم بسهم ذبحه، فبكى الحسين عليه السلام، وقال: اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا»^(١).

يُثير المنهج هنا أسئلة كثيرة، منها: لماذا الإمام عليه السلام عرّض الطفل للقتل؟ مع أنّه يعلم خطورة الموقف، وحقيقة هؤلاء القوم، الذين أشار اليهم عند أول خروجه في مسيرة الإصلاح بـ(عسلان الفلوات)؟! سواء أكان يودّع الطفل أم أخرجه ليطلب له الماء. ولهذا الخرق مسوّغات عدّة:

أ - ترك الامام عليه السلام مجالاً لاحتمال نسبة ولو واحد من ألف؛ لاتعاض هذا الجمع الغفير الذي احتشد لقتال الحسين عليه السلام من أهل الكوفة، والذي بلغ - بحسب بعض المصادر - ثلاثين ألف جندياً. وهو فعلاً ما وقع، حيث اختلف العسكر فيما بينهم، فقال بعضهم «إن كان ذنب للكبار فما ذنب الصغار» وقال آخرون: «لا تبقوا لأهل هذا البيت باقية».

ب - قتل جميع أصحاب الإمام وأخوته، بل لم يبق أحد مع الحسين عليه السلام، لا سيما بعد مقتل ساقى العطاشى أخيه العباس عليه السلام.

ج - شدة عطش الطفل الذي جفّ صدر أمّه من اللبن.

د - استثمار الإمام الحسين عليه السلام لأية فرصة من شأنها أن تكون حجة له على القوم؛ فمع أن الأصل هو افتراض طاعته المطلقة كإمام، إلا أن ذلك لا يعني تجرّده عن العواطف والمشاعر الأبوية^(٢).

(١) القيومي، جواد، صحيفة الحسين عليه السلام، (جمع): ص ٨٨. المرعشي النجفي، شهاب الدين، شرح إحقاق الحق: ج ٢٧، ص ٢٠٦.

(٢) استثمار الفرصة في هذا المشهد الحواري سواء كان للتزوّد من عبد الله الرضيع قبل الاستشهاد، أو لطلب الماء للرضيع. وعلى كلا التقديرين يكون صدور الفعل من الإمام الحسين عليه السلام بدافع الرحمة والعطف التي تعمّر وجوده القدسيّ.

أما أهم المقاصد التي يمكن أن تستجلى من استنطاق النصّ الحاكي عن عطش الطفل الرضيع؛ والذي جاء محملاً بشحنتين، فهي:

المقصد الأول: المعنى القضوي، وهو الدلالة الحرفية لعناصر التركيب، وهي الإخبار بعطش الطفل.

المقصد الثاني: المعنى المستلزم، وهو استعطاف القوم في طلب الماء للطفل، وهذا استلزم ضمنا الإجابة عن كل الإشكالات المطروحة من قبيل: لماذا لم يُبعد الإمام الطفل الرضيع عن ساحة القتل على فرض توديعه أو الاستسقاء له، وهو يعلم أنهم لن يرحموا أيّ مخلوق ينتمي لآل محمد ﷺ؟ ٢. حرمة كان قريباً من الحسين ﷺ، لم يسدّد السهم على الحسين ﷺ؟ ٣ لماذا لم يضع إبهامه في فم الرضيع كما كان يفعل جدّه ﷺ معه؟ تلك الإشكالات التي جاءت بشكل مقاصد ضمنية عدّة، منها:

أ - أراد الإمام إقامة الحجّة على الأعداء، وترك باب الرحمة مفتوحاً على مصراعيه حتى آخر نفس من حياته الشريفة. فقد حاول إثارة ولو الشيء اليسير المتبقي في قلوبهم وأحاسيسهم^(١). إذ بقتلهم الطفل يثبت بالعيان والوجدان، قتلهم للأطفال والعزل، وعلى أكثر من مرأى؛ أي: أمام أفراد الجيش المعادي نفسه، وأمام الجيل المعاصر للحسين ﷺ، وكذا أمام الأجيال المتأخّرة عنه. وبذلك تكون وثيقة موقّعة بالدم، تشهد على عظم جريمة القوم. إذ لم يكن عند الحسين ﷺ آنذاك قرطاس، يدوّن فيه الوقائع، فسطّرها على صفحات الهواء بخطابه الحيّ، حيث

(١) دلّت بعض القرائن التاريخية التي نقلتها بعض المصادر والمراجع، أنّ معسكر ابن سعد قد اختلفوا فيما بينهم، فقال بعضهم: (إن كان ذنبٌ للكبار فما ذنب الصغار) وقال آخرون: (لا تبقوا لأهل هذا البيت باقية) وكادت الفتنة أن تقع بينهم، فصاح ابن سعد في حرمة بن كاهل: (اقطع نزاع القوم) قال: فوضعت السهم في كبّد القوس... فرميته وهو في حجر أبيه، فذبحته من الوريد إلى الوريد، فتلّقى الحسين الدم بكفّه ورمى به نحو السماء). ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٥٧. الحليّ، ابن نما، مثير الأحرار: ص ٥٢. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٤٩. الصدر، محمد، أضواء على ثورة الحسين ﷺ: ص ٢١٧.

حصل التمهيد والاختبار آتياً، فضلاً عن إقامة الحجّة على المدى القريب والبعيد، وعليه فإنّ الحسين عليه السلام رأى أنّ إقامة الحجّة أمام الأعداء فيها مصلحة أكيدة، ما جعله يقدّم ولده الرضيع فدائاً لتلك الحجّة، وهذا أمر مقنع وجداناً؛ لأنّ ما حصل من فضيحة هؤلاء لم يكن له مثيل^(١)، كما أنّ الحسين عليه السلام وأصحابه، قصدوا زيادة بصمة الدم ورقعتها في واقعة كربلاء، وهذه المقصدية يمكن أن نلمسها بمستويات^(٢):

المستوى الأوّل: على مستوى الكلمات، فقد وردت عبارات فُصِّد بها التصميم على الشهادة، وأولها أقوال الإمام الحسين عليه السلام، من قبيل: (ألا وأنّ الدعي ابن الدعي...) (هيئات من الذلة...) (الموت أولى من ركوب العار...) (ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً...) (الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم...) (لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل... ولا أقرّ إقرار العبيد...) وغيرها الكثير^(٣).

المستوى الثاني: على مستوى الفعل والسلوك، فقد وضع يده تحت منحر عبد الله الرضيع، ورمى به نحو السماء، وهذا بحدّ ذاته فعل يستلزم كثيراً من المقاصد، منها: أنّ هذا الدم هو بعين الله^(٤)، وهو ما حدث أيضاً حينما أنخن بالجراح عليه السلام،

(١) الصدر، محمد، أضواء على ثورة الحسين عليه السلام: ص ٢٣٧.

(٢) يُنظر: المطهري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج ٣، ص ٣٤٦.

(٣) ومن قبيل قول الإمام السجّاد عليه السلام: أبا الموت تخوّفني... فالموت لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة. وقول علي الأكبر: (إذا - والله - لا نبالي... الحرب بانّت لها الحقائق...)، وقول القاسم: (الموت أحلّ عندي من العسل)، وقول أبي الفضل العباس: (يانفس من بعد الحسين هوني...) وأقوال باقي الأصحاب كسليم بن عوسجة وبشر بن عمرو الحضرمي وزهير... يُنظر: المطهري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج ٣، ص ٣٤٦.

(٤) هنا حصل أمر خارق للعادة وهو عدم سقوط آية قطرة من الدم للأرض، وقد لوح هذا الفعل إلى مقدار عظمة وقرب هذه الدماء ومقبوليّتها وعظمتها عند الله، وفيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانَا فَتُقْبِلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ﴾.

حيث أخذ يخضب لحيته، ويقول «بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله، ورفع رأسه إلى السماء، وقال: إلهي، إنك تعلم أنهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن نبيّ غيره، ثم أخذ السهم فأخرجه من قفاه، فانبعث الدم كالميزاب، فوضع يده على الجرح، فلما امتلأت رمى به إلى السماء، فما رجع من ذلك الدم قطرة، وما عرفت الحمرة في السماء حتى رمى الحسين عليه السلام بدمه إلى السماء، ثم وضع يده ثانياً، فلما امتلأت لطّخ بها رأسه ولحيته، وقال: هكذا أكون حتى ألقى جدّي رسول الله، وأنا مخضوب بدمي»^(١).

ثالثاً: ومما يقارب خرق هذه القاعدة الحوارية التي دارت بين السيدة زينب عليها السلام وبين ابن مرجانة، حينما سألها متهمكاً شامتاً.

- فقال ابن زياد: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟

- فقالت عليها السلام: ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجّون إليه، وتختصمون عنده، فانظر لمن الفلج يومئذٍ، ثكلتك أمك يا ابن مرجانة.

ولهذا الخرق في قاعدة المناسبة حوارياً، من الظروف والمسوّغات التي سبق ذكرها^(٢)، وبعد إعادة النظر والتدقيق في سياق المقام وظروف هذه الحوارية، يتبيّن أنّ طرفي الحوار لم يتوقّف قصدهما عند الدلالة المعجمية للملفوظات، فالمقام التحواري وظاهر الخبر لا يتوافق مع دلالة المحاورّة التي أراد ابن مرجانة منها أكثر من الاستفهام؛ وذلك لأمر عدّة:

- طبيعة السؤال الذي يخصّ استخباراً عن أنباء حزينّة للعقيلة.

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٥٣. البحراني، عبد الله، العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٩٦.

(٢) يُنظر: الفصل الأول، ص ٧٦.

- المنزلة العظيمة لأهل بيتها في الإسلام والمجتمع وعندها، وهم سبط النبي الأكرم ﷺ، وأهل بيته ﷺ. ولتحليل الحوارية وفقاً للتوجيه التداولي؛ نقول:

أ- لا يمكن أن يسمح سياق المقام بأن يكون قصد المستفهم في قوله عبيد الله ابن زياد (كيف - صنع الله - أهل بيتك)، هو من قبيل سؤال الجاهل، وبعبارة أخرى: أراد الدلالة الحرفية من سؤاله، بل لعله خرج لأكثر من قصد:

١- إظهار الشماتة والتشفي من أهل البيت ﷺ، بعد أن أهانت السيدة ﷺ، واستحقرته من خلال عدم الاكتراث بكلامه.

٢- إيهام عامة الناس بأن القتل حصل من الله، وأنهم استحقوا هذا المصير نتيجة خروجهم على يزيد بعد خليفته، وهذا بزعمه يضيف شرعية لقتلهم.

٣- تحجيم أمر الجريمة التي ارتكبوها، من خلال سؤاله عن أهل بيتك، وهذا ما استلزمه السياق الحواري، فضلاً عن لفظة (أهل بيتك) وكأن قيام الإمام ﷺ بوجه السلطة الأموية وظلمهم مسألة شخصية، ومسألة يتوارثها القوم، ومن هنا جاء الخرق لقاعدة المناسبة عندما تجاوزنا بمعية المحاور الدلالة الحرفية للمنطوق إلى قصد يفهم من تضافر مجموعة قرائن مقامية، ولذا سنجد كيف جاء الرد من قبل السيدة ﷺ، وعلى خلاف ما كان يتوقع ابن مرجانة.

ب- مقابلة قوله السيدة زينب ﷺ بقوله ابن مرجانة:

قول زينب ﷺ ← قول عبيد الله

ما رأيت إلا جمياً ← (جميلاً!!)^(١).

هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل ← أهل بيتك

(١) من الطبيعي أن تكون ردّة فعل المرأة التي تفقد أهل بيتها؛ الانكسار والبكاء والحنية، لكن المفاجأة التي تراءت للسلطة الأموية بشكل عام، ولابن مرجانة بشكل خاص لم تكن بحسبان. وهذا معنى أن النهضة كانت حسينية الانطلاق زينية البقاء.

وهنا تبددت تطلّعات ابن مرجانة، وتحوّلت نشوة النصر إلى هزيمة الانكسار والخيبة، ما جعلته يفقد صوابه فـ(استشاط غضباً)^(١). إذ حاشا السيدة عليها السلام، وهي العالمة ربّية البيت العلوي، أن تقول لغطاً أو خطأً. نعم، حصل الخرق منها في قاعدة المناسبة؛ لأنّ المتوقّع من الطرف الآخر هو الأمر الطبيعي الذي سبق ذكره، إلّا أنّها - بعد أن استثمرت الظروف ومسوّغات الخرق - رامت من وراء هذا الخرق في قاعدة المناسبة مقاصد عدّة:

١- بيّنت أنّ ما حصل لقومها وأهل بيتها الذين حاول تحجيمهم وحصرهم بموروث الدم والعشيرة، إنّما هو بعلم الله وبمشيئته وإرادته، وكل ما جاء من عند الله فهو خير، وهي بذلك تُلَوِّح لقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٢) وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣)، فلا شكّ أنّ كل ما جاء من عند الله جميل.

٢- قصّدت خلاف ما أرد ابن زياد، حيث أراد بقوله «كيف رأيتم...» الرؤية البصرية، من سفك لدماء أهل بيتها، وأنصارهم، وترويع للنساء، وحرّق للخيم، وإهانتها بعد أن كانت لا يرى لها ظلّ ولا يُسمَع لها صوت^(٤).

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٤٩. العسكري، مرتضى، معالم المدرستين:

ج ٣، ص ١٥٠.

(٢) آل عمران: آية ١٥٧.

(٣) البقرة: آية ٢١٦.

(٤) فيكفي ما ذكره يحيى المازني حيث قال: (كنت جوار أمير المؤمنين عليه السلام مدّة مديدة، وبالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته، فوالله ما رأيته لها شخصاً، ولا سمعت لها صوتاً، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدّها رسول الله ﷺ تخرج ليلاً، والحسن عن يمينها، والحسين عن شالها، وأمير المؤمنين أمامها، فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين فأحمد ضوء القناديل، فسأله الحسن

٣- بيّنت أنّ لكلّ أجل كتاباً، وهؤلاء برزوا إلى آجالهم التي كتبها الله عليهم.
 ٤- هدّدته بقيام محكمة عادله، ستجمعه بجميع الشهداء الذين برزوا إلى مضاجعهم، حيث تضمّن قولها التلويع إلى قول النبي ﷺ: «عجلوهم إلى مضاجعهم» وهو دليل على الاقتصار على المواضع القريبة المعهودة بالدفن^(١)، وهذا ما أكّده الإمام الحسين عليه السلام حينما سأل: ما اسم هذه المنطقة؟ فقالوا: كربلاء^(٢).
 ٥- كشفت له وللسامعين حقيقة ما سيؤول إليه مصيرهم المشؤوم في الدنيا قبل الآخرة، ثمّ دعت عليه بالهلاك؛ لجرأته على الله ورسوله.

رابعاً: ومما يقارب خرق قاعدة الملاءمة حوارياً، الحوارية التي دارت بين زهير بن القين رضي الله عنه وسيّدنا العباس عليه السلام - بعد أن رجع مغتاضاً من نداء الشمر بإعطائهم الأمان له ولإخوته - حيث قال زهير: «قد ادّخرك أبوك لمثل هذا اليوم، فلا تقصّر عن حلائل أخيك وعن أخواتك، قال: فارتعد العباس عليه السلام، وتمطّى في ركابه حتى قطعه، وقال: يا زهير، أتشجّعني في مثل هذا اليوم؟! والله، لأريّتك شيئاً ما رأيته قط، قال: فهمز جواده نحو القوم حتى توسّط الميدان»^(٣).

لعلّ أبرز مسوِّغ دعا زهير لخرق قاعدة الملاءمة، هو كثرة الجيوش والعسكر المحيطة بمخيم الإمام الحسين عليه السلام، مع قلّة الناصر. فجاء القصد الذي استلزمه كلام زهير حاكياً عن استنهاض كل طاقات أبي الفضل العباس عليه السلام الكامنة في

مرّة عن ذلك، فقال: أخشى أن يُنظر أحد إلى شخص أختك زينب) البياتي، جعفر، الأخلاق الحسينية: ص ٢٢٣.

(١) المحقق الحليّ، جعفر بن الحسن، المعبر: ج ١، ص ٣٠٧.

(٢) العسكري، مرتضى، معالم المدرستين: ج ٣، ص ٢٢. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج ٢٣، ص ٢٨٩.

(٣) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢١٦ - ٢١٧. الفاضل الدربندي، أسرار الشهادة: ص ٣٨٧. النقدي، جعفر، الأنوار العلوية: ص ٤٤٣.

داخله، عبر تذكيره بكلام أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد يستلزم - أيضاً - جهل زهير بحقيقة شجاعة وحماسة العباس عليه السلام؛ كون زهير كان منشغلاً بالتجارة ومعتزلاً للسياسة، الأمر الذي جعل العباس عليه السلام يرتعد غضباً حتى قطع ركابه، واستنكر على زهير أن يذكره أو يشحذ همته لنصرة أخيه الحسين عليه السلام وحريمه، فهو شبل علي بن أبي طالب عليه السلام، مما دفعه للنزول وسط الميدان مع وجود كثرة العسكر واحتدام الأسنة؛ لكي يطمئن زهير أكثر، بأن ما في داخل العباس عليه السلام من شدة وشجاعة تكفي لأن تكون سبباً لما صنعه أعداؤه بجسده الطاهر بعد استشهاد، وهذا ما فعلوه مع الحسين وعلي الأكبر عليهما السلام.

خامساً: مما يقارب أيضاً خرق هذه القاعدة، هو ما حصل في حوارية المبعوث الذي كان أحد المتامين للركب الحسيني بشهادة الإمام الحسين عليه السلام (من لحق بي استشهد، ومن تخلف لم يدرك الفتح)، حينما وجه سؤاله ليزيد بعد أن أمر جلاوزته بقتله، مخافة الفضيحة؛ قائلاً: أتريد أن تقتلني؟ ولهذا الخرق مسوغات:

- ١- لفت انتباه يزيد عبر استفهامه، إلى أن بينهم معاهدة سلام.
- ٢- محيط الحوارية؛ حيث كان يكتظ بالوجهاء والمستشارين، ومنهم سرجون النصراني مولى يزيد، الذي قد يكون على علاقة وثيقة به.
- ٣- دفع المبعوث يزيد للإقرار بجريمته عبر الاعتراف علناً؛ لقطع أي مجال في التماس أي عذر له.

أما مراد المبعوث الذي قصد إيصاله في ضوء الخرق، فقد انطوى على معنيين:

المعنى القضوي: وهو الدلالة الحرفية لعناصر التركيب.

المعنى المستلزم؛ الذي خرج إلى قصد:

أ- الإنكار والتعجب من حماقة يزيد، فهو بفعله هذا ينقض بنود معاهدة السلام

- التي وقّعتها السلطة الأموية مع الحكومة البيزنطية^(١).
- ب - الإفصاح عما رآه المبعوث في منامه، بأنّه قد رأى النبي ﷺ، وأنّه بشره بالجنّة، وتعجّبه من هذه البشارة التي لا يعرف سببها. وبعد أن عرف سببها، فهو ملزم مقامياً أن يخبره بما سيؤول إليه أمره، وفي إخباره ليزيد قصد:
- التعريض بإسلام يزيد، فضلاً عن إيمانه وعدالته.
- زيادة الحسرة والإساءة في قلب يزيد.
- إعلان إسلامه أمام يزيد، بعد أن عرف أنّ البشارة كانت بسبب موقفه من الرأس الشريف.

(١) وهي معاهدة وقعت بين عامي ٥٧ - ٥٨هـ؛ وقعها معاوية بن أبي سفيان وقيصر الروم قسطنطين الرابع سنة ٤٨ - ٦٥هـ = ٦٦٨ - ٦٨٥م.

الفصل الرابع
الاستلزام الحوارى فى ضوء قاعدة الطريقة

المبحث الأول

احترام قاعدة الطريقة (الكيفية أو الجهة)

ينصّ احترام هذه القاعدة على توخّي الوضوح، والترتيب، والإيجاز في الكلام، والابتعاد عن الالتباس، والغموض، والاضطراب، والإطناب أو الإجمال. ويرى فان ديك «بدلاً من استعمال عبارات مثل اعتبار جهة النظر، فإنّ زيادة اختصاص الوصف الدلالي للشروط المقتضاة من السياق يمكن أن تصاغ في مصطلح جامع هو موضوع التحاور»^(١) بمعنى أنّ الترتيب الحاصل بواسطة التعاطف أو العطف على سبيل الجمع من كلا الطرفين، لا يمكن أن ينسب في ذات الوقت إلى الموضوع المتحاور فيه نفسه؛ أي: أنّ موضوع التحاور يمكن أن يعرف من الوجهة الدلالية بأنّه مجموعة من القضايا^(٢)، فهناك العديد من المقومات التي تتحكّم في تحديد الوجهة الدلالية للمدلولات بين المتحاورين، من قبيل العادات والمعتقدات والمعارف المشتركة التي يمتاح بواسطتها المخاطب المقصود الضمني والمستلزم حوارياً من المتكلّم^(٣)؛ إذ أنّ الغاية من صياغة الخطاب التداولي وتحليله - سواء ما وافق مبدأ التعاون والقواعد المتفرّعة عنه أم لا - هو الإبلاغ، وطرق الخطاب الإبلاغي ليست حكراً على طريق أو أسلوب واحد، فمنها: الخطاب المباشر،

(١) فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني: ص ٧٩ - ٨٠.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ص ٧٩ - ٨٠.

(٣) يُنظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني: ص ١١٦.

ومنها: غير المباشر.

حدّد طه عبد الرحمن الخطاب الحقيقى الذى ينبى على مقاصد أربعة، بمقصدىن تخاطبيين، هما^(١):

- أن يكون الخطاب موجّهاً إلى آخر متلقٍ، يحدّده ويختاره المتكلّم.

- أن يقصد المتكلّم بخطابه إفهام المتلقّى بمقصود معين^(٢).

وعليه؛ يكون متعلق هذين المقصدىن معرفياً؛ هو^(٣):

- قصد الادعاء: المراد منه أن اللفظ لن يكون خطاباً حقيقياً إلا إذا كان الناطق

به معتقدا صراحة بما يقول، وعند الحاجة على تمام الاستعداد لإقامة الدليل عليه.

- قصد الاعتراض: مفاده أن المنطوق لا يكون خطاباً حقيقياً حتى يكون له حق

مطالبة الناطق بالدليل على ما يدّعيه، وإلا فإنه يكون دائم التسليم بما يدّعيه الناطق،

أو عديم المشاركة فى مدار الكلام.

وكلا هذين القصدىن هما روح التفاعل الحجاجى؛ «إذ حدّ [الحجاج] أنه كل

منطوق به، موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة، يحقّ له الاعتراض عليها»^(٤).

إن فهم الخطاب الموجّه إلى الآخر لا يتوقّف على استخراج المعانى من عناصر

التركيب المعجمية فقط، إذ لا بدّ من الاستعانة بعمليات تنبى أساساً على التفاعل

الحجاجى بين الذات المستدلّة والذات المستدلّ لها^(٥)، فعلى المتكلّم أن يخضع كلامه

(١) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلى: ص ٢١٤.

(٢) فالخطاب كما يقول الأمدي: (بأنه اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهى لفهمه)

الأمدي، سيف الدين، الإحكام فى أصول الأحكام: ج ١، ص ١٣٦.

(٣) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلى: ص ٢٢٥.

(٤) المصدر نفسه: ص ٢٢٦.

(٥) يُنظر: الباهي، حسن، الحوار ومنهجية التفكير النقدي: ص ١٠.

لمجموعة من العوامل الثقافية والاجتماعية، والمعارف المشتركة، وغيرها من المقتضيات التي تُسهم من قريب أو بعيد في تحقيق قصد الخطاب، فهو منذُ البداية «يعتمد على بناء أقواله بطريقة تستحضر الكيفية التي يتوقع أن يؤوّل بها المخاطب هذه الأقوال»^(١). فالمخاطب يقصد ما يضمّره كما يقصد ما يظهر، أي: أنه يقصد كل ما يقوله، ويتوقع الخطوات التي يقوم بها المتلقّي سابقاً، بغية تحقيق فهم المخاطب وإدراك قصده الحقيقي، وبعبارة أخرى: إذا كانت كفاية المخاطب التداولية تتجلى في صناعة الخطاب، فإن كفاية المخاطب التداولية تتجلى في تأويل الخطاب للوصول إلى مقاصد المخاطب وإدراك حججه^(٢)؛ لذا خطاب المسيرة الحسينية خطاب مرتبط بسياق حالي، والمراد الجدّي لا يفهم إلا في إطار التركيب وسياق الحال وغرض المتكلّم وقصده من الكلام^(٣).

توحيّ الوضوح والترتيب في متواليّة الملفوظات

أولاً: خطاب الإمام الحسين لرؤساء الأخماس:

تتجلى هذه القاعدة في ضوء خطابات المسيرة الحسينية، ضمن كتاب أرسله الإمام عليه السلام إلى رؤساء الأخماس في البصرة، وقد استعمل فيها الخطاب المباشر وغير المباشر، جاء فيه قوله عليه السلام: «أما بعد، فإن الله اصطفى محمداً ﷺ من خلقه، وأكرمه نبوّته، واختاره لرسله، ثم قبضه إليه، وقد نصّح لعباده، وبلغ ما أرسل به، وكنا أهله

(١) يُنظر: الباهي، حسن، الحوار ومنهجية التفكير النقدي: ص ١٠.

(٢) يُنظر: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظريّة وتطبيقية في البلاغة الجديدة، مجموعة مؤلفين، بإشراف: حافظ إسماعيلي علوي: ص ٧٠-٧٨.

(٣) يُنظر: صحراوي، مسعود، الأفعال الكلامية عند الأصوليين، دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، مجلّة اللغة العربية (مجلّة نصف سنوية)، عدد: ١٠، خريف ٢٠١٤م: ص ١٧٩.

وأولياءه وأوصيائه وورثته وأحقَّ النَّاسَ بمقامه، فاستأثر علينا قومنا بذلك فرَضينا، وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحنُ نعلمُ أنَّنا أحقُّ بذلك الحقَّ المستحقَّ علينا ممَّنْ تولَّاهُ، وقد بعثتُ رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فإنَّ السنة قد أُميت، وأنَّ البدعة قد أُحييت، فإنَّ تسمعوا قولي أهدكم إلى سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله»^(١).

وهذا الخطاب بشقيه المباشر وغير المباشر، جاء موافقاً ومحترماً لقاعدة الطريقة التي توخَّت الوضوح، والترتيب، والإيجاز، بغية التأثير والإبلاغ. إذ من الأمور التي تجعل الخطاب المباشر أبلغ وقعاً وأدقَّ ضبطاً ما يأتي^(٢):

- بيان الحقائق العقائدية والعبادية، كقضايا الإيمان بالله ورسوله والعدل...
- توعية النَّاس وتذيرهم من جميع ما يداهمهم من مخاطر.
- إعلان المبادئ العامة التي تخدم مصالح الإسلام والمسلمين.
- بيان الأسس والمبادئ التي تتبناها أيَّ انتفاضة أو تظاهرة أو ثورة.
- إعلان السمات، والأهداف العامة والخاصة للثورة أمام النَّاس، كما فعل سيّد الشهداء عليه السلام بقوله: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي...».

كل هذه وغيرها دعت الإمام عليه السلام للالتزام بترتيب خطابه، فقد بدأ:

- ١- بيان مقام الرسول محمد ﷺ، وبيان أفضليته على الخلق من خلال اصطفاؤه وتكريمه بالنبوة، ثم تكليفه بالرسالة، ثم قبضه إليه.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٤٠. الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٥٩٠. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٦٥.

(٢) يُنظر: الميداني، عبد الرحمن حسن جنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، صور من تطبيقاتها، بهيكل جديد من طريف وتليد: ج ١، ص ٤٢.

٢- بيان سيرة النبي ﷺ في تبليغه للرسالة، وأداءه للتكليف الشرعي تجاه العباد.
٣- تعريجه على استظهار مقامهم من النبي ﷺ، وبيان علاقتهم به، وذكر سماتهم
«كنا أهله وأولياءه وأوصيائه».

٤- انتقاله إلى بيان أحقيتهم بوراثته مقام النبي ﷺ بعد انتقاله للرفيق الأعلى.
٥- بيان مظلوميتهم؛ من سلب لحقوقهم الشرعية التي استأثرها عليهم القوم.
حيث استلزمت لفظة القوم معنى غير معناها القضوي الحرفي الذي دلّ عليه
اللفظ، فقوم: الرجال دون النساء، لا واحد له من لفظه. قال زهير بن أبي سلمى
في هجاء لقوم^(١):

وما أدرى وسوف إخال أدرى أقوم آل حصن أم نساء

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ﴾^(٢)،
وربما دخل النساء فيه على سبيل التبع؛ لأنَّ قوم كلِّ نبيٍّ رجالٌ ونساء^(٣).

٦- بيّن مدى سماحتهم وقبولهم بذلك الاستئثار وكراهيتهم لفرقة المسلمين، مع
علمهم بأحقية حقهم من غيرهم.

٧- ثم أتى على ذكر المبعوث إليهم، الذي ينقل دعوته واستنصاره على الظلمة.
٨- بعد أن رتب جميع الأمور التي تثبت أشرفية رسول الله ﷺ، الذي هو من
أهل بيته ووليّه ووريثه، وأحقّيته بتوليّ أمور المسلمين، تحوّل خطابه ﷺ إلى خطاب
غير مباشر، مع بقاء القصد المستلزم على إيضاحه، وترتيبه، وإيجازه بعيداً عن
اللبس، وذلك لسببين:

(١) الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): ص ٥، ص ٢٠١٦.

(٢) الحجرات: آية ١١.

(٣) الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): ج ٥، ص ٢٠١٦.

الأول: الحجب والاستدلالات التي ساقها إلى المتلقي من بداية خطابه.

الثاني: المفردات اللغوية ذات المعاني المعجمية التي لا تنفك استلزاماتها عن دلالتها المعجمية، من قبيل أدوات العطف (الواو، أو، الفاء، ثم) وبعض الألفاظ التي تدل على العموم كـ (العهدية) ولفظة (قوم) التي دلت على الرجال دون النساء.

وضمن مقصدية التضامن، يعتمد الإمام عليه السلام على آليات الخطاب الإجرائي، المستفاد من قاعدتي التودد والتعفف، وباعتماد الإشارات التقريبية من المتلقي حين بدأ خطابه بوصف النبي صلى الله عليه وآله، ليكشف بعدها عن علاقته بالنبي صلى الله عليه وآله هو وأهله الطاهرون، ولا يقصد نفسه فقط، ولذا جاء بإشارات الجمع؛ للتدليل على القرب المعنوي والمادي بين النبي صلى الله عليه وآله وبينهم أهل البيت عليهم السلام، وهي قوله: «وكنّا أهله وأولياءه وأوصيائه، وورثته، وأحقّ الناس بمقامه». حيث اكتفى النصّ بنفسه ليأتي موظفاً للمعنى الحرفي المستلزم من الفعل الكلامي غير المباشر، فهو خطاب واحد بشحنتين إجرائيتين (الإخبار - الطاعة). ثم ينتقل الخطاب ليضع المتلقين وجهاً لوجه أمام الغاية التي سيق من أجلها، منتقلاً تداولياً إلى توظيف إشاري جديد، وهو الاستعمال الإفرادي لضمائر التكلم، جامعاً بين اللواصق واللواحق من طريق الكلمات (قد بعثت، رسولي، وأنا، أدعوكم، قولي، أهدكم) التي تنطوي على إشارات شخصية تحبّية تنوّعت بين الأفراد بصيغته (الضمير أنا، وتاء الفاعل، وياء المتكلم)، فضلاً عن صيغة الجمع (أدعوكم، وأهدكم) التي اعتمدها منجز الخطاب بغية تحقيق قصده، وهو التضامن بين طرفي الخطاب. ثم يعمد الإمام عليه السلام ثانية إلى التأكيد على قصدية التضامن عبر وسيلة أخرى، وهي من أهم وسائل القصدية، سواء كانت تضامنية أم غيرها، ألا وهي الفعل الكلامي غير المباشر الذي يتحقق من خلال الجمل التقريرية كقوله: (وقد بعثتُ رسولي إليكم بهذا الكتاب) فهنا فعل قضوي واحد، وهو المعنى الحرفي للتركيب القضوي المتمثل:

- بإرسال حامل هذه الرسالة.
- والدعوة لكتاب الله ﷺ والسنة الشريفة، وسبب الدعوة هو موت السنة وإحياء البدعة، حيث استلزمت قصده من الخطاب ثلاثة أفعال إنجازية، هي:

أ - إرسال الرسول ليس هو المعنى المقصود، إنّما لازمه وهو ما يحمله من دعوة ضمنية لنصرة الحسين عليه السلام والالتحاق به؛ لأنّه الممثل الشرعي لكلام الله ﷻ والسنة المطهرة - التي حاولوا طمسها بعد رحيل جدّه وأبيه - المتمثلة به عليه السلام، بدليل قول النبي الخاتم ﷺ «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي»^(١).

ب - ليس المقصود من الدعوة قراءة الكتاب والسنة، إنّما المقصود نصرته عليه السلام، واستنهاضهم للأخذ بحقه المسلوب، الذي تجسّد بتعطيل كلّ من الكتاب والسنة، بدليل ما ورد عن النبي ﷺ (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ سُلْطَانًا جَائِرًا...).

ج - ترك لهم حريّة اتخاذ القرار الذي يريدون، من دون أن يقحمه - قصدياً - بخياراته الخطائية على وفق قاعدة التخيير. ثمّ أنّ قوله عليه السلام: «فإنّ تسمعوا قولي أهدكم إلى سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله» الذي ختم به خطابه، قد أطلق فيه أسلوب الشرط، حيث يعطي هذا التركيب السياقي مدلولين مقصودين لمنجز الخطاب:

الأول: قصديّة التضامن أولاً وبالذات، التي تحقّقت من طريق أسلوب الشرط والتعبير الإطرائي، الذي ختم به خطبته بالسلام والرحمة، بمعنيّة قاعدة التودّد التي

(١) البههاني، علي، مصباح الهداية في إثبات الولاية: ص ٨١. الأنطاكي، محمّد مرعي، لماذا اخترت مذهب أهل البيت عليه السلام: ص ٤٥٧.

تمثّلت بعدم الإلحاح من قبل الإمام عليه السلام، أو فرض نفسه على المتلقّي.
 الثاني: المدلول الالتزامي، أو ما يسمّيه الأصوليون مفهوم الجملة الشرطية التي ختم بها الإمام الحسين عليه السلام كتابه، والتي أعطت فهماً مغايراً لما عليه السياق الشرطي، وهذا الفهم هو المستلزم من الكلام، وهو نفس قصده. فالمقصود ليس لازمه الفعل القضوي (تسمعوا) ذو الدلالة الحرفية الناشئة من ائتلاف دلالة عناصر التركيب.

ثانياً: تحذير أهل الكوفة من سخط الله والتوجّه لطاعته :

يمكننا مقارنة احترام هذه القاعدة بغية تحقيق تمام القصد المراد من لدن الإمام عليه السلام، والمتمثل في توجيه القوم نحو الحذر من سخط الله ﷻ، والتوجّه لطاعته، الموجب لعدم هلاكهم في الدنيا، والنجاة من الخزي والعذاب الأليم في الآخرة.
 لجأ الإمام عليه السلام إلى توخّي الوضوح والترتيب والإيجاز بقوله عليه السلام: «أقول لكم: اتّقوا الله ربّكم ولا تقتلن، فإنّه لا يحلّ لكم قتلي، ولا انتهاك حرّمتي، فإنّ ابن بنت نبيّكم وجدّتي خديجة زوجة نبيّكم، ولعلّه قد بلغكم قول نبيّكم محمد ﷺ: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة...، فإن صدّقتموني بما أقول، وهو الحق، فوالله، ما تعمّدت كذباً منذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، وإن كذّبتوني فإنّ فيكم من الصحابة مثل جابر بن عبد الله، وسهل بن سعد، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، فاسألوهم عن هذا، فإنّهم يخبرونكم أنّهم سمعوه من رسول الله، فإن كنتم في شكّ من أمري، أفتشكّون أنّي ابن بنت نبيّكم؟ فوالله، ما بين المشرّقين والمغربين ابن بنت نبيّ غيري، ويلكم، أطلبوني بدم أحد منكم قتله؟ أو بمال استملكته؟ أو بقصاص من جراحات استهلكته؟ فسكتوا عنه لا يجيبونه، ثمّ قال عليه السلام: والله، لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد، عباد الله إنّّي عدت برّبّي وربّكم أن ترجهون، وأعوذ برّبّي وربّكم من كل متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب. فقال له شمر بن ذي الجوشن: يا

حسين بن علي، أنا أعبد الله على حرف إن كنت أدري ما تقول، فسكت الحسين^(١).
رتّب الإمام عليه السلام كلامه عبر خطابه المباشر من استعمال فعلين لغويين مباشرين،
فعل الأمر الصريح، والدالّة عليه القرينة البنيويّة (أفعل)، وفعل النهي، والدالّة
عليه (لا الناهية، والفعل المضارع: يحلّ)، ودلالتهما المباشرة الناتجة من المعنى
القضوي، والذي يدلّ عليه المعنى الحرفي، ألا وهو طلب حصول الشيء والكفّ
عن حصول الآخر على الفور أو التراخي، أمّا المعنى المستلزم (القصد) فهو - كما
أسلف البحث - دعوتهم لمخافة الله، ونهيهم عن معصيته المتمثلة بقتله، وقد اكتفى
النصّ بنفسه - ليأتي موظّفاً للمعنى الحرفي والمستلزم من الفعل اللّغوي المباشر، فهو
خطاب واحد بشحنتين إجرائيتين - للأسباب الآتية:

١- إشارة إلى عظم مقام ومكانة كلّ من اتصل بالنبي محمد ﷺ، بقوله: «فإني ابن
بنت نبيّكم، وجدّتي خديجة زوجة نبيّكم»، سواء نسباً كان أم سبباً، وحتى في هذا
السبب رتّب الأولى فالأولى بحسب مقام كلّ من بضعة النبيّ فاطمة - صلوات ربّي
عليها وعلى أبيها -، وأمّها خديجة بنت خويلد - رضوان الله تعالى عليها - .

٢- التذكير بكونهما؛ أي: الحسن والحسين عليهما السلام سيّدي شباب أهل الجنّة ما خلا
النبيّين والمرسلين، وهذا بشهادة رسول الله ﷺ، وهو جدّه عليه السلام.

إنّا لو تأملنا فقرات الخطاب المذكور، لوجدناه حاكياً عن أحداث واضحة،
متناسقة بعيدة عن الاضطراب؛ لأنّها متعاطفة ومضمومة بعضها إلى بعض، فضلاً
عن وجود علاقة بين الوقائع والحقائق، والأدلة العقلية والنقلية المدلول عليها في
الجمال الفرعية. كما عمد الإمام عليه السلام في خطابه إلى أسلوب آخر من أساليب

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٤٩، المجلسي، محمد باقر، بحار
الأنوار: ج ٤٥، ص ٥٠. الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٠٢.

الخطاب، وهو ما يسمّى فى ضوء منهج تحليل الخطاب التداولى بمبدأ التأدّب، ويتفرّع منه ثلاث قواعد تخاطبية بحسب رأي رويين لا كوف^(١):

١- قاعدة التعفّف: وهى قاعدة تستلزم عدم فرض المتكلّم نفسه على المخاطب، بحيث تُلزمه ترك مسافة بينه وبين المخاطب، فلا يقتحم خصوصيّته إلّا بإذنه، ويتجنب إثارته وحمله على فعل ما يكره، وإذا لزم الأمر الاعتذار منه بوساطة عبارات تحمل دلالات وجدانية، من قبيل أفعال القلوب.

٢- قاعدة التشكيك: تستلزم هذه القاعدة عدم القطع أو الجزم فى الكلام من خلال تجنّب استعمال أساليب التقرير، والتماس المتكلّم العون من أساليب الاستفهام أو الشرط، تاركاً للمخاطب حرّية الاختيار واتخاذ القرار، كما فى قول الإمام الحسين عليه السلام: «فإن كنتم فى شكّ من أمرى، أفتشكّون أنّى ابن بنت نبيكم».

وقد تشبّث الإمام عليه السلام على طول المسير بالتزام هذه القاعدة فى خطابه، سواء بفعل التشكيك ولفظه - كما ذكرت - أم بالأساليب التى تحكيه. فمثلاً ما استثمر عليه السلام فى قوله: «أطلبوني بدم أحد منكم قتله؟ أو بهال استملكته؟ أو بقصاص من جراحات؟» جاءت أساليبه موزّعة بين مبدأ التأدّب، وقواعد التخاطب الحوارى فى ضوء مبدأ التعاون واحترام قاعدة الكيف، حيث استلزم منها إقناع المتلقّي بمخافة الله سبحانه، والسعي لنيل رضاه، من خلال طاعتهم أهل البيت عليه السلام، وتجنّب سخط الله عليهم بتركهم قتله وانتهاك حرمة.

٣- قاعدة الودّ: تقتضى هذه القاعدة إظهار الودّ والمحبة للمخاطب، كما تقتضى أن يكون المتكلّم فى نفس رتبة المخاطب، أو أعلى منها؛ لأنّ نجاح هذه المعاملة يتوقف على كون المتكلّم ذا مكانة أو سلطة أعلى من المتلقّي أو فى الرتبة نفسها.

(١) يُنظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ص ٢٤١.

وهي قواعد كلية اجتماعية يفهمها المجتمع على اختلاف لغاته، وخير ما يجسّد هذه القاعدة قول الإمام الحسين عليه السلام لأخيه العباس عليه السلام: «يا عباس، اركب - بنفسي أنت - يا أخي»^(١). حيث جاء خطاب الإمام عليه السلام - في ضوء قاعدة التودّد - مشحوناً بالثناء والمديح والعاطفة الأخوية، وهو ما يمكن أن يدلّ عليه المعطى القضوي، لاسيّما حين دراسة الظروف السياسية والعسكرية التي اكتنفت الخطاب. فقد صُدّر هذا الخطاب ضمن ظروف وملابسات تقتضي أن تنبري شخصية مفاوضة مع المعسكر الآخر؛ لطلب استمهال القوم، وهو ما يناسب شخصيّة العباس عليه السلام؛ لكن خطاب الإمام الحسين عليه السلام لوّح إلى الخصائص العسكرية التي كانت تتمتع بها شخصيّة العباس عليه السلام بشكل ضمنى، وراح يوظّف سبل التودّد العاطفي - مع ما يتمتع به الإمام الحسين عليه السلام من سلطة عليا دينية، متمثلة بإمامته للأئمة، وأخرى اجتماعية لكونه الأخ الأكبر - بين منجز الخطاب ومقصوده، لذا صار الخطاب طافحاً بمفردات المديح، وهي:

١- إنّ الخطاب رفع القيمة المعنوية للعبّاس عليه السلام حينما قرنها بقيمة الحسين عليه السلام، كما تدلّ عليه مفردة (اركب بنفسي) أي: نفسي فداء لك.

٢- هذه الشهادة الحسينية المدلول عليها في الخطاب المبارك لا تستلزم المعنى الأساسي لعنصر الفداء، بل هي على نحو الحقيقة؛ لأنّ الحسين عليه السلام بوصفه معصوماً لا يصف ما فوق المعنى، وليس في مقام المبالغة، وهو ما أجلى القيمة الحقيقية لأبي الفضل العباس عليه السلام لدى الأئمة عليهم السلام.

إنّ هذه الأفعال اللغوية المباشرة وغير المباشرة، التي تراوحت بين الخبرية

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣١٥. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٥٦.

والإنشائية، كلّها جاءت بهدف التأثير في المتلقّي عبر مقصدية الإقناع التي استلزمها تحديداً الفعل غير المباشر، إذ يقتضي أسلوب الحاجة تسلسل الحجج من الأقوى فالأقوى، والابتعاد عن الغموض والاضطراب الذي تقتضيه قاعدة الطريقة.

فالفعل اللّغوي تحصيل من الاستفهام الحاكي عن القصد، فالتكلم يريد من المخاطب الاستعلام عن أمر لم يستقرّ عنده، وناتج هذا الحد هو قيامه على عناصر قولية ومقامية تمثلت بالتكلم والمخاطب، وحال كلّ منهما، والظروف التي تكتنف السياق من حيث حصول الأمر المستفهم عنه أو عدم حصوله في علم كل منهما^(١). وقد تميّز أغلب الاستفهام الوارد في خطاب المسيرة الحسينية على أساس النصوص التي وُجّهت إلى المخاطب بانزياحه عن الاستخبار الحقيقي، الذي دخل في دائرة الخطاب فأنجز به أفعالاً لغوية غير مباشرة، تنوّعت بين التعجب، والتقريب، والتوبيخ، والنفي، والأمر، وغيرها من الإنجازات اللّغوية المعقّدة التي قسّمها (سيرل) إلى قسمين: بسيطة ومعقّدة، والأخيرة تعني: الإنجاز الذي يقوم به المتكلم بصياغة فعل قضوي مع القصد إلى دلالة الحرفية، بالإضافة إلى دلالة غير المباشرة، أي: دلالة مُدرّكة مقامياً، يكون المتلقّي حيالها أمام قوتين إنجازيتين لمنطوق قضوي واحد: قوّة إنجازيّة حرفيّة، وقوّة إنجازيّة مستلزمة^(٢).

أمّا القوّة الإنجازيّة الحرفية فتدلّ عليها القرينة النيوية (حرفية الاستفهام)، وأمّا القوّة الإنجازيّة المستلزمة فتخرج إلى جملة من المقاصد؛ منها:

١- قصد دفعهم للإقرار والاعتراف بقوله: «أفتشكّون أنّي ابن بنت نبيكم؟».

(١) يُنظر: خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التراكيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية: ص ١١٣.
(٢) بحث منال النجار في كتاب التداوليات، علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي: ص ٥٢٦.

٢- التعجّب، كما هو حاصل من قول الإمام عليه السلام «ويلكم، أتطلبوني بدم أحد منكم قتلته، أو بمال استملكته، أو بقصاص من جراحات»، حيث سلك الإمام عليه السلام طرقاً عدّة لإيصال مقاصده عبر المقام التخاطبي الذي يسمّ الخطاب بطابع القصديّة، فاستثمر الطاقة التعبيرية للاستفهام في كشف سريرة أهل الكوفة، وتقلّبيهم، ومعرفة أحوالهم، واختلاف أمزجتهم وأهوائهم، وهو أمر يستدعي الاستغراب والتعجّب والدهشة من تقلّب مواقفهم وتغيّرها، فهم يعرفون جيّداً أنّه ابن بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله، وابن إمامهم وخليفة المسلمين علي بن أبي طالب عليه السلام، علاوة على كونهم قد استصرخوه وطلبوا نجاته، وكتبوا له يعاهدونه ويبياعونه على الخلافة، لكن سرعان ما سلّت السيوف عليه بعدما كانت معه؛ ما دفع الإمام عليه السلام إلى محاججتهم بأسلوب الاستفهام. وستأتي بقيّة المقاصد التي ستكفل بيانها باقي سياقات الخطاب في ضوء قواعد الحوار النمطية المعمّمة والمخصّصة^(١).

(١) على أساس موقف المتكلّم من احترام القواعد أو خرقها.

المبحث الثاني

خرق قاعدة الطريقة

تختلف هذه القاعدة عن أخواتها السابقات من قواعد مبدأ التعاون، إذ أنّها لا تهتمّ بما قيل، بل تهتمّ بالكيفيّة التي قيل فيها، أو نُطق بها^(١)، وبما يراد إبلاغه بأيسر الطرق وأوضحها.

إذاً فهي تنصّ على توخّي الوضوح في الكلام، والاستخفاف بها يستلزم الإخلال بالكيفية التي قيل فيها الكلام، وبوضوح المعلومات المعطاة في سياق الخبر، ومن ثمّ يفضي خرقها إلى اختلال العمليّة الحوارية، ممّا يتعيّن أن يحمل المحاور كلام مخاطبه على المعنى الخفيّ الذي يقتضيه المقام. ويأتي هذا الاستخفاف على مستويات عدّة، بحسب القولات الفرعية لهذه القاعدة^(٢)، وهو ما سوف نلمسه عند عرضنا لنماذج خرق مسلّمات هذه القاعدة على وفق قواعدها الفرعية في خطاب المسيرة الحسينية:

أولاً: الالتباس

يحصل الالتباس القصدي في الخطاب عندما تحمل متوالية ما (جملة، أو مركّب اسمي، أو نصّ) معنيين أو أكثر، دون أن توجد قرينة تمنع ذلك^(٣)، وهذه المعاني

(١) يُنظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني: ص ١٠٠.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه.

(٣) يُنظر: المتوكل، أحمد، اللسانيات الوظيفيّة المقارنة، دراسة في التنميط والتطوير: ص ٨١.

يمكن أن تكون كلّها حقيقية على سبيل الاشتراك اللفظي، أو يكون بعضها حقيقياً وبعضها مجازياً، أو كلّها مجازية^(١).

أرسل الإمام الحسين عليه السلام كتاباً مقتضباً إلى أخيه محمد بن الحنفية وأبناء عمومته من بني هاشم، جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم. من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم، أمّا بعد، فإنّ من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح، والسلام»^(٢).

لقد وضع الإمام الحسين عليه السلام مصلحة الأمة نصب عينيه في هذا التحرك العسير، مبتعداً عن الأنا الفردية التي تكتنف أرباب التحرك السياسي أو العسكري، حيث أرخص من أجل ذلك نفسه وأهل بيته مع ما لهم من المكانة الاجتماعية والدينية. كان أمل الإمام عليه السلام أن تعي الأمة مقدار هذه التضحية، فلا تتركه وحيداً طريداً، فراح يحفّز أبناءها من خلال استجلاء حقيقة ما سيقدم عليه، وأنّ ما عزم عليه إنّما هو خروج «لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله»^(٣)، ممّا يستوجب نصرته والاستشهاد بين يديه، ولعلّ ما قصده من قوله: «من لحق بي استشهد» المستفاد من الجملة الشرطية يشير إلى عدّة أمور؛ منها:

- ١- طلب النصرة من بني هاشم.
- ٢- النصرة من الرجال لا من النساء؛ لأنّ الجهاد ساقط عنهن.
- ٣- الالتحاق المطلوب سيقود حتماً إلى الشهادة.
- ٤- اللجوء به مرهون بتوطين النفس على الشهادة، أي: البقاء برفقته إلى حين

(١) يُنظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني: ص ١١٥.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٥٧، حديث: ٢٠.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٩.

الشهادة، لا كما حصل عند بعض مرافقيه الذين تركوه لما رأوا حتمية القتل.

٥- الالتحاق يقتضى الإيمان بالقضية الحسينية؛ لأن الخطاب السابق أكد أن البذل النفسى لا يؤتى ثماره المطلوبة حتى يكون فى الحسين عليه السلام، لا فى غيره من القيم والمبادئ مهما كانت سامية وعالية، ولذلك قال (فينا) وهنا قال (بي)، فشرط اللحاق أن يكون (بي) لا بغيري، ليكون الاستشهاد المطلوب عن عقيدة فى النهضة الحسينية لا فى غيرها من النهضة التى تلتها ولم يكتب لها النجاح.

٦- الاستشهاد - الذى هو جواب الشرط - متوقف على اللحاق بالركب الحسينى، الذى هو فعل الشرط، ولا شك أن الجملة الشرطية هى القضية الشرطية المتصلة فى الاصطلاح المنطقى، والتى تعنى أن يكون بين المقدم والتالى اتصال، فيكون التالى (الشهادة) متوقفاً على حصول المقدم (الحقوق) وجوداً وبقاءً. وفيما نحن فيه تكون الشهادة حاصلة بلحاق الركب الحسينى، وبقاء الملتحق حتى النهاية ثابتاً على النهج، هذا إن كان الخطاب الحسينى على نحو القضية الخارجية^(١)، أى: كون الخطاب يتضمن من أرسل إليهم الكتاب فقط. بيد أن المزاوجة بين هذا الخطاب وبقية الخطابات العامة التى تطلق مفهوم الاستنصار على علاقاته من غير تقييد بجماعة دون غيرها، ولا بزمان معين، تقضى بأن يكون هذا الخطاب الآنف على نحو القضية الحقيقية، أى: شموله لكل من يسمع به ولو أتى بعد حين. ولعل فى قول الرسول ﷺ: «إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»^(٢)، دلالة على أن اللحاق بسفينته المقدسة ما زال سارياً إلى يومنا هذا، ما يعنى أن نصره الحسين عليه السلام لا تخضع للمحددات الزمكانية.

(١) وهى ما كان الأمر موجهاً للمتلقي فعلاً لا قوة.

(٢) البحرانى، هاشم، مدينة المعاجز: ج ٤، ص ٥٢.

قال الحسين عليه السلام في الكتاب ذاته: «ومن لم يلحق بي لم يُدرك الفتح»، وهي قضية شرطية أيضاً، مؤلفة من المقدم هو فعل الشرط السلبي (عدم اللحاق)، وجواب الشرط السلبي (عدم إدراك الفتح)، فما هو الفتح الذي قصده الإمام عليه السلام؟ لفظ الفتح مبهم قد يلتبس على سامعه؛ لصدقه على معان عدة، منها:

أ - إزالة الإغلاق والإشكال، وذلك ضربان:

أحدهما: يُدرك بالبصر كفتح الباب ونحوه من فتح للقفل والغلق والمتاع، نحو قوله: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَعُهُمْ﴾^(١)، ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرِجُونَ﴾^(٢).

الثاني: يُدرك بالبصيرة كفتح الهم؛ وهو إزالة الغم، وفيه معانٍ عدة، منها: ما جاء في الأمور الدنيوية كغم يُفرّج، وفقر يُزال بإعطاء المال ونحوه، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَسَوْا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣) أي: وسعنا^(٤). وقال تعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(٥)، أي: أقبل عليهم الخيرات^(٦).

ب - فتح المُستغلق من العلوم، كقولك: فلان فتح من العلم باباً مغلقاً، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾^(٧) قيل: عنى فتح مكة، وهو قول عائشة زوج رسول الله صلّى الله عليه وآله، وقيل: بل عنى ما فتح على النبي صلّى الله عليه وآله من العلوم والهدايات التي هي

(١) يوسف: آية ٦٥.

(٢) الحجر: آية ١٤.

(٣) الأنعام: آية ٤٤.

(٤) الراغب الأصفهاني، الحسين، مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٢١ - ٦٢٢.

(٥) الأعراف: آية ٩٦.

(٦) يُنظر: الراغب الأصفهاني، الحسين، مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٢١ - ٦٢٢.

(٧) يُنظر: السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور: ج ٧، ص ٥١٠.

ذريعة إلى الثواب، والمقامات المحمودة التي صارت سبباً لغفران ذنوبه^(١). وفاتحة كل شيء مبدؤه الذي يفتح به ما بعده، وبه سُمِّي فاتحة الكتاب، وقيل: افْتَحَ فلان كذا: إذا ابتدأ به، وفتح عليه كذا: إذا أعلمه ووقفه عليه. وقوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾^(٣)، أي: يوم الحكم، وقيل: يوم إزالة الشبهة بإقامة القيامة، وقيل: ما كانوا يَسْتَفْتِحُونَ من العذاب ويطلبونه، والإِسْتِفْتَاْحُ: طلب الفتح^(٤).

وبناءً على ما مرّ؛ يستلزم مقاصد عدة قد تضمّنها الخطاب الحسيني الذي يمكن تحليله من عدة أوجه:

١- كي لا يظنّ ظانٌّ أنّ المقطع الأوّل من الخطاب الذي هو التركيب أو المنطوق في قوله: (من لحق بي استشهد)، يتضمّن مفهوماً سلبياً كما يقول الأصوليون ضمن مباحث الجملة الشرطية؛ أي: أنّ عدم اللحاق يُفضي إلى عدم الاستشهاد، لذلك قطع النصّ الظنّ على الدارسين بعدما بيّن بأنّ عدم اللحاق يعني عدم إدراك الفتح، وليس عدم الشهادة.

٢- يكشف الخطاب الذي يؤكّد عدم إدراك الفتح بأنّ الإمام (عليه السلام) قد ضمّن قوله هذا ذمّاً مُسْتَبْطِناً؛ لأنّ عدم إدراك الفتح يعني فواته عن الطلب، فيفهم أنّ فوات

(١) يُنظر: الآلوسي، محمد، روح المعاني: ج ٢٦، ص ١٢٩.

(٢) النصر: آية ١، هذا وعد من الله تعالى لنبيه ﷺ وآله بالنصر بالفتح قبل وقوع الأمر، وقال الحسن ومجاهد: وعده الله فتح مكة ونصرته على كفّار قريش. يُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج ١٠، ص ٤٢٥. وورد في تفسيرها النعي لرسول الله ﷺ: (أما إنّ نفسي نعتت إليّ). يُنظر: القمّي، علي بن إبراهيم، تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤٤٦. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٢، ص ٢١٤.

(٣) السجدة: آية ٢٩.

(٤) يُنظر: الراغب الأصفهاني، الحسين، مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٢١ - ٦٢٢.

الفتح يوجب بعد المسافة بينهما، والمقتضية لسلب النعمة الإلهية من تاركي اللحاق بالحسين عليه السلام. وهذا الكلام ليس وقفاً على مبغضي الحسين عليه السلام، بل يشمل الذين يحبّونه ويوالونه، لكنهم لم يحضروا معه في كربلاء، فحُرموا الحصول على مقام الفتح الحسيني، باستثناء من بقي بإجازة وترخيص من الإمام عليه السلام^(١).

٣- لم يكن مراد الخطاب إجراء مقابلة لغوية بين الاستشهاد والفتح بوصفهما لفظين متقابلين أو متضادين، بعبارة أخرى: ما يحكيه الخطاب هو أنّ الالتحاق مع الحسين عليه السلام في كربلاء يعني الشهادة لا محالة، ولكن لا يعني أنّ عدم الشهادة في معسكر الحسين عليه السلام مُستلزم لعدم الفتح. فالإمام عليه السلام لم يقصد من استلزام الفتح المعنى المطابق للمفهوم، وهو دلالة الفتح على معنى الشهادة ليس إلّا، بل قصد الدلالة الضمنية للفتح في الانطباق على معنى الشهادة، أي: أنّ الشهادة في كربلاء هي بعض الفتح الحسيني، وليست جميع الفتح، إن لم نقل أنّها وقفٌ على المتحققين من الرجال دون سواهم من أشخاص الركب، بدليل أنّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام كان من معسكر الحسين عليه السلام، ولكنه لم يستشهد في كربلاء، وبقي حياً بعد الواقعة مدة طويلة من الزمن، وهذا البقاء لا يخرجّه عن دائرة الحاصلين أو المدركين لمقام الفتح الحسيني - كما تبين في مضمون المراد من الفتح ودلالته - . إذاً يتعيّن أن يكون الفرد حاضراً في كربلاء كي يكون مشمولاً بهذا المقام، وأن يكون مع معسكر الحسين عليه السلام، لا مع أعدائه.

٤- ثمة مشابهة بين الفتح الحسيني وبين الفتح المحمدي المشار إليه بقوله ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾^(٢)، فقد جاء في سبب نزول الآية الشريفة أنّ الفتح المبين

(١) كما هي الحال مع أخيه السيّد محمد بن الحنفية (رضوان الله عليه).

(٢) الفتح: آية ١ - ٢.

هو صلح الحديبية^(١)، الذي عدّه الله ﷻ فتحاً للمسلمين، مع أنّ الصلح اشترط على المسلمين عدم دخول مكّة لأداء العمرة، وأن يعودوا في السنّة القادمة على أن تكون السيوف في أغمادها، وغيرها من الشروط التي أملتّها قريش على الرسول ﷺ^(٢)، ومع كل ذلك يبشّر الرسول ﷺ بأنّ ذلك هو الفتح المبين. ومردّد ذلك إلى النتائج المستقبلية الهامة التي ستنبثق عن هذا الفتح، والتي ستصبّ في مصلحة الإسلام المسلمين «فإنّ الله منح نبيّه الكريم في ظل هذا الفتح المبين أربع مواهب عظيمة، هي (المغفرة) و(إتمام النعمة) و(الهداية) و(النصر)»^(٣).

وهذا الفتح يتناسب مع الفتح الذي أعطاه للحسين ﷺ، فأما المغفرة فهي المنزلة الرفيعة في الجنّة، والتي وعده بها جدّه النبي الأكرم ﷺ حين إقدامه على الشهادة، والنعمة هي نعمة الشهادة والشفاعة والرجوع إلى الله تعالى ﷻ من خلال سفينة الحسين ﷺ، فقد كان الحسين ﷺ هادياً مهديّاً وناصرّاً ومنتصراً. ولعلّ الباحث لا يُجانب الواقع إن رأى بأنّ هذه المعاني يختزلها جواب الإمام زين العابدين ﷺ لمن سألّه بعدما عاد من كربلاء: من الغالب أو المنتصر في واقعة عاشوراء؟ فقال له الإمام علي بن الحسين ﷺ: «إذا أردت أن تعلم من غلب ودخل وقت الصلاة، فأذن وأقم»^(٤). فالإمام ﷺ قصد إيضاح المعيار الحقيقي للفوز أو الخسارة، ولا يمكن تقييمهما بما يحصل في ساحة المعركة، بل هو بقاء القيم والمبادئ - التي من أجلها كانت ثورة الإمام ﷺ - وعدمه^(٥).

(١) أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود: ج ١، ص ٦٢١.

(٢) يُنظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير: ج ٧، ص ١٥٩.

(٣) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في كتاب الله المنزل: ج ١٦، ص ٤٢.

(٤) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٧٧.

(٥) يُنظر: السند، محمد، الحداثة، العولمة، الإرهاب في ميزان النهضة الحسينية: ص ٩٩.

ثانياً: الغموض

تلبس بعض الخطابات لباس الغموض يعزوه الإستغراق فى استعمال الأساليب البلاغية، من قبيل الخطاب المستعمل فى علم الكلام، حيث يعدّ الغموض عند أهل البلاغة من مظاهر البديع، وأحد المحسنات البديعية.

يبرز ذلك حين تبنى الخطيب البليغ لفكرة أو رأي، ومن ثمّ يأتي على صحّة رأيه ودعواه بإبطال دعوى خصمه عبر حجة عقلية برهانية استدلالية. وقد نسبت هذه التسمية للجاحظ؛ لأنّ الخطيب أو المتكلم إذا أطلق الحجج العقلية فى كلامه، يكون قد سلك مذهب علماء الكلام^(١)، وسُمّي علم الكلام بأعظم مسألة فيه؛ ألا وهي "مسألة كلام الله"^(٢).

مثال ذلك ما جاء فى قول الإمام الحسين عليه السلام غداة اليوم الذى استشهد فيه: «يا عباد الله، اتّقوا الله، وكونوا من الدنيا على حذر؛ فإنّ الدنيا لو بقيت لأحد أو بقي عليها أحد، لكانت الأنبياء أحقّ بالبقاء، وأولى بالرّضاء، وأرضى بالقضاء؛ غير أنّ الله تعالى خلق الدنيا للفناء، فجديدها بال، ونعيمها مضمحلّ، وسرورها مكفهر، المنزل تلعة، والدار قلعة؛ فتزوّدوا فإنّ خير الزاد التّقوى، واتّقوا الله لعلّكم تفلحون»^(٣).

ونظيره ما جاء فى خطبة التحذير من الدنيا للإمام علي بن الحسين عليهما السلام، بدأ فيها بحمد الله، وأثنى عليه، وذكر جدّه فصلّى عليه، ثمّ قال: «أيّها النّاس، أحذّركم من الدنيا وما فيها، فإنّها دار زوال وانتقال، تنتقل بأهلها من حال إلى حال، وهي قد أفنت

(١) يُنظر: الميداني، عبد الرحمن حسن جنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد: ج ٢، ص ٤٤٦.

(٢) يُنظر: بن قُرقمّاس، ناصر الدين محمد، زهر الربيع فى شواهد البديع: ص ١٩٠.

(٣) الحصري القيرواني، إبراهيم بن علي، زهر الآداب وثمر الألباب: ج ١، ص ١٠٠. أحمد زكي صفوت، جهرة خطب العرب فى عصور العربية الزاهرة: ج ٢، ص ٥١.

القرون الماضية والأُمم الماضية، وهم الذين كانوا أكثر منكم مالاً، وأطول أعماراً، وأكثر آثاراً، أفنتهم أيدي الزمان، واحتوت عليهم الأفاعي والديدان، أفنتهم الدنيا فكأنهم لا كانوا لها أهلاً ولا سكّاناً، وقد أكل التراب لحومهم، وأزال محاسنهم، وبدد أوصالهم وشمائلهم، وغير ألوانهم، وطحتهم أيدي الزمان، أفتطمعون بعدهم بالبقاء، هيهات هيهات، فلا بدّ من اللحوق والملاقى، فتداركوا ما مضى من عمركم وما بقي، وافعلوا فيه ما سوف يعدّ لكم من الأعمال الصالحة قبل انقضاء الأجل، وفروغ الأمل، فعن قريب تؤخذون من القصور إلى القبور، حزينين غير مسرورين، فكم - والله - من فاجر قد استكملت عليه الحسرات، وكم من عزيز وقع في مسالك الهلكات، حيث لا ينفعه الندم ولا يغاث من ظلم، وقد وجدوا ما أسلفوا، واحذروا ما تزودوا، ووجدوا ما عملوا حاضراً، ولا يظلم ربك أحداً، فهم في منازل البلوى همود (مسرعين)^(١)، وفي عسكر الموتى خمود، ينتظرون صيحة القيامة، وحلول يوم الطامة ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾^(٢).

ففى قول الإمام الحسين عليه السلام «فإنّ الدنيا لو بقيت على أحد... لكانت الأنبياء أحقّ بالبقاء» حجة عقلية مما يحتجّ به علماء الكلام، وصيغة الدليل تسمّى عند أهل المنطق بالقياس الإستثنائي المستخدم عادة فى القضية الشرطيّة المتصلة^(٣):

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ٤، ص ٣١، (السرعة) يُنظر: الراغب الأصفهاني، الحسين، مفردات ألفاظ القرآن: ٨٤٥. الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): ج ٢، ص ٥٥٦ - ٥٥٧، أهدى فى السير: أسرّع.

(٢) الحارثي، جعفر عباس، بلاغة الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٩ - ٣٠.

(٣) يُنظر: الميداني، عبد الرحمن حسن جنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد: ج ٢، ص ٤٤٧. عبد العزيز عتيق، علم البديع: ص ١٣٥.

(المقدم)(التالى)

- لو بقيت الدنيا على أحد

← لبيت على الأنبياء

- لكنّها لم تبق على الأنبياء

← (النتيجة) فالدنيا لن تبقى على أحد

تبنى الإمام عليه السلام فى معرض كلامه الذى استلزم التحذير من الدنيا بعد أن أثنى على الله وأمرهم بتقوى الله، دعوى مفادها أنّ الدنيا ليست باقية لأحد، أو باق عليها أحد. وساق دليلاً لإثبات دعواه بقوله: (لكانت الأنبياء أحقّ بالبقاء...). وهذا دليل جازم على فناء الدنيا وعدم بقائها، فهي لم تبق لخاصّة البشرية والصالحين من الخلق، فكيف تبقى لمن دونهم فى الرتبة؟! إذاً فكل شيء زائل إلّا وجه الله. وما رشح هذا القصد، قوله الذى أردفه لتقوية وتأكيد متبناه: «غير أنّ الله خلق الدنيا للفناء...»، وهذا القول يشاكل ما قبله. إذ من حق الإمام عليه السلام الإكتفاء على وفق قاعدة الطريقة التى تقتضى الوضوح والإيجاز بقوله «اتقوا الله واحذروا من الدنيا فهي زائلة»، ولكن الخرق حصل حين أخذ الإمام عليه السلام بالإطناب بعد أن عمد إلى استخدام هذا المحسن البديعي، مضيفاً عليه محسناً آخرًا بقوله: «فجديدها بال، ونعيمها مضمحلّ، وسرورها مكفهّر، المنزل تلعة والدار قلعة»، وهو ضرب من ضروب الإطناب يسمّى بالاستقصاء؛ يقتضى أن يتناول الخطيب بيان معنى، فيستقصيه من كل جوانبه، آتياً بجميع لوازمه وعوارضه، بعد أن يستقصي جميع أوصافه الذاتية، حتى يقطع الطريق أمام من يتناوله بعده بإضافة مقال فيه^(١).

(١) يُنظر: الميداني، عبد الرحمن حسن جنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد: ج ٢، ص ٩٢.

ومثيل هذا الاستقصاء أو الاستقراء يجده القارئ في خطاب الإمام السجاد عليه السلام الأنف الذكر، حيث استلزم الخرق في كلا الخطابين الإطناب لبلوغ قصد الإمامين عليه السلام في التنفير من الدنيا، وترك كل ما فيها، وهو ما يفيد في تقوية القصد الرئيس من خطابهما وهو تقوى الله والتحذير من الدنيا وخداعها.

إنَّ الإمام السجاد عليه السلام أخذ يستقصي كل عوارض الدنيا ولوازمها؛ فقال:

- تفني القرون الماضية، وتفني الأمم الماضية.

ثم عمد إلى ذكر أحوال تلك الأمم:

- فهم أكثر منكم مالا، وأطول أعماراً، وأكثر آثاراً.

ومع كل هذا ماذا فعلت بهم الدنيا؟

- أفتتهم يد الزمان، واحتوت عليهم الأفاعي والديدان، وأفتتهم الدنيا فكأثم لا كانوا لها أهلاً ولا سكناً، قد أكل التراب لحومهم، وأزال محاسنهم، وبدد أوصالهم وشمالهم، وغير ألوانهم، وطحتهم أيدي الزمان.

في هذا الخطاب نجد أنَّ الإمام عليه السلام بعد استعراضه لكل لوازم الدنيا وعوارضها، أخذ يوضح صفات الأمم السابقة التي امتازت بكثرة الأموال، وطول الأعمار، وكثرة الآثار. ثم عاد مرّة أخرى ليكرّر مفردة الفناء، لكنّه لم يكرّرها مجرّدة، بل جسّمها بهيئة بشر، فاستعار لها جارحة من جوارح الإنسان وهي اليد بقوله «أفتتهم يد الزمان» و«طحتهم أيدي الزمان»؛ كل ذلك من أجل تقريب صورة الدنيا الفانية والمُفنية لأهلها إلى أذهان الناس. وهذا التكرار للمفردة الذي بلغ ثلاث مرّات والرابعة كرّرها بالمعنى، خرج بقصد تعدّد المقتضي^(١) وهو القصد الرئيس للخطاب

(١) يُنظر: الميداني، عبد الرحمن حسن جنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد: ج ٢، ص ٧٢.

«التحذير من الدنيا وتنقلاتها» مع ذكر أسباب التحذير.

إنّ الاقتصار على لفظ (الدنيا فانية) كان كافياً في التحذير من الدنيا، إلّا أنّه ﷺ خرق القاعدة، وراح يفسّر أحوال الدنيا وتقلّباتها وما فعلته وستفعله بهم، مستعيناً بأروع وأدقّ أدوات التصوير البلاغية، وهي الاستعارة، فهي تحتلّ مرتبة أعلى من التشبيه؛ لأنّها أكثر منه توغّلاً في أساليب البيان غير المباشر^(١)، فكشف بذلك بيان أحوال الدنيا؛ ليبين لهم انكاره وتقبيحه الشديدين للطمع فيها، وهذا ما أنجزه الفعل اللّغوي المباشر في قول الإمام «أفتطمعون بعدهم بالبقاء»، والذي دلّت عليه صيغة الاستفهام الذي أنجز بفعل المقام وسياق الحال فعلاً لغوياً غير مباشر، استلزم قصدين:

الأوّل: إيهام المتلقّي (أهل الشام) وغيرهم أنّه ﷺ يعلم أنّ الطمع حاصل منهم لا محالة، هذا إذا كان يريد من الفعل المضارع الحال «فإذا قلت: أتفعل؟ كان المعنى على أنّك أردت أن تقرّره بفعل هو يفعله، وكنت كمن يوهّم أنّه يعلم بالحقيقة أنّ الفعل كائن»^(٢).

الثاني: قصد توجيه إنكار الطمع وتقبيح حصوله لكل من يسمع خطابه حاضراً أو مستقبلاً، ويرى الجرجاني «وإن أردت بـ تفعل المستقبل كان المعنى: إذا بدأت بالفعل على أنّك تعتمدُ بالإنكار إلى الفعل نفسه، وتزعم أنّه لا يكون أو أنّه لا ينبغي أن يكون»^(٣)، إذا فالإمام ﷺ يستبجح حصول الطمع - في وقت إرسال الخطاب وفي المستقبل - من المتلقّي، بل وينهاه عن توخّي مثله.

(١) يُنظر: الميداني، عبد الرحمن حسن جنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد: ج ٢، ص ٢٦٣.
(٢) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص ١١٦.
(٣) المصدر نفسه: ص ١١٦.

كما يمكن أن يلتمس بوضوح منهج أهل البيت عليه السلام فى تضمين خطبهم آيات الذكر الحكيم؛ بوصفها المعين الأول للهداية، ولهذا ختما خطابيهما بالتذكير من آيات القرآن المجيد، فقد ضمّن الإمام الحسين عليه السلام خاتمة خطابه بقوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(١)، وقوله أيضاً: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾^(٢) فالإمام عليه السلام ألمح إلى هاتين الآيتين بقصد الدعاء. فجاء دعاؤه للمؤمنين مرتين متمثلاً فى طلب مجازاتهم بالمغفرة والرزق الكريم، وللمحسنين بالحسنى، أمّا للمسيئين فجاء دعاؤه مرّة واحدة؛ حتى يكون الجزاء بمثل ما عملوا فقط. فىكون بذلك قد أكد أمراً أشار إليه القرآن، وهو أنّ جزاء المؤمنين أضعاف جزاء المحسنين؛ أى: أنّ عملهم نتيجة الاعتقاد الراسخ فالجزاء مضاعف، فى حين المحسن قد يكون مؤمناً وقد يكون غير ذلك، وعلى فرض أنّه غير مؤمن فسيجازى بإحسانه. وهذا لطف الله ورحمته فى عباده، وليس غريباً هذا الخلق عن أهل بيت الرحمة الذين تربّوا فى حجر وكنف الرسول محمد صلّى الله عليه وآله الذى مدحه القرآن بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣).

فى حين تجد الإمام عليه السلام فى نهاية خطابه ضمّنه آيتين: الأولى أشارت إلى قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَأْتُوا فِي الْأَلْبَابِ﴾^(٤). والثانية قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَفِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ

(١) سبأ: آية ٤.

(٢) النجم: آية ٣١.

(٣) القلم: آية ٤.

(٤) البقرة: آية ١٩٧.

أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ
 إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ
 أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾ أو
 قوله أيضاً: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
 تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٢﴾. ولا شك أن الإمام عليه السلام حينما ضمن خطابه المبارك - وهو في سياق
 توجيه الناس لتقوى الله، وتحذيرهم من الدنيا الزائلة - قصد الإلماح والإيحاء إلى قصد
 خفي وغامض لا يدرك إلا بإعمال الفكر وكدّ الذهن، ولعله أراد بذلك:

١- لما ثبت أنكم مأمورون بمخافة الله «اتقوا الله لعلكم تفلحون، يعني واتقوا ما
 نهاكم الله عنه، وزهدكم فيه، لكي تفلحوا بالوصول إلى ثوابه الذي ضمنه للمتقين» ﴿٣﴾
 وأن الدنيا زائلة فتزودوا، فإنّ ما تفعلونه من خير يعلمه الله، ومن مصاديق الخير
 المودّة في القربى، فخافوا الله أيها العقلاء بعدم سفك دم العترة الطاهرة، حيث
 يقوّي هذا الفهم، القصد الثاني.

٢- قصد الإمام عليه السلام الربط بين تأويل الآيتين بأكثر من معنى:

أ - قصد الإمام الإشارة إلى حديث النبي صلى الله عليه وآله «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن
 أراد المدينة فليأتها من بابها». بقوله تعالى ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ قال
 القمي في تفسيره: «قال: نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا مدينة العلم
 وعلي عليه السلام بابها، ولا تدخلوا المدينة إلا من بابها» ﴿٤﴾.

ب - ورد في تفسير آية "البر" المذكورة في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ

(١) البقرة: آية ١٨٩.

(٢) آل عمران: آية ٢٠٠.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج ٢: ص ١٤٣. الكاشاني، الملا فتح الله،
 زبدة التفاسير: ج ١، ص ٣١٣.

(٤) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج ١، ص ٦٨.

هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَآتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»^(١)، عن سعد^(٢)، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سألته عن هذه الآية ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَآتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ فقال: «آل محمد عليه السلام أبواب الله وسبيله، والدعاة إلى الجنة والقادة إليها والأدلاء عليها إلى يوم القيامة»^(٣)، وثمة ربط لطيف، وتنويه عال المضمون بحاجة إلى تروٍّ من القارئ اللبيب، ألا وهو علاقة التقوى بإتيان الأبواب، وعلاقتها بالبرِّ، فالبرُّ: خلاف العقوق، وفلان يبرِّ خالقه ويتبرّره، أي: يطيعه^(٤)، والبرُّ: الصدق والطاعة^(٥)، والتقوى من توق، والتوق: نزاع النفس إلى الشيء، تتوق إليه توقاً، وتاقت نفسي إليه، ونفس تواقّة: مشتاقة^(٦). وبعدما تبين لنا معنى التقوى والبرِّ لسائل أن يسأل: ما الفرق بينهما؟ قال الطباطبائي «كان الظاهر أن يقال: ولكن البرّ هو التقوى، وإنما عدل

(١) البقرة: آية ١٨٩.

(٢) سعد: هو سعد بن عبد الله الأشعري بن أبي خلف القمي، عاصر الإمام الصادق عليه السلام، وروى عنه، وكثيراً ما يروي عنه أحمد بن محمد بن عيسى، وكلاهما من أجلّة أصحابنا القميين. الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج ٩، ص ٧٧.

(٣) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج ١، ص ٨٦. هذا القصد المعنيّ بقوله عليه السلام (أنا مدينة العلم وعلي بابها) فمن أراد المدينة فليأتها من بابها؛ أي قصد الإلماح والإيحاء. يُنظر البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن: ج ١، ص ٤٠٩ وج ٤، ص ٧٣. الخويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ١٧٧. المشهدي، محمد بن محمد رضا القمي، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ص ٢٦٠، الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٢، ص ٥٩.

(٤) يُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ٨، ص ٢٥٩ - ٢٦٠. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): ج ٢، ص ٥٨٨ - ٥٨٩.

(٥) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٤، ص ٥١.

(٦) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ٥، ص ١٩٩.

إلى قوله: ولكنّ البرّ من اتقى، إشعاراً بأنّ الكمال إنّما هو فى الاتصاف بالتقوى وهو المقصود، دون المفهوم الخالى، كما مرّ نظيره فى قوله تعالى: (ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكنّ البرّ من آمن) الآية^(١). أما إذا أردنا بالأهله غير ذلك المعنى الرمزي الذي تعطيه مفردة أهله، وهو أنّ عدتها اثنا عشر شهراً، فهذا يستلزم إيماءً إلى عدد الأئمة الاثنى عشر.

وكيفما كان؛ فجملة (ليس البرّ) من شأنها أن تُشير إلى نكتة لطيفة أخرى - أيضاً - وهي أنّ سؤالكم عن الأهله بدل سؤالكم عن المعارف الدينية بمنزلة من يترك الدخول إلى داره من الباب الأصلي، فيرد من ظهر البيت، وهو عمل مستقبح ومستهجى، لذا يجب الالتفات ضمناً إلى هذه النكتة فى قوله تعالى: (لكنّ البرّ من اتقى) أنّ وجود المتّقين بمثابة الينايع المستفيضة بالخيرات، إذ أنّهم قد يطلق عليهم كلمة (البرّ) نفسه^(٢).

ثالثاً: الإطناب والتطويل

تخرق قاعدة الطريقة أو الجهة^(٣) - التي تحثّ على التزام الإيجاز والوضوح - فى إطالة الكلام والمبالغة بملفوظات كثيرة^(٤)، والإطناب هو أداء المقصود من الكلام بأكثر من عباراته، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أم إلى غير الجمل^(٥). ومن ذلك قول الإمام السجاد عليه السلام فى مجلس يزيد بالشام: «أيها الناس، أعطينا ستاً،

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان فى تفسير القرآن: ج ٢، ص ٥٧.

(٢) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل فى كتاب الله المنزل: ج ٢، ص ١٤.

(٣) العياشي أدراوي، الاستلزام الحوارى فى التداول اللساني: ص ١١٥.

(٤) يُنظر: الجوهرى، إسماعيل بن حماد، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): ج ٢، ص ١٧٢ -

١٧٣. الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج ٢، ص ١١٠.

(٥) يُنظر: الخطيب القزويني، الإيضاح فى علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع: ص ١٧٩.

وفَضَّلنا بسبع: أُعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشَّجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين. وفَضَّلنا بأنَّ منَّا النبيَّ المختار محمدًا ﷺ، ومنَّا الصِّديق، ومنَّا الطيار، ومنَّا أسد الله وأسد الرسول، ومنَّا سيِّدة نساء العالمين فاطمة البتول، ومنَّا سبطا هذه الأئمة، وسيِّدا شباب أهل الجنة، فمن عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي: أنا ابن مَكَّة ومنى، أنا ابن زمزم والصفاء، أنا ابن من حمل الزكاة بأطراف الرداء، أنا ابن خير من اتَّئزر وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حجَّ ولبَّى، أنا ابن من نُحِل على البراق في الهوا، أنا ابن من أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فسبحان من أُسرى، أنا ابن من بلغ به جبرائيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنى فتدلى فكان من ربِّه قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلَّى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلاَّ الله، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وباع البيعتين، وصلَّى القبلتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيين، وقامع الملحددين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكَّائين، وأصبر الصَّابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين، ورسول ربِّ العالمين، أنا ابن المؤيَّد بجبرائيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، والمجاهد أعداءه الناصبين، وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأوَّل من أجاب واستجاب لله من المؤمنين، وأقدم السَّابِقين، وقاصم المعتدين، ومبير المشركين، وسهم من مرَّامي الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، ناصر دين الله، وولي أمر الله، وبستان حكمة الله، وعيبة علم الله، سمحٌ سخيٌّ، بُهلول زكي أبطحي رضي مرضي، مقدم همام، صابر صوام، مهذب قوام، شجاع قمقام، قاطع الأصلاب، ومفرِّق الأحزاب، أربطهم

جناناً، وأطلقهم عناناً، وأجراهم لساناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدّهم شكيمة، أسد باسل، وغيث هائل، يطحنهم في الحروب - إذا ازدلفت الأستة، وقربت الأعنة - طحن الرحي، وبذروهم ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز، صاحب الإعجاز، وكبش العراق، الإمام بالنص والاستحقاق، مكّي مدني، أبطحي تهامي، خيفي عقبي، بدري أحدي، شجري مهاجري، من العرب سيّدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين، وأبو السبطين، الحسن والحسين، مظهر العجائب، ومفرّق الكتائب، والشهاب الثاقب، والنور العاقب، أسد الله الغالب، مطلوب كل طالب، غالب كل غالب، ذاك جدّي علي بن أبي طالب، أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيّدة النساء، أنا ابن الطهر البتول، أنا ابن بضعة الرسول، أنا ابن الحسين القتيل بكربلاء، أنا ابن المرمّل بالدماء، أنا ابن من بكى عليه الجن في الظلماء، أنا ابن من ناحت عليه الطيور في الهوا^(١).

يظهر في هذا النصّ الإطناب جلياً من أداء المعاني بألفاظ كثيرة، ومقتضى القاعدة أن يجري الخطاب على وفق تحرّي الإيجاز، كأن يقول «أنا ابن محمّد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى... أنا ابن الحسين القتيل بكربلاء...» ولما بالغ الخطيب عليه السلام في إرسال الكلام على غير الصورة المفترضة في الأصل، أدّى إلى حصول الخرق للكيفية، وفي هذا النصّ يرى القارئ أنّ الإطناب في إرسال الخطاب استلزم من النكت البلاغية الجميلة ما يفوق الحصر، فهناك خمس عشرة طريقة من طرائق أداء الإطناب والتطويل، وكل طريقة لها نكتة بلاغية لطيفة ومقصد تواصل لطف^(٢)، وأوّل ما يطالع البحث من طرق التطويل والإطناب:

(١) فتوح ابن أعثم، ج ٥، ص ٢٤٧ - ٢٤٩، ومقتل الخواري، ج ٢، ص ٦٩ - ٧١
 (٢) يُنظر: الميداني، عبد الرحمن حسن جنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد: ج ٢، ص ٦٥ - ٨٠.

الطريقة الأولى: الإيضاح بعد الإبهام، ومنها التفصيل بعد الإجمال^(١)، من قبيل قول الإمام «أعطينا ستاً وفضلنا بسبع» ثم أطنب وقال «أعطينا العلم، والحلم، والسخاء، والفصاحة، وفضلنا بأنّ منّا النبي المختار، ومنّا الصديق...». وهنا أوضح الإبهام وفضّله بعد الإجمال كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَكُوتَ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكََ الَّذِي يُقَيِّمُكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢). أضف إلى ذلك أنّ الخرق استلزم من المقاصد التي أراد الخطيب إيصالها إلى من حضر في مجلس يزيد خاصّة، وأهل الشام عامّة؛ ما يلي:

- ١- بدّل نشوة الانتصار لدى السلطة إلى حشجة الموتى في حلوق المحتفلين، عن طريق تقديم المعنى الواحد في أسلوبين مختلفين، هما: الإبهام والإيضاح^(٣).
- ٢- تمكين المعنى الذي قصده في نفوس الحاضرين تمكيناً زائداً^(٤)، لوقوعه بعد استشراف النفس إليه بالإبهام، وهو ما فنّد كل الدعايات المضلّة التي روجتها السياسة الأموية، والتي تركّزت على: أنّ الأسرى هم من الخوارج، فلم يعرف أهل الشام لا مصداق المختار ولا الصديق ولا الطيّار، ولا أسد الله وأسد الرسول^(٥)،

(١) يُنظر: المصدر نفسه: ص ٦٦.

(٢) التوبة: آية ٣٦.

(٣) يُنظر: الميداني، عبد الرحمن حسن جنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد طريف وتليد: ص ٦٦.

(٤) يُنظر: المصدر نفسه: ص ٦٦.

(٥) فقد مارست السلطة الأموية تضليلاً حتى أنّهم كانوا يجهلون حال الإمام علي عليه السلام فيها إذا كان يصلي أم لا؟. يُنظر: الأزدي، الفضل بن شاذان، الإيضاح: ص ٤٩٤، وهامشها.

ولا سبطي هذه الأمة، ولا البتول...، كل هذه المعاني كانت غائبة، ومغيّبة من قبل السلطة الغاشمة عن قصد وتعمّد.

٣- تكميل الإمام عليه السلام لذّة العلم بحال الأسارى - الذين اتهموا بالخوارج - إذ بدت ناقصة بالإبهام وكملت بالإيضاح، فالشيء إذا علم ناقصاً تشوّفت النفس إلى العلم به كاملاً، وحصل لديها ظمأ لمعرفة^(١)، ولعلّ هذا القصد من أبرز مسوّغات القصد التي توخّاها الإمام عليه السلام في إطنابه، فأخذ يفسّر ويطوّل بالإيضاح، فقد ذكر السباحة والسخاء، وأخذ يكرّرها بقوله: (سمح، سخي، زكي، أبطحي، رضي مرضي)، وذكر الشجاعة وكرّرها باللفظ وبلوازمها مرّة أخرى بقوله: «مقدام همام، صابر صوام، مهذب قوام، شجاع قمقام، قاطع الأصلاب، ومفرّق الأحزاب، أربطهم جناناً، وأطلقهم عناناً، وأجراهم لساناً، وأمضاهم عزيمةً، وأشدّهم شكيمةً».

٤- ذكر عليه السلام - أيضاً - بكل المواقع الجغرافية، والمواقف الحاسمة، والذكرات العظيمة في الإسلام، وربط نفسه بكل ذلك، فسرّد - وبلغه شخصيّة - حوادث تاريخ الإسلام، معبراً بذلك عن أنّه يحمل هموم كل ذلك التاريخ على عاتقه، وأنّه حامل هذا العبء، بكلّ ما فيه من قدسيّة، ومع هذا فهو عليه السلام يقف (أسيراً) أمام السلطة الأموية عبر حسن إطلاقه للاسم الموصول الذي تمكّن من تطويعه لنقل المقاصد أعلاه، فقد وظّفه في التعريف والإشارة لنفسه وارتباطه بكل المواقف والأحداث الزمكانية؛ «فالاسم العلم، هو أقوى المعارف، تليه المبهّمات (الاسم الموصول، واسم الإشارة، الضمير) عند أغلب النحاة»^(٢)، وما يساعد المتكلّم في أن

(١) يُنظر: الميداني، عبد الرحمن حسن جنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد طريف وتليد: ج ٢، ص ٦٥ - ٨٠.

(٢) شروح التلخيص، سعد الدين التفتازاني: ج ١، ص ٣٠٢، الدسوقي، محمّد عرفة، حاشية الدسوقي: ص ٣١٣.

يلجأ إلى هذا التعريف هو مقام التلقظ، أى عندما يكون نقص فى معلومات المخاطب عن المسند إليه، ما خلا الصلة مثل الذين قاتلوا مع الحسين علماء صالحون^(١).

٥- قصد إطلاق الكناية التى هى أبلغ من التصريح، بنسبه الشريف، وباتصاله بالإسلام، وبرسوله الكريم ﷺ.

٦- قصد بيان منزلته العالية المتأتية من اتصاله المادى والمعنوى برسول الله ﷺ، وعلى ابن أبى طالب عليه السلام، ومع ذلك يقف أسيراً بين يدي من هم أقل منه شرفاً.

٧- إظهار الصورة الناصعة لعلي بن أبى طالب عليه السلام، التى طالما شوّوها بنو أمية فى الشام.

وفى ظل زمكانية الظروف المقامية، لم يكن للإمام السجاد عليه السلام أن يتطرق إلى شيء من القضايا الهامة عبر الفعل الكلامى المباشر، وإلا كان يُمنع من الكلام والنطق^(٢)،

(١) الحباشة، صابر، مغامرة النص من النحو إلى التداولية، قراءة فى شروح التلخيص للخطيب القزويني: ص ١٠١.

(٢) بدليل رواية صاحب المناقب (وقال صاحب المناقب وغيره: روى أن يزيد بن محمد أمر بمنبر وخطيب ليخبر الناس بمساوئ الحسين وعلي عليه السلام وما فعلا، فصعد الخطيب المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم أكثر الوقعة فى علي والحسين، وأطنب فى تقرير معاوية ويزيد بن محمد، فذكرهما بكل جميل، قال: فصاح به علي بن الحسين: ويلك أيها الخاطب، اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فتبواً مقعدك من النار، ثم قال علي بن الحسين عليه السلام: يا يزيد، إئذن لي حتى أصعد هذه الأعواد، فأتكلم بكلمات الله فيهن رضا، وهؤلاء الجلساء فيهن أجر وثواب، قال: فأبى يزيد عليه ذلك، فقال الناس: يا أمير المؤمنين، إئذن له فليصعد المنبر، فلعلنا نسمع منه شيئاً، فقال: إنه إن صعد لم ينزل إلا بفضيحتي وبفضيحة آل أبي سفيان، فقبل له: يا أمير المؤمنين، وما قدر ما يحسن هذا؟ فقال: إنه من أهل بيت قد رُفوا العلم زقا، قال: فلم يزالوا به حتى أذن له، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم خطب خطبة أبكى منها العيون، وأوجل منها القلوب، ثم قال: أيها الناس، أعطينا ستاً... المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٢٨. الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص ٢٣٣. الحائري، جعفر عباس، بلاغة الإمام علي بن الحسين عليه السلام: ص ٩٥.

وأما الإعلان عن اسمه فهى قضية حاكية عن هويته الشخصية؛ لذا اغتنم الامام عليه السلام ذلك الحق الذى يمنح لكل فرد حتى وإن كان أسيراً؛ كي يوصل مقاصده للحاضرين بأبلغ صورة حتى تُحسَّس وقعها من خلال ضجّ من كان فى المجلس بالبكاء، مما دفع يزيد أن يقطع استرسال الإمام عليه السلام بالأذان إلاّ أنّه (يزيد) غفل عن أنّ الإمام عليه السلام أفرغ كل ما فى جعبته من مقاصد، ما حدا بالإمام عليه السلام أن يمتاح من عبارات الأذان وألفاظه حججاً دامغة على يزيد.

٢- الطريقة الثانية التكرار، مما ينضوي تحت مفهوم الإطناب فى سياق الخبر (التكرار) الذى يمكن عدّه تطويلاً فى إطلاق القول، يأتي به المتكلّم عندما يقصد المبالغة فى الشرح والتوضيح، فيُسرف فى التكرار^(١)، والتكرار «عبارة عن تكرير كلمة فأكثر باللفظ والمعنى لنكتة»^(٢)، وهو من الأنماط المهمة، وسنّة من سنن العرب الحاضرة فى كتاب الله ﷻ، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَيَأْتِيْءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٣).

يستثمر الخطيب التكرار للإبلاغ عن قصده حسب عنايته بالأمر^(٤)، وقد تعدّدت غاية التكرار وأنواعه فى خطب المسيرة، وفى هذا الخطاب أكثر من غاية ونوع سيمرّ بها القارئ فى توضيح حالات الإطناب التى من شأنها خرق قاعدة الطريقة، إذ يأتي التكرار فى الكلمة، والجمل، والحرف، فعلى سبيل المثال: بلغ تكرار (أنا ابن) أكثر من ثماني عشرة مرّة، وجاء التكرار تارة بالصفة، وتارة بالاسم الصريح، وتارة بالمشتق... الخ. ومن غايات التكرار:

-
- (١) يُنظر: الاسترأبادى، رضى الدين، شرح الكافية: ج ١، ص ١١.
 (٢) ابن معصوم، علي بن أحمد بن محمد، أنواع الربيع فى أنواع البديع: ج ٥، ص ٣٤٥.
 (٣) الرحمن: آية ١٣.
 (٤) ابن فارس، أحمد، الصحابى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها: ص ٢٠٧.

١- التوكيد

وهو من أشهر الأبواب النحوية عناية عند النحاة القدماء، فعند سيبويه (١٨٠هـ) صورة من صور الخروج على مقتضى الظاهر «وضع الظاهر موضع الضمير، لزيادة التمكين والتقوية في النفس»^(١)، بل أن «التوكيد اللفظي قد يكون لدفع توهم التجوّز والسهو المعنوي»^(٢)، ومما يقارب هذا المفهوم خطاب الإمام علي بن الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة: «هيهات هيهات، أيتها الغدرة المكرّة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم إلى آبائي من قبل»^(٣).

وكذا خطابه في أهل الشام حذّره فيهم من الدنيا ومزالقها بقوله: «أفطمعون بعدهم بالبقاء، هيهات هيهات، فلا بدّ من اللحوق والملتقى، فتداركوا ما مضى من عمركم وما بقي». حيث أشارت الدلالة الأساسية في خطاب الإمام عليه السلام إلى رفضه ونفيه القاطع ببقاء أحد على وجه البسيطة، وهذا المعنى دلّ عليه فعل القول القضوي الذي دلّت عليه القرينة، وهي صيغة اسم الفعل الماضي (هيهات) الذي يأتي بمعنى (بعُدَ)^(٤)، كما تُستعمل (هيهات) لاستبعاد مظنة حصول حدث ما^(٥)؛ لأنّها أقوى من الفعل الذي بمعناها في أداء المعنى وأقدر على إبرازه كاملاً مع المبالغة فيه^(٦)، فمعناها الدقيق: (بعُدَ جدّاً) ولما تكرّرت أفادت البُعد الشديد بعداً آخر، وفضلاً عما أضافه التكرار من إيقاع صوتي فـ«هي صوت يقوله العربي حين

(١) سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه: ج ١، ص ٦٢.

(٢) الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع: ج ٢، ص ٥٢.

(٣) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٢.

(٤) عباس حسن، النحو الوافي: ج ٤، ص ١٤١.

(٥) يُنظر: الراغب الأصفهاني، الحسين، مفردات ألفاظ القرآن: ص ٨٤٧ - ٨٤٨.

(٦) يُنظر: عباس حسن، النحو الوافي: ص ١٤٢.

يستبعد شيئاً أو أمراً، وهو تعبير عن انفعاله هذا»^(١).

إذاً (هيهات) أفادت معنى الاستبعاد، في حين تجد أنّ الفعل الكلامي الإنجازي الذي نتج من تكرار اسم الفعل أفاد معنى استلزم من تكرار الكلمة والظرف المقامي، فخرج إلى معنى قصده المتكلم وهو التّيسيس؛ لأنّ هيهات إذا كانت موجّهة لذات المتكلم فمعناها القضوي يتجاوز معنى الاستبعاد إلى اليأس، أمّا إذا وجّهت لذات المتلقّي، فيكون معناها مع الاستبعاد: التّيسيس^(٢) ومن هنا يمكن صياغة المقاصد في الخطابين أعلاه بشكل أدقّ في:

١- خطاب الإمام عليه السلام لأهل الكوفة الذي رفض فيه عرض أهل الكوفة بالولاء والطاعة على نحو التّيسيس وقطع الظنّة.

٢- تكرار اسم الفعل الذي ناسب مقام إبطال المزاعم وكشف الحقائق.

٣- خطابه لأهل الشام الذي قطع الطريق أمام طمعهم في الخلود في هذه الدنيا عن طريق تكرار (هيهات) التي أفادت معنى التّيسيس على نحو المبالغة والتأكيد، وما رشح هذا المعنى قوله «فلا بدّ من اللّحوق والملتقى»، حيث أشار في هذا المقطع إلى أصل مهم من أصول الدين وهو المعاد^(٣)، ومنها أيضاً خطاب زهير بن القين لأهل الكوفة «يا أهل الكوفة، نذار لكم من عذاب الله نذار إن حقّاً على المسلم نصيحة أخيه»^(٤).

(١) النعمي، سليم، اسم الفعل دراسة وتيسير، بحث منشور في مجلّة المجمع العلمي العراقي: مجلد ١٦، ١٩٦٩ م: ص ٧٨.

(٢) حاتم حسن علي، أساليب التعجّب في القرآن الكريم، دراسة دلالية: ص ١٤٨.

(٣) الألوسي، محمد، روح المعاني: ج ١٠، ص ٢٣٧. موسوعة من حياة المستبصرين، مركز الأبحاث العقائدية: ج ٥، ص ٢٩٦.

(٤) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٤٤. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٢٢٣.

٢- التشويق والاستعذاب

ذهب القيرواني (٤٥٦هـ) إلى أنّ من أغراض التكرار التشويق والاستعذاب^(١)، ومما يقارب هذا المفهوم خطاب الإمام الحسين عليه السلام بعد أن نزل بكربلاء وقال لها: «يا أُخِيَّةُ، اتَّقِي اللَّهَ وَتَعَزِّي بِعَزَاءِ اللَّهِ، وَاعْلَمِي أَنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ يَمُوتُونَ، وَأَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ لَا يَبْقَوْنَ، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ بِقُدْرَتِهِ، وَيَبْعَثُ الْخَلْقَ فَيَعُودُونَ، وَهُوَ فَرْدٌ وَحْدَهُ، أَيُّ خَيْرٍ مِنِّي، وَأُمِّي خَيْرٌ مِنِّي، وَأَخِي خَيْرٌ مِنِّي، وَلِي وَلَهُمْ وَلِكُلِّ مُسْلِمٍ بِرَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ. فَعَزَّاهَا بِهَذَا وَنَحَوَهُ، وَقَالَ لَهَا: يَا أُخِيَّةُ».

ومنه أيضاً خطاب السيدة زينب عليها السلام ليزيد في مجلسه - بعد مقتل أخيها الإمام الحسين عليه السلام - بقولها: «والله، ما اتقيت غير الله، ولا شكواي إلا إلى الله»^(٢). فقد أفضى هذا التكرار في لفظ الجلالة وفي لفظ يا أُخِيَّة سابقاً - فضلاً عن قصد المواساة - إلى الاستعذاب والتلذذ باللفظين من الإمام عليه السلام. ومثله تكرار لفظ الجلالة (الله) في معرض تعريف الإمام بنفسه حين قال: «أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وأول من استجاب لله من المؤمنين، وأقدم السابقين، وقاصم المعتدين، ومبير المشركين، وسهم من مرامي الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، ناصر دين الله، وولي أمر الله، وبستان حكمة الله، وعيبة علم الله»؛ مضافاً إلى تكراره جملة (أنا ابن) تسع عشر مرة. إذ يظهر من تكرار لفظ الجلالة في أغلب التراكيب الإضافية من خطابه عليه السلام - سوى بعض الفقرات - مزيداً من العناية والتلذذ للتلفظ بها وبسط للخطاب حيث

(١) يُنظر: القيرواني، الحسن بن رشيد، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ج ٢، ص ٧٤.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن: ج ٢، ص ٢٩٩.

(٢) ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء: ص ٢٣.

الإصغاء المطلوب^(١)، فضلاً عن ما يضيفه تكرار لفظ الجلالة من قيمة فنية للخطاب، حيث يتجلى قصده من ذكر الله ﷻ بالآتي:

١- يستعذب المتكلم فيكرّره، ولا يستعيز عنه بضمير، ما يمنح الخطاب قوة وتأثيراً؛ كون دلالة الاسم الظاهر أقوى من الضمير^(٢)، وهذا مما لا شك فيه، ديدنهم في استعذاب ذكر الله ﷻ وذكر رسوله ﷺ. وهو ما يلمسه القارئ في سفره الخالد وزبور آل محمد الصحيفة السجادية، حيث لا يخلو دعاء من أدعيتها من ذكر لفظ الجلالة وتكراره والصلاة على محمد وآله في أول الدعاء وفي وسطه وفي آخره^(٣)، وهذا الفعل الانجازي أيضاً كان ينجز به قصداً، وهو إظهار بيان منزلة أهل البيت ﷺ لدى المجتمع والناس الذين غفلوا عنها أو تغافلوا، حتى وصل الأمر إلى أن تعتدي السلطة عليهم وتقتلهم، وتسبي نساءهم وأطفالهم، فالتكرار استلزم قصدية التنبيه والتعظيم للمحكي عنه، وهو من أغراض التكرار^(٤).

٢- في تكرار لفظ الجلالة قيمة فنية أخرى، تظهر في إيقاعه الذي يشد المتلقي ويملاه شوقاً للإنصات لروعة الرنين^(٥).

٣- التقديم والتأخير (تغيير الرتبة)

يلجأ المتكلم إلى خرق نظام ترتيب الكلام على وفق التركيب اللغوي الذي

(١) المدني الشيرازي، علي خان الحسيني، رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين الإمام علي بن الحسين ﷺ: ج ٤، ص ١٢.

(٢) إلياس ديب، أساليب التأكيد في اللغة العربية: ص ٩.

(٣) يُنظر: عمّار حسن عبد الزهرة، أدعية الصحيفة السجادية دراسة تداولية: ص ١٠٠.

(٤) يُنظر: القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ج ٢، ص ٧٤.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن: ج ٢، ص ٢٩٩.

(٥) يُنظر: ميثم قيس مطلق، نثر الإمام الحسين ﷺ دراسة بلاغية: ص ٩٤.

نصّت عليه المقولة الفرعية الرابعة عن قصد، فيأتي الكلام على غير ما يقتضيه الظاهر ملوّحاً إلى طرفة بلاغية، يمكن الوصول إليها بإعمال الفكر، أو رهف الحس ودقّة الملاحظة وعمق النظرة^(١)، لما له من وقع وتأثير في النفس شديدين^(٢). وهذا الخرق تتحوّل فيه البنية من بنية أصليّة إلى بنية فعلية، ويحصل بفعل السياق المقامي التواصل، ولا يقع اعتباطاً، وإنّما يستلزم قصداً معيّناً^(٣)، إذ يمكن بيان الخرق من خلال سياق الملفوظات في ضمن أسلوب التقديم والتأخير أو تغيير الرتبة.

إنّ الكلمة في نظام اللغة العربية تتمتع بمقدار كبير من حرّية الحركة داخل التركيب، والتقديم والتأخير أحد أساليب حرّيتها، وخصيصة من خصائصها^(٤)، وهو «جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصليّة أو بعدها، لعارض اختصاص أو أهميّة أو ضرورة»^(٥)؛ إذ أنّ ترتيب المعاني والدلالات يقتضي تقدّماً وتأخيراً بعضها على بعض بحسب السياق المقامي، لذا هو أسلوب يوضّح ويكشف تفاعل المتكلّمين وانفعالهم وما يشغل بالهم؛ فهم «إنّما يقدّمون الذي بيّنه أهم لهم، وهم بيّنه أعنى، وإن كانوا جميعاً يهملهم ويعنيانهم»^(٦) بغية تحقيق الغاية التداولية للخطاب في الإفهام وإيصال القصد إلى المتلقّي بطريقة بيّنة وسهلة، وقد يسعى المتكلّم إلى تقديم بعض أجزاء على بعض فيستلزم العدول والانزياح عن ذلك التسلسل^(٧)، وعلى هذا الانزياح الذي يتخللها «أن يكون هادفاً إلى دلالة غير ما يؤدّيه التركيب في التسلسل

(١) توفيق الفيل، بلاغة التراكيب (دراسة في علم المعاني): ص ٢٢.

(٢) الصعدي، عبد المتعال، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: ص ٤٥.

(٣) يُنظر: رجاء عجيل إبراهيم، الوظيفة في كتاب سيبويه: ص ١٢٥.

(٤) يُنظر: أحمد مطلوب، بحوث لغوية: ص ٤٠ - ٤١.

(٥) الصرصري، البغدادي، سليمان عبد القوي بن عبد الكريم، الإكسير في علم التفسير: ص ١٨٩.

(٦) سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه: ج ١، ص ٣٤.

(٧) يُنظر: البستاني، محمد، البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي: ص ٥٤.

المعياري لرتب أجزائه، وإذ ذلك يكون هذا العدول مفيداً في تغيير الدلالة إلى أخرى...» ويطلق عليه تداولياً مبدأ الإبراز التداولي^(١)، وفيما يلي صور من ذلك التقديم أو التأخير.

١- تقديم الخبر على المبتدأ: ومما يقارب هذه الخرق في متواليات النظم قول الإمام الحسين عليه السلام في أكثر من مناسبة:

أ - حين نصب يزيد نفسه ملكاً على المسلمين، وطلب من عامله الوليد أخذ البيعة من الإمام، فقال عليه السلام: «إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام؛ إذ قد بليت الأمة براعٍ مثل يزيد»^(٢)؛ لأنّ التصدي لخلافة وإدارة شؤون المسلمين أمر مرتبط بالإسلام، وهذا استلزم تقديم المتعلق بالخبر (الإسلام) على المبتدأ (السلام) قصد العناية والاهتمام بتعاليم الإسلام التي ستنتهك بتنصيب يزيد وبيعته.

ب - في خطاب الاستنهاض للمسيرة حين قال عليه السلام: «رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفّنا أجور الصابرين». وقبل استجلاء مقاصد الإمام عليه السلام، يجدر بنا تحديد أمرين مهمّين، قد عرض لهما السيّد الصدر بالتفصيل^(٣)، هما:

الأمر الأوّل: معنى الرضا؟ والذي ينطوي بدوره على معنيين:

أحدهما: المراد بالرضا بصفته عاطفة نفسية محبوبة.

والثانية: هي الأمر المرضي الذي يتعلّق به الرضا عرفاً ولو مجازاً.

(١) يُنظر: صحراوي، مسعود، الأفعال الكلامية عند الأصوليين، دراسة في ضوء اللسانيات التداولية: ص ٢٤٧.

(٢) الحلي، ابن نما، مثير الأحزان: ص ١٥. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٤٢. ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ١٧. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٦.

(٣) الصدر، محمد، أضواء على ثورة الحسين عليه السلام: ص ٦٦ - ٦٧.

الأمر الثاني: هل هذه الجملة حافظت على ترتيبها الأصلي (مبتدأ + خبر) أم حدث فيها خرقٌ وعدولٌ عن ذلك الترتيب؟ أي: (خبر مقدّم + مبتدأ مؤخر)، وبالتالي - مع أخذ الرضا بمعنى (الأمر المرضي) - تكون الجملة على احتمالين:

- على ترتيبها الأصلي، أي: ليس فيها خرق، يكون رضا الله هو المبتدأ، والمعنى القضوي: الدلالة الحرفية لعناصر التركيب، هو أنّ الأمر الذي يرضاه الله سبحانه وتعالى نرضاه نحن أهل البيت. وهذا هو الفهم الظاهر، فهو يعبر عن رضا بمقتله واستشهاده؛ لأنّه أمر مرضي لله سبحانه وتعالى.

- على غير الترتيب الأصلي، أي: فيها خرق في سياق الملفوظات، فيكون رضا الله خبراً مقدّماً ورضانا أهل البيت مبتدأ مؤخراً، فيكون قصده أنّ الأمر الذي نرضاه نحن أهل البيت يرضاه الله ﷻ فهو مرضي لله بدوره. وعلى هذا الرأي استلزم تقديم الخبر المقدّم (رضا الله) على المبتدأ المؤخر (رضانا أهل البيت) قصد الإمام بمزيد العناية والاهتمام برضا الله، فما يرضاه سبحانه وتعالى يرضونه، وهذه منزلة عظيمة. أما إذا كان معنى الرضا معناه المطابقي، وهو الأمر المحبّب للنفس والشعور بالارتياح، فحينئذٍ ليس هناك خرق في سياق الملفوظات.

٣- حين أذن الإمام عليه السلام لأصحابه ليلة العاشر من محرّم، قال لهم: «ألا وأنى قد أذنت لكم فانطلقوا، أنتم في حلّ ليس عليكم منّي ذمام»^(١)، حيث أفاد هذا الخرق في سياق الملفوظات اختصاص أصحابه في نفي الذمام عنهم، وإثباته لغيرهم ممن سمع واعيته ولم ينصره، ولو أّخر الخبر، فقال: ليس ذمامٌ عليكم، لتغيّر معنى الخطاب، ويكون الذمام ليس على أصحابه، كما يحتمل أن ليس على غيرهم، وهذا يتعارض مع تصريحه: «من سمع واعيتنا ولم ينصرنا أكبه الله في نار جهنّم»^(٢).

(١) الحلّي، ابن نما، مثير الأحزان: ص ٣٨. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣١٦.
(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣١٥. المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٩٥.

وإلى مثل هذا القصد خرج قول الإمام الحسين عليه السلام حين طالبه الرسول بجواب على كتاب عبيد الله بن زياد، فقال عليه السلام: «ما له عندي جواب؛ لأنه حَقَّتْ عليه كلمة العذاب» وهنا تقديم الخبر (له) يكشف عن اهتمام الإمام بعدم جواب هذا الكافر، فهو غير مستحق لجوابه، فقد حَقَّتْ عليه كلمة العذاب، وكلمة العذاب لا تحقُّ إلا على الكافر، وليست تشهد الجوارح على مؤمن، إنما تشهد على من حَقَّتْ عليه كلمة العذاب، فأما المؤمن فيعطى كتابه بيمينه^(١). فعبيد الله حين تجرأ على الإمام بكتابه الذي رماه بين يده استلزم منه الكفر وخروجه عن دائرة الإسلام، بدلالة القرينة الحالية، وهي رمي الكتاب، كما استلزم - أيضاً - أن جواب الإمام عليه السلام لا ينفعه بأية حال من الأحوال بوصفه «من حَقَّتْ عليه كلمة العذاب، ولم يخف العقاب، ولا يرجو لله وقاراً، ولم يخف له حذاراً، فشأنك وما أنت عليه من الضلالة والخيرة والجهالة، تجد الله في ذلك بالمرصاد من دنياك المنقطعة، وتمنيك الأباطيل، وقد علمت ما قال النبي ﷺ فيك وفي أمك وأبيك، والسلام»^(٢).

٢ - تغيير رتبة الفاعل: مما يقارب الخرق في سياق الملفوظات تغيير رتبة الفاعل على الفعل، وهو خرق وعدول عن أصل التركيب، ففي قول الإمام الحسين عليه السلام يوم العاشر - بعد أن استشهد جميع أصحابه وأهل بيته - منادياً: «هل من ذابَّ يذُبُّ عن حُرْمِ رسول الله؟ هل من موحد يخاف الله فينا؟ هل من مُغيث يرجو الله في إغاثتنا، هل من مُعين يرجو ما عند الله في إعاتتنا؟»^(٣) ورد تقديم الفاعل على الفعل في سياق

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٣٢. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧، ص ٣١٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٣٣، ص ٧٩.

(٣) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام: ص ٥٧٢. الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص ١١٨. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٦٩. السماوي، محمد، إِبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ص ٣٦.

الاستفهام، وقد ذهب أغلب النحويين - باستثناء المبرّد^(١) - إلى زيادة (من) إذا سبقها استفهام أو نفي أو نهي، ونُكّرَ مجرورها، سواء كان ذلك المجرور فاعلاً أم مفعولاً أم مبتدأ^(٢)، ولا تزداد من في الاستفهام إلّا في سياق (هل) حصراً^(٣)، وتفيد زيادتها توقّع الجواب بالنفي^(٤)، وعلى فرض زيادتها (من) فإنّ (هل) دخلت على اسم بعده فعل^(٥)، فالمعنى لم يختلّ بحذفها. وهنا الذي جاء بعد (من) فاعل قُدّم على فعله؛ لأنّه لو كانت هذه الجملة اسميّة، لجاز دخول الاستفهام بـ(هل) عليها، لكن لما ثبت عدم جواز ذلك فلا ضير في أن يعدّ الاسم المتقدّم فاعلاً تقدّم على فعله لغرض الاهتمام والعناية^(٦)، فالإمام عليه السلام في سياق مقامي اشتدّت فيه مجربات المقام، وهي حاجته لنصرة هؤلاء وإغاثتهم. وهنا يطالعنا خرق آخر في الملاءمة مقامياً، وهو أنّ الإمام عليه السلام يعلم مسبقاً بأنّه مقتول ومقطّع الأوصال، كما عرض لأصحابه مواقعهم في الجنة، قبل ليلة من استشهاده «كُشف لهم الغطاء حتى رأوا منازلهم من الجنة، فكان الرجل منهم، يقدم على القتل، ليبادر إلى حوراء يعانقها وإلى مكانه من

(١) لم ير زيادتها. يُنظر: المبرّد، محمد بن يزيد، المقتضب: ج ١، ص ٤٥، وقد حكم بزيادتها في مواضع أخرى. يُنظر: المبرّد، محمد بن يزيد، المقتضب: ج ٤، ص ٥٢، ص ١٣٦ - ١٣٨، ص ٤٢٠.
(٢) يُنظر: ابن هشام الأنصاري، عبد الله، مغني اللبيب عن كتاب الأعراب: ج ١، ص ٦١٥.
(٣) يُنظر: المصدر نفسه: ج ١، ص ٦١٥. السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية: ج ٢، ص ٣٥.

(٤) السامرائي، فاضل، معاني النحو: ج ٤، ص ٦٢٢.

(٥) وهذا خلاف ما نصّ عليه النحويّون والبلاغيّون، من أنّ هل لا تدخل على اسم يليه فعل إلّا على قبح كما يقول ابن يعقوب المغربي: (ولمجيئ (الهمزة) دون هل فإنّها للتصديق فقط كما يأتي، لم يصح ورودها في التركيب الذي يكون الاستفهام فيه لطلب التصوّر، كطلب تصوّر الفاعل في قولك: (أزيد قام؟)، بخلاف ورود (هل) في هذا التركيب الذي هو لطلب التصوّر غالباً، فلا يقال: (هل زيد قام) إلّا على قبح). ابن يعقوب المغربي، أحمد بن محمد، مواهب الفتاح: ج ٢، ص ٢٥١.

ويُنظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه: ج ١، ص ١٠١.

(٦) يُنظر: ميثم قيس مطلق، نشر الإمام الحسين عليه السلام، دراسة بلاغية: ص ١٠٧.

الجنة»^(١)، ثم إنَّ الإمام عليه السلام على يقين بقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ فلم هذا الاستنصار ما دام يعتقد بأنَّ الله يغنيه عن الآخرين^(٢)، وجواب هذا الإشكال يتضح لمن استجلى المقاصد المستلزمة التي خرج إليها هذا الخرق، حيث نرصد مسوَّغاته كالآتي:

أ- لا يخفى على جميع من شهد الواقعة منزلة الحسين عليه السلام الدينية والاجتماعية، فهو ابن رسول الله وسيّد شباب أهل الجنة، بشهادة النبي صلى الله عليه وآله.

ب - الإمام الحسين عليه السلام تعامل مع القوم كأفراد يملكون كامل الاختيار بغض النظر عن موقفهم العسكري، وهذا ما سوَّغ للإمام عليه السلام مخاطبتهم.

ج - إنَّ عامّة من برز لقتال الإمام عليه السلام ليسوا أعداء مباشرين له، إنّما العدو الحقيقي هم رؤوس السلطة الحاكمة، أمّا الباقون فهم بين مغرّر بهم بالأموال وبين مجبورين بالخوف، وقد وصفهم أكثر من شخص^(٣) للإمام عليه السلام بقوله: «يا ابن رسول الله، قلوبهم معك، وسيوفهم عليك مع بني أمية»^(٤). لذا تكون منفعة طلب النصره راجعة إلى الناصر، لا طالب النصره؛ أي: الإمام الحسين عليه السلام، كونه أعلم بمصيره ومصيرهم، فضلاً عن أنّ النصره لم تتعلّق بالفوز العسكري، بل بالخلاص من النار، ومن التورّط بإراقة دمه الطاهر.

(١) البحراني، هاشم، مدينة المعاجز: ج ٤، ص ٢١٤. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٩٧. البحراني، عبد الله، العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٧٠. الصدوق، محمّد بن علي، علل الشرائع: ج ١، ص ٢٢٩.

(٢) الصدر، محمد، أضواء على ثورة الحسين عليه السلام: ص ١٢٠.

(٣) كالفرزدق والطرمّاح.. إلخ

(٤) المرعشي النجفي، شهاب الدين، شرح إحقاق الحق: ج ٢٧، ص ٢٠١. البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٦٥. البحراني، هاشم، مدينة المعاجز: ج ٣، ص ٤٥١.

أمّا أهم المقاصد التي انطوى عليها هذا الاستنصار؛ فهي:

- طلب النصر، لم يكن من المتلقّي الحاضر حصراً، وإنّما ممّن يولد من الأجيال القادمة أيضاً.

- طلب النصر ممّن عاصروا الحدث غايته تذكيرهم بمسؤوليتهم الكبرى في الذبّ عن إمامهم المعصوم، وبذلك يكون موازياً لمضمون ما ورد عن الإمام عليه السلام بقوله: «من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبّه الله على منخره في نار جهنّم»^(١).

- إذا كان الخطاب موجّهاً لأفراد الجيش المعادي، فطلب النصر منهم يستلزم أولاً أن إقامة الحجّة على من سمع الخطاب ولم يجبه، وثانياً يكون سبباً لتوبة من سمع واستجاب لنصرته كما حدث مع الحرّ، والحال أنّهم لم يستجيبوا لأنّهم لم يكونوا مستحقّين التوبة^(٢).

- الاستنصار كان بقصد زيادة رقعة الدم في مسرح الجريمة، والشواهد التاريخية على ذلك كثيرة، مضافاً إلى أنّ طالب النصر كان يُلوّن ذلك المسرح بنفسه «ثم أخذ السهم فأخرجه من قفاه، فانبعث الدم كالميزاب، فوضع يده على الجرح، فلما امتلأت رمى به إلى السماء، فما رجع من ذلك الدم قطرة، وما عرفت الحمره في السماء حتى رمى الحسين عليه السلام بدمه إلى السماء، ثم وضع يده ثانياً فلما امتلأت لطخ بها رأسه ولحيته، وقال: هكذا أكون حتى ألقى جدّي رسول الله، وأنا مخضوب بدمي»^(٣). إذ كلّما زادت

(١) الصدوق، محمّد بن علي، الأمالي: ص ٢١٩. المرعشي النجفي، شهاب الدين، شرح إحقاق الحق: ج ٢٦، ص ٥٣٠. القندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى: ج ٣، ص ٦٣. البحراني، عبد الله، العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ص ١٦٤. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٨٤.

(٢) الصدر، محمد، أضواء على ثورة الإمام الحسين عليه السلام: ص ١٢١.

(٣) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٥٣. البحراني، عبد الله، العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٩٦.

كمية الدماء المراقبة فى طريق مسيرة الاستشهاد، كثر عدد السامعين لذلك النداء الإصلاحى فى الدنيا، واتسع مدى الثورة والاستنهاض^(١).

- خطاب النصرة كان طلباً لمن يقاتل معه، وليس لمن ينقذه من الموت^(٢).

أما فى خطاب الإمام الحسين عليه السلام لمروان ابن الحكم بقوله: «يا ابن الزرقاء، أنت تقتلنى أم هو؟ كذبت والله ولؤمت»^(٣)، فقد تغير موقع الفاعل، إذ جرى الاستفهام على الضمير (أنت) وليس على الفعل، فالإمام متيقن من حتمية وقوع الفعل، وإنما جاء استفهامه استفهاماً إنكارياً على مروان ابن الحكم من أنه يستطيع ضرب عنقه، وهذا الاستفهام استلزم قصداً آخر من هذا الاستنكار وهو إخبار مروان والوليد بأن قتله واستشهاده لا يتحقق على يديهما؛ لذلك أنكر عليهما الفعل، وسلط الاستفهام على الفاعل، كما قد يستلزم - أيضاً - علمه بمن سيقته، والدليل على ذلك مجريات السياق المقامى.

ومن موارد تغيير رتبة الفاعل على فعله فى سياق الإثبات، تقوية الحكم وإزالة الشك من ذهن السامع كقول القائل (هو يغىث الملهوف) لمن يظن أنه لا يفعل، فجاء تقدم الفاعل لإزالة الشك من نفس المتلقي^(٤)، وكذلك للحصر والتخصيص^(٥). ومنه قول الإمام الحسين عليه السلام لرسول ابن سعد حينما سأله عن سبب قدومه إلى العراق: «كتب إلى أهل مصر كم هذا أن أقدم، فأما إذ كرهوني فأنا

(١) المطهرى، مرتضى، الملحة الحسينية: ص ٢١٠ - ٢١١.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢١٢.

(٣) الطبرى، محمد بن جرير، تاريخ الطبرى: ج ٤، ص ٥٤٩.

(٤) يُنظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ج ١، ص ١٠٥. ويُنظر: السامرائي، فاضل، معاني

النحو: ج ١، ص ١٧٣.

(٥) يُنظر: السامرائي، فاضل، معاني النحو: ج ١، ص ١٧١.

أنصرف عنهم^(١) فاستلزم تقديم الفاعل - في كلام الإمام - قصد تقوية الحكم وإزالة الشك والريب من نفس المتلقي، في أنه إذا كرهه القوم فإنه ينصرف ويبتعد عنهم، وإلا فمقتضى السياق يقول: إذا كرهتموني انصرف عنكم.

٤- تغيير رتبة المفعول

إن خرق القاعدة الفرعية يأتي لأغراض قصديّة، وذلك في تقديم المفعول به الذي يحتفظ بموقعية التأخر عن الفاعل^(٢)؛ إذ «الأصل في الكلام أن يأتي العامل (الفعل) ويليه المفعول (الفاعل)؛ لأنه كالجزم من الفعل، ثم يأتي المفعول به؛ لأنه أجنبي بالنسبة للفعل»^(٣)، إلا أنه في بعض الأوقات يخرق المتكلم هذا الانتظام في الملفوظات لقصد يتغيه، ومما يقارب هذا الخرق خطاب الإمام الحسين عليه السلام لعبد الله بن الحرّ الجعفي بقوله: «فإن لم تنصرونا فائق الله أن تكون ممن يقاتلنا، والله لا يسمع واعيتنا»^(٤) أحد ثم لا ينصرونا إلا هلك^(٥) فمسوخ الخرق من قبل المتكلم هو: لما كانت العرب تتحلّى بالشجاعة والمروءة والذبّ عن الحرمات، فهنا أراد الإمام إثارة المشاعر وتحريكها؛ لأهميّة هذه الاعتبارات عند العرب، ولاهتمام الإمام عليه السلام بها أيضاً، فخرج تقديم المفعول به (واعيتنا) على الفاعل (أحد)^(٦)، بقصد التحذير

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣١١.

(٢) يُنظر: بتول قاسم ناصر، دلالة الإعراب لدى النحاة القدماء: ص ١٠٧.

(٣) بدير متولي حميد، لغة الإعراب: ص ٢٢٧.

(٤) الواعية: الصارخة. يُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٤، ص ٨٤، الهامش.

(٥) أبو مخنف الأزدي، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٩٢. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٠٨. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٨٢. الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص ٩٨.

(٦) وهنا استلزم تكرير كلمة (أحد) العموم والإطلاق، أي: أن الكلام لا يخصّ الحرّ فقط، وإنّا يشمل الحاضر والمستقبل.

والتهديد للحرّ من سماع نداء الاستغاثة والنجدة والذبّ عن الحرمات؛ إذ من غير المعقول أن يسمع الحرّ بواعية الحسين عليه السلام دون أن ينتفض لنصرته؛ وهذا ما يُفسّر ندمه فيما بعد ندماً شديداً^(١).

٥- تغيير رتبة جواب الشرط على فعل الشرط

وقال عليه السلام لها عليه السلام: «يا أُخَيَّة، إِنِّي أَقْسَمُ عَلَيْكَ فَأَبْرِي قَسْمِي، لَا تَشْقِيَّ عَلَيَّ جَبِيًّا، وَلَا تَحْمِشِي عَلَيَّ وَجْهًا، وَلَا تَدْعِي عَلَيَّ بِالْوَيْلِ وَالتُّبُورِ إِذَا أَنَا هَلَكْتُ. ثُمَّ جَاءَ بِهَا حَتَّى أَجْلَسَهَا عِنْدِي»^(٢). موضوع الحوار والقصد الذي خرج له هو المواساة لزَيْنَب وأهل بيته.

إلا أن من المهم بيان أن الإمام عليه السلام يخرق هذه القاعدة الفرعية بالشق الأخير من خطابه الذي خرج إلى المواساة والتعزية لأهل بيته ولأخته زَيْنَب، عبر تقديمه جواب الشرط (المؤكد بالحرف المشبه بالفعل (إنّ) والمؤكد بالقسم) على فعل الشرط، يقول: (إِنِّي أَقْسَمُ عَلَيْكَ فَأَبْرِي قَسْمِي، لَا تَشْقِيَّ عَلَيَّ جَبِيًّا، وَلَا تَحْمِشِي عَلَيَّ وَجْهًا، وَلَا تَدْعِي عَلَيَّ بِالْوَيْلِ وَالتُّبُورِ إِذَا أَنَا هَلَكْتُ). وغاية ما تقتضيه هذه القاعدة الفرعية أن يأتي كلام الإمام عليه السلام على النحو الآتي: (إِذَا أَنَا هَلَكْتُ لَا تَشْقِيَّ ...) ولهذا الخرق في ترتيب سياق الملفوظات مسوّغات، منها:

(١) فيالك حسرة مادمت حياً
تردد بين روحي والتراقي
إلى أن يقول:

فقد فاز الأولى نصرُوا حسيناً
وخاب الآخرون ذوو النفاق
المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٣٥٥. البحراني، عبد الله، العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ٦٧٤. المقرّم عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٩٥.
(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام: ص ٤٩٠.

أولاً: الجمع الغفير من أخواته وأهل بيته اللذين ألهمهم أن ينعى الإمام عليه السلام نفسه.
ثانياً: لسان حال السيدة زينب عليها السلام الذي تمثّل بشقّ الجيب، وأنها خرت مغشياً عليها، مما جعل الإمام عليه السلام - على تقدير ثبوت هذا الحدث - يلتفت إلى أنّ سكوته على هذا الفعل يعدّ إمضاءً لفعل السيدة زينب عليها السلام، ومن أهم هذه المقاصد:
أ - رفض الإمام عليه السلام - على تقدير ثبوت هذا الحدث - هذا الفعل الدالّ على قلة الصبر والضعف والانكسار، الذي لا يتناسب مع من سيخلفه في قيادة هذه المسيرة المتمثلة بالسيدة زينب عليها السلام بدليل خطابه المباشر لها (لا تشقي، لا تخمشي، لا تدعي) وإلّا لقال (لا تشقن، لا تخمشن...).

ب - تأكيد الإمام عليه السلام المغلّظ على ترك هذا الفعل وغيره، عن طريق الفعل القضوي الذي دلّت عليه القرينة اللفظية المتمثلة بـ (أنّ) + (الفعل المضارع أقسم) وفعل الأمر (أبرّي)، والذي استلزم فعلاً لغوياً غير مباشر، خرج إلى قصد المواساة والتعزية لها.

ج - هل صدر من السيّدّة زينب عليها السلام أو باقي النساء هذا الفعل؟ وفي الجواب نقول: إنّ هذه الأفعال التي نهى عنها الإمام عليه السلام هي مما تعارف عليها من العادات والتقاليد الاجتماعية في حال المصيبة التي يمتنى بها أصحابها، ويعضد هذا الرأي قول الإمام السجّاد عليه السلام: «وأما عمّتي فلما سمعت ما سمعت، وهي امرأة ومن شأن النساء الرقة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها ... حتى انتهت إليه، وقالت: وا ثكلاه... اليوم ماتت أمّي فاطمة، وأبي علي، وأخي الحسن، يا خليفة الماضي، وثمال الباقي»^(١)، أمّا النهي فقد تعلّق بأفعال تجلّ عنها نساء بيت النبوة؛ كونها لا تنسجم مع هدف خروج الإمام عليه السلام لطلب الإصلاح في أمة جدّه.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٢.

ثالثاً: بيان أهمية التحلي بالصبر وإظهار القوة - أمام الأعداء - المستمدة من قوة الله وعزته، والذي رشح لهذا المعنى تكراره للفظ الجلالة المضاف إلى الفعل، (اتقي، تعزي)، ومن ثم هي أهم وأولى عنده من استشهاده ﷺ، ما جعله يقدم الابتعاد والنهي عن هذه الأفعال، مما يُفضي إلى عدة نقاط مهمة جداً، وهي من الابتلاءات التي استمرت حتى وقتنا هذا:

رابعاً: إن السيدة زينب ﷺ لم يصدر منها أي فعل ينافي ما أكدّه الإمام الحسين ﷺ بعد هذه الوصية التي أوصى بها أهل بيته، بدليل:

أ - مقولتها المشهورة عند حضورها بدن أخيها المشخن بالجراحات من دون رأس «اللهم تقبل منّا هذا القربان».

ب - خطابها في أهل الكوفة وفي مجلس عبيد الله بن زياد وردّها عليه - بعد أن حاول وتجراً بإظهار شتمته بقوله: كيف رأيت صنع الله بكم، فأجابته بكل شجاعة وثبات وعزة - بقولها: «ما رأيت إلا جميلاً».

ج - خطابها في أهل الشام، وردّها على تجاوزات يزيد، بعد أن تطاول على الرأس الشريف للإمام الحسين ﷺ وأخذ يتمثل بأبيات ابن الزبعرى:

ليت أشياخي بيدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

فأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

فقامت زينب بنت علي ﷺ، وقالت: «الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله كذلك يقول ﴿ثُمَّ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ أُسْتُوا السُّوْأَى أَنْ كَذَّبُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾، أظننت - يا يزيد - حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى، أن بنا على الله هواناً، وبك على الله كرامة، فشمخت بأنفك ونظرت إلى عطفك، فمهلاً مهلاً،

نسيت قوله تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ لِيَزِدَّادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، ثم تقول غير متأثم:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

فأهلّوا واستهلّوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تشل

سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون والحمد لله ربّ العالمين



الخاتمة والنتائج

الخاتمة والنتائج

لقد كانت هذه الدراسة المعتمدة في البحث تسعى لأجل استحصال مقاصد خطاب مسيرة الإصلاح، مسيرة الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام وصحبه رضوان الله عليهم في ضوء إحدى آليات المنهج التداولي، فكانت من ثمار هذه الدراسة بعض النتائج التي استطاع الباحث التوصل إليها، وهي:

١. استدلل الباحث على أن مفهوم الاستلزام الحواري ليس وفقاً على دراسات غرايس، بل هو مفهوم قديم تناوله قبله جمهرة من الأصوليين والمناطق.

٢. وجد الباحث أن ما تحلّت به العملية التخاطبية من توفير لاحترام القواعد أو خرقها، لا تستغني عن قاعدة المناسبة أو العلاقة، فهي قطب الرحي بالنسبة لمبدأ التعاون الغرايسي، إذ المناسبة ضرورية وحتمية لنجاح التواصل، سواء حصل الخرق أم لم يحصل، ففي خرق قاعدة المناسبة لا بدّ من وجود مناسبة، وهي بمثابة المسوّغ عند بعضهم، ومن وجهة نظر الباحث هي مناسبة، أما القدر المتيقن مع بقيّة المبادئ والحكم، فهو توفر المناسبة لتحقيق التواصل.

٣. عدم كفاية الدلالة الحرفية لمتوالية النظم في الكشف عن مراد المتكلم وقصده، من غير التعرّف والإحاطة بمجريات السياق الحالي والمقامي التي أنتج فيها الخطاب؛ لما له من تأثير كبير في ديمومة عملية التخاطب.

٤. توصل الباحث إلى أنّ دراسة دلالة الجملة، ودراسة أفعال اللغة، لا يشكّان مجالين مستقلّين، بل مجالاً واحداً؛ فالجملة تعمل دلاليّاً على خلق سلسلة من الأفعال اللّغوية الخاصّة.
٥. إنّ الحوار أو الخطاب عبارة عن سلوك خاضع للقواعد، وما دام كذلك، فإنّه يمتلك سمات صورية - كما يعبر سيرل عن ذلك *Trait Formels* - خاصّة مرتبطة بدراسة مستقلّة.
٦. هناك من الخطابات ما لا يمكن فكّ تشفيرها، واستجلاء مقاصدها الدقيقة إلّا على وفق أدوات المنهج التداولي.
٧. استدلّ الباحث على مقاصد خطاب المسيرة، ولا يمكن أن تتوقّف على مبدأ التعاون الغرايبي فحسب، بل هناك مبدأ آخر يمكن له أن يعضد مبدأ التعاون، وهو مبدأ التأدّب لرويين لاكوف.
٨. فرق الباحث بين الاستلزام الحوارى والاقتضاء التخاطبي، على أنّ الأوّل هو ما يستدلّ عليه من دلالة القول فى ظل السياقات الحالّية والمقاميّة، فى حين أنّ الاقتضاء هو استدعاء أمر خارج المنطوق ويكون إما عقلاً أو شرعاً.
٩. لا يرى الباحث أهمّية لفصل الدراسات الدلالية عن الدراسات التداولية؛ لغياب الثمرة المتوخاة للسبب نفسه فى النتيجة رقم ٣.
١٠. كذلك يجد الباحث أهمّية بالغة فى دراسة التراث الإسلامى العربى دراسة تداولية؛ كونها - أي: التداولية - أقرب إلى فهم ما وراء النص، حيث تنقل المتلقّى البعيد إلى روح ذلك العصر ومجريات أحداثه، لتمكّنه من دراسة الخطاب ضمن محيطه الذى وُلد وأنتج فيه، بخلاف استنطاق التراث استنطاقاً شكلياً لا حياة فيه.

١١. التقيّد بمقولة الكيف من المتكلّم يؤكّد للمتلقّي صدقه فيما يقول، إذ يُعدّ التصريح بخبر ما حينها، تلويحاً معمّماً، ينبئ عن اعتقاد المتكلّم بصدق الخبر.

١٢. توصّل الباحث إلى الدقّة والعمق الكبيرين، اللذين تتصف بهما العملية التواصلية بكل أطرفها، من مرسل ورسالة ومرسل إليه وقناة التواصل والظروف الخارجية والداخلية المحيطة التي تكتنف عملية التحوّل وتضمن سير عملية التواصل على وفق مبدأ التعاون الإبلاغي وقواعده.

١٣. لا يكفي إطاعة الكم في تحقيق التواصل، فقد تطيع قاعدة وتخرق أخرى، وهذا ما توصّل إليه الباحث.

مصادر البحث

* القرآن الكريم.

١. أبحاث في النحو والدلالة، د. السيد خضر، أستاذ اللغويات المساعد، جامعة المنصورة، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
٢. إِبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، الشيخ محمد السماوي (ت ١٣٧٠)، تحقيق: الشيخ محمد جعفر الطبرسي، مطبعة حرس الثورة الإسلامية، الناشر: مركز الدراسات الإسلامية لممثلية الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية، الطبعة الأولى، رمضان المبارك، ١٤١٩ / ١٣٧٧هـ. ش.
٣. الاحتجاج، الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق وتعليق: السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف - العراق، ١٩٦٦م.
٤. الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين الأمدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٨٠م.
٥. الأخلاق الحسينية، جعفر البياضي، شبكة الإمامين الحسينين عليهما السلام للتراث والفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٦. أدعية الصحيفة السجادية دراسة تداولية، عمّار حسن عبد الزهرة، العتبة الحسينية المقدسة (قسم الشؤون الدينية)، كربلاء - العراق، ٢٠١٧م.
٧. الإرشاد، الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لتحقيق التراث، الطبعة الثانية، ١٤١٤ / ١٩٩٣م.

٨. الأزمنة فى اللغة العربية، فريد الدين آيدن، دار العبر للطباعة والنشر، إسطنبول- تركيا، ١٩٩٧م.
٩. الأساليب الإنشائية فى النحو العربى، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجى، القاهرة- مصر، الطبعة الخامسة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
١٠. أساليب التأكيد فى اللغة العربية، الياس ديب، دار الفكر اللبنانى، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.
١١. أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، الدكتور قيس إسماعيل الأوسى، (د. ط)، المكتبة الوطنية، بغداد- العراق، ١٩٨٨م.
١٢. استراتيجيات الخطاب، عبد الهادى بن ظافر الشهرى، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
١٣. الاستلزام الحوارى فى التداول اللسانى، العياشى أدرائى، الطبعة الأولى، منشورات الاختلاف، الجزائر، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
١٤. أسد الغابة فى معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير، تحقيق وتعليق: الشيخ على محمد عوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٧١م.
١٥. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧٤ أو ٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدنى بجدة، مطبعة المدنى، القاهرة- مصر، (د. ت).
١٦. أسرار الشهادة، آغا بن عابد الشيروانى الدربندى، شركة المصطفى، البحرين، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
١٧. الإصابة فى تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلانى، الطبعة الأولى، دار العلوم الحديثة، مصر، ١٣٢٨هـ.

١٨. أصول الفقه، محمد رضا المظفر، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامية، جامعة المدرسين، قم - إيران، الطبعة السابعة، ١٤٣٤هـ.ش.
١٩. أضواء على ثورة الحسين، السيّد محمد الصدر، مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، الطبعة الأولى، قم - إيران، ١٤٢٧هـ.
٢٠. أضواء على منبر الصدر، تحقيق وتعليق: عبد الرزاق الندائي، الطبعة الأولى، مركز الدراسات التخصصية في فكر السيّد الشهيد محمد الصدر، ١٤٣٠هـ.
٢١. إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين (مختارات معربة)، المنطق والمحاثّة، بول غرايس، ترجمة محمد الشيباني، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، ٢٠١٢م.
٢٢. الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، بيروت - لبنان، ٢٠٠٢م.
٢٣. أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ) تحقيق وتخرّيج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣/١٤٠٣م.
٢٤. آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، الدكتور محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م.
٢٥. الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة (دراسة دلالية ومعجم سياقي)، علي محمود حجي الصرّاف، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
٢٦. إقبال الأعمال، السيّد ابن طاووس (ت ٦٦٤)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، محرم الحرام ١٤١٦هـ.

٢٧. الإكسير في علم التفسير، الفقيه العالم الصوفي سليمان عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي (ت ٧١٦هـ)، تحقيق عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.

٢٨. الأمالي، الشيخ محمد بن علي الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٩. الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

٣٠. الإنشاء في العربية بين التراكيب والدلالة (دراسة نحوية تداولية)، خالد ميلاد، نشر مشترك، جامعة منوبة، كلية الآداب، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٣١. الأنوار العلوية، جعفر النقدي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق، الطبعة الثانية، ١٩٦٢م

٣٢. أنواع الربيع في أنواع البديع، علي بن أحمد بن محمد بن معصوم، تحقيق: شاهر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف - العراق، الطبعة الأولى، (د.ت).

٣٣. أهل البيت (عليهم السلام) في الكتاب والسنة، محمد الريشهري، تحقيق: دار الحديث، الطبعة الثانية، ١٣٧٥ش.

٣٤. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، أحمد بن محمد القزويني (ت ٧٣٩هـ)، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٣٥. الإيضاح، الفضل بن شاذان الأزدي (ت ٢٦٠هـ)، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان د.ط، مؤسسة انتشارات وچاپ دانشگاه تهران، ١٣٦٣هـ.ش.

٣٦. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية المصححة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
٣٧. بحوث لغوية، أحمد مطلوب، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان - الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
٣٨. براهين الحج للفقهاء والحجج، المدني الكاشاني (ت ١٣٦)، مكتب المنشورات الإسلامية، المدرسة العلمية لآية الله العظمى المدني، كاشان - إيران، الطبعة الثالثة، جمادي الأولى ١٤١١هـ.
٣٩. البرهان في تفسير القرآن، السيّد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم - إيران، (د.ت).
٤٠. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
٤١. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: د. عبد المتعال الصعيدي، منشورات مكتبة الآداب القاهرة، القاهرة - مصر، الطبعة السابعة عشرة، ٢٠٠٥م.
٤٢. بلاغات النساء: ابن طيفور (ت ٣٨٠هـ)، الناشر، مكتبة بصيرتي. قم المقدسة - إيران، (د.ت).
٤٣. بلاغة الإمام علي بن الحسين عليه السلام، جعفر عباس الحائري، تحقيق: جعفر عباس الحائري، دار الحديث للطباعة والنشر، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ / ١٣٨٣هـ.ش.
٤٤. بلاغة التراكيب (دراسة في علم المعاني): توفيق الفيل، مكتبة الآداب القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

٤٥. البلاغة الحديثة فى ضوء المنهج الإسلامى، د. محمود البستاني دار الفقه للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٤٦. البلاغة العالية (علم المعاني)، عبد المتعال الصعیدی، مكتب الأداب، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية، ١٩٩١م

٤٧. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها صور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، عبد الرحمن حسن جنكة الميداني، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق - سورية، ١٩٩٦م.

٤٨. البلاغة الواضحة، علي الجارم، مصطفى أمين، دار المعارف، ٢٠١١م.

٤٩. البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة ناشرون، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٥٠. بنية اللغة الشعرية، جان كوهين، ترجمة: عبد الولي ومحمد العمري، دار تويقال للنشر، الدار البيضاء - المغرب.

٥١. البيان والتبيين، الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ/ ١٩٨٩م.

٥٢. بين المنبر والنهضة الحسينية، مرتضى المطهري، سلسلة وراث وأثار الشهيد مرتضى مطهري، دار الإرشاد للطباعة والنشر، طهران - إيران، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٥٣. تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق ومراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ملاحظة: قوبلت هذه الطبعة على النسخة المطبوعة بمطبعة "بريل" بمدينة لندن، ١٨٧٩م.

٥٤. تاريخ يعقوبي: يعقوبي، دار صادر، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت).
٥٥. التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، محمد بن الحسن، تدقيق وتحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير، مكتب الإعلام الإسلامي العاملي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
٥٦. النداوليات علم استعمال اللغة، اعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتاب الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
٥٧. النداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن ريبول، وجاك موشلر، ترجمة د. سيف الدين دغفوس، د. محمد الشيباني، مراجعة د. لطيق زيتوني، دار الطليعة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
٥٨. التذكرة الحمدونية، ابن حمدون (ت ٥٦٢)، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
٥٩. ترتيب إصلاح المنطق، ابن السكيت الاهوازي (ت ٢٤٤هـ)، تحقيق ترتيب وتقديم وتعليق: الشيخ محمد حسن بكائي، مؤسسة الطبع والنشر في استانة الرضوية المقدسة، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد - ايران الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٦٠. التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية من مكة إلى المدينة، هادي سعدون هنون، (د، ط)، مكتبة العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف - العراق، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
٦١. التصوير المجازي أنماط ودلالات في مشاهد القيامة في القرآن، أياد عبد الودود، عثمان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
٦٢. تعليقة على معالم الأصول، السيّد علي الموسوي القزويني (ت ١٢٩٨هـ)،

تحقيق: السيّد علي العلوي القزويني، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٦٣. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، تحقيق: السيّد هاشم الرسولي

المحلاقي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ

٦٤. تفسير القمّي، أبو الحسن علي بن إبراهيم، صححه وعلق عليه وقدم له

السيّد طيب الموسوي الجزائري، دار السرور، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى،

١٩٩١م

٦٥. تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، محمد بن محمد رضا المشهدي، المكتبة

الشاملة، (د.ط.).

٦٦. تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء

والمحققين الأخصائيين، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٦٧. تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي (ت ١١١٢هـ)، تحقيق وتصحيح

وتعليق: السيّد هاشم الرسولي المحلاقي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر

والتوزيع، قم - إيران، الطبعة الرابعة، ١٤١٢ - ١٣٧٠هـ. ش.

٦٨. تنقيح المقال في علم الرجال، عبد الله المامقاني، تحقيق واستدراك الشيخ

محيي الدين المامقاني، مؤسسة أهل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ١٣٥١هـ

٦٩. تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة

الأولى، ١٩٩٣م.

٧٠. الثاقب في المناقب، محمد بن علي ابن حمزة الطوسي، تحقيق: نبيل رضا

علوان، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ

٧١. جامع أحاديث الشيعة، السيّد البروجردي (ت ١٣٨٣)، (د.ط)، مطبعة

المهر، قم - إيران، ١٤٠٩هـ / ١٣٦٧هـ. ش.

٧٢. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت (ت ١٣٥٢هـ)، محمود نصار الحلبي - شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م.
٧٣. الجنى الداني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.
٧٤. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان.
٧٥. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني (ت ٨٧١هـ)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
٧٦. حاشية الخضري على ابن عقيل، محمد بن مصطفى الخضري، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة - مصر (د.ط)، (د.ت).
٧٧. حاشية الدسوقي على شرح السعد (١٢٣٠هـ - ١٨١٥م) مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، (د.ت).
٧٨. حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، محمد بن علي الصبان، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة - مصر، المكتبة التوفيقية.
٧٩. الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية تطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، أربد - الأردن، ٢٠١٠ م.
٨٠. الحداثة، العولمة، الإرهاب في ميزان النهضة الحسينية، الشيخ محمد السند، تحقيق: الشيخ علي الأسدي، باقيات - وفا، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.

٨١. الحديث النبوى بين الرواية والدراية، الشيخ السبحانى، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، اعتماد، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.

٨٢. الحوار ومنهجية التفكير النقدي، حسن الباهي، إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٤ م.

٨٣. حياة الإمام الحسين (دراسة وتحليل)، باقر شريف القرشي، قسم الشؤون الفكرية فى العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨ م.

٨٤. الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندى، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.

٨٥. خصائص الأئمة عليهم السلام، السيد محمد بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي (الشريف الرضي) (ت ٤٠٦ هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد هادي الأميني، (د. ط)، مجمع البحوث الرضوية، الاستانة الرضوية المقدسة، مشهد - إيران، ١٤٠٦ هـ.

٨٦. الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة - مصر، ١٩٥٢ م.

٨٧. الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الاضماري (من التجريد إلى التوليد) توليد المعاني المضمرة وفق انحاءها الملائمة، الأستاذ الدكتور بنعيسى أزايط، أستاذ التعليم العالي، كلية الاداب والعلوم الإنسانية جامعة مولاي إسماعيل، المغرب، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٢ م.

٨٨. الدر المنثور فى التفسير المأثور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠١٥ م.

٨٩. دستور الصدر مجموعة خطب الجمعة التي القاها السيّد الصدر في مسجد الكوفة، تقرير إسماعيل الوائلي، الطبعة الأولى، مكتبة دار المجتبي، النجف - العراق، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.
٩٠. دلالة الإعراب لدى النحاة القدماء: د. بتول قاسم ناصر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م.
٩١. دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٤ م.
٩٢. دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن صالح الفوزان، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م.
٩٣. ديناميّة النصّ (تنظير وإيجاز)، محمّد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.
٩٤. ديوان النابعة الذبياني، مطبعة الهلال بالفجالة بمصر، (د. ط)، ١٩١١ م.
٩٥. رجال الشيخ الطوسي، محمّد بن الحسن الطوسي، تحقيق جواد القيومي الإصفهاني، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٩٦. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، شهاب الدين الآلوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٩٧. روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمّد تقي المجلسي (الأوّل) (١٠٧٠هـ)، نمقه وعلّق عليه وأشرف على طبعه: السيد حسين الموسوي الكرمانى والشيخ علي پناه الإشتهاردي، الناشر: بنياد فرهنگ إسلامي حاج محمّد حسين كوشانيور.
٩٨. روضة الواعظين، الفتال النيسابوري (ت ٥٠٨)، تحقيق وتقديم: السيّد

محمد مهدي السيد حسن الخرسان، الناشر: منشورات الشريف الرضي، قم - إيران، (د. ط)، (د. ت).

٩٩. رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين الإمام علي بن الحسين عليه السلام، العلامة الأريب والفاضل الأديب السيد علي خان الحسيني المدني الشيرازي (ت ١٢٠ هـ) تحقيق: السيد محسن الحسيني الأمين، مؤسسة النشر الإسلامية التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، قم - إيران، الطبعة السابعة، ١٤٣٢ هـ.

١٠٠. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (ت ٥٩٧ هـ)، حققه وكتب هوامشه: محمد عبد الرحمن عبد الله، خرّج أحاديثه: السعيد بسيوني زغلول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

١٠١. زبدة التفاسير، الملائكة فتح الله الكاشاني، تحقيق: مؤسسة المعارف، قم إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ ش

١٠٢. زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت ٤٥٣ هـ) تحقيق مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم: الدكتور زكي مبارك، حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل - للنشر والتوزيع والطباعة، مكتبة المحتسب، عمان، الطبعة الرابعة، ١٩٧٢ م.

١٠٣. زهر الربيع في شواهد البديع، ناصر الدين محمد بن قرقمّاس، تحقيق: الدكتور مهدي أسعد عرار، دار الكتب العلمية، محمد علي بيضون، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.

١٠٤. زينب والظالمون: محسن المعلم، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت -

- لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
١٠٥. سنن أبي داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
١٠٦. سير الأعلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
١٠٧. السيرة النبوية، ابن هشام الحميري، حققها وشرحها مصطفى السقا إبراهيم الآياري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٩٧٥م
١٠٨. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد العكري الحنبلي، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
١٠٩. شرح إحقاق الحق، السيّد المرعشي (ت ١٤١١هـ)، تحقيق: السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي، (دط. دت)، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم - إيران.
١١٠. شرح الدماميني على مغني اللبيب، الإمام محمد بن أبي بكر الدماميني (ت ٨٢٨هـ)، صححه وعلق عليه: أحمد عزو عناية، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
١١١. شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاسترابادي (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق يوسف حسن عمر، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، مؤسسة الصادق، طهران - إيران، (د.ط)، وبنغازي - ليبيا، منشورات جامعة قار يونس، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.
١١٢. الشعائر الحسينية بين الاصاله والتجديد، (محاضرات) محمد السند؛ بقلم: رياض الموسوي، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء - العراق، ١٤٣٢هـ/

٢٠١١م

١١٣. الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: مصطفى الشويمي - بدران للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م.

١١٤. الصحاح، الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين / بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، والطبعة الأولى، القاهرة - مصر، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م.

١١٥. الصحيح من مقتل سيد الشهداء وأصحابه، محمد الري شهري، بمساعدة محمود الطباطبائي نژاد، روح الله السيد الطباطبائي، مؤسسة دار الحديث العلمية والثقافية مركز الطباعة والنشر، قم - إيران، ١٤٣٤هـ / ١٣٩٢ش.

١١٦. صحيفة الحسين جمع الشيخ جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ.ش.

١١٧. الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا - لبنان، ١٩٨٦م.

١١٨. عاشوراء ثقافة النهضة والبناء، حسن بن موسى الصفار، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.

١١٩. علل الشرايع، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق وتقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف - العراق، (د.ط.).

١٢٠. علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، بحث منال

- النجار في كتاب التداويلات، عالم الكتاب الجديد، أربد - الأردن، ٢٠١١م.
١٢١. علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار الافاق العربية، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة - مصر، (د. ط)، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٤م.
١٢٢. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.
١٢٣. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام الشيخ عبد الله البحراني (ت ١١٣٠هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى المحققة، ١٤٠٧هـ / ١٣٦٥هـ. ش، المطبعة: أمير، الناشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام بالحوزة العلمية، قم - إيران.
١٢٤. عيون أخبار الرضا، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
١٢٥. الغدير، الشيخ الأمين (ت ١٣٩٢هـ)، مصادر الحديث الشيعية - القسم العام، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
١٢٦. فتاوى السبكي، السبكي (٧٥٦هـ)، دار المعرفة، بيروت - لبنان، (د. ط)، (د. ت).
١٢٧. الفتوح: أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
١٢٨. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي بقم المقدسة، الطبعة الأولى، شوال المكرم ١٤١٢هـ.

١٢٩. فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق: د. فائز محمّد، مراجعة: د. إميل يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٦ / ١٩٩٦ م.

١٣٠. فلسفة البلاغة بين التقنية والتطوير، رجاء عيد، منشآت المعارف، مصر. الطبعة الثانية، ١٩٨٨ م

١٣١. الفلسفة واللغة - نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، د. الزواوي بغورة، دار الطليعة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م.

١٣٢. في النحو العربي.. نقد وتوجيه، الدكتور مهدي المخزومي، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الثانية، بغداد - العراق، ٢٠٠٥ م.

١٣٣. في رحاب عاشوراء، الشيخ محمّد مهدي الآصفي، مجمع أهل البيت عليه السلام في العراق، النجف الأشرف - العراق، الطبعة الثانية، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.

١٣٤. في ظلال نهج البلاغة، محمّد جواد مغنية، مطبعة ستار، انتشارات كلمة الحق، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ.

١٣٥. في نظرية الأدب وعلم النص بحوث وقراءات، إبراهيم خليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م.

١٣٦. القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر - آن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، المركز الوطني للترجمة تونس، دار سيناترا، ٢٠١٠ م.

١٣٧. قوانين الخطاب، أوزالد ديكر، ترجمة: محمّد الشيباني وسيف الدين دغفوس، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، ٢٠١٢ م

١٣٨. الكافي، الشيخ الكليني، تحقيق وصححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة الرابعة، زمستان ١٣٦٥ هـ.ش.

١٣٩. كامل الزيارات، الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: جواد القيومي، لجنة التحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٤٠. الكامل في التاريخ، ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

١٤١. كتاب الأفعال، أبو بكر محمد ابن القوطية، تحقيق: علي فودة، مكتبة الخانجي، القاهرة، - مصر، الطبعة الأولى، ١٩٥٢م.

١٤٢. كتاب الحيوان، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٨م.

١٤٣. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي، الناشر: مؤسسة دار الهجرة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

١٤٤. كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو بشر الملقب بسيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، والطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٤٥. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، الناشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم، خلفاء، (د. ط)، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.

١٤٦. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقى المصرى (ت ٧١١هـ)، نشر
أدب الحوزة، قم، (د. ط)، ١٤٠٥هـ.

١٤٧. اللسان والميزان أو التكوثر العقلى، طه عبد الرحمن، المركز الثقافى العربى
للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

١٤٨. اللسانيات الوظيفية المقارنة (دراسة فى التنميط والتطوير)، أحمد المتوكل،
دار الكتاب الجديد، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م

١٤٩. اللسانيات الوظيفية المقارنة دراسة فى التنميط والتطور، أحمد المتوكل، دار
الأمان الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الطبعة الأولى،
٢٠١٢م.

١٥٠. لغة الإعراب، بدير متولى حميد، دار المعرفة، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
١٥١. اللغة العربية معناها ومبناها، الدكتور تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة -
مصر، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

١٥٢. اللغة، جوزيف فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص،
(د. ط)، مطبعة لجنة البيان العربى، القاهرة - مصر، ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م.

١٥٣. لماذا اخترت مذهب أهل البيت، الشيخ محمد مرعى الأنطاكي
(ت ١٣٨٣هـ)، تحقيق الشيخ عبد الكريم العقيلي، من مؤلفات المستبصرين،
مطبعة مكتب الإعلام الإسلامى، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام
الإسلامى، الطبعة الأولى، ١٤١٧ / ١٣٧٥هـ. ش.

١٥٤. اللهوف فى قتلى الطفوف، ابن طاووس، مؤسسة الأعلمى، بيروت -
لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م

١٥٥. لواجع الأشجان، محسن الأمين، تحقيق: السيد حسين الأمين، دار الأمير،
بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

١٥٦. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه: دكتور احمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة - مصر، (د.ت).
١٥٧. مثير الاحزان، ابن نما الحلي (ت ٦٤٥هـ) المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق، ١٣٦٩ / ١٩٥٠ م.
١٥٨. المجالس العاشورية في المآتم الحسينية، الشيخ عبد الله ابن الحاج حسن آل درويش، ستاره، انتشارات أهل الذكر، قم - ايران، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
١٥٩. مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
١٦٠. مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، تحقيق: السيّد أحمد الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
١٦١. مجمع الزوائد، الهيثمي، (ت ٨٠٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، د. ط، ١٤٠٨ / ١٩٨٨ م.
١٦٢. محاضرات في فلسفة اللغة، عادل فاخوري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٣ م.
١٦٣. المحلى بالآثار، ابن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ) دار الفكر، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت).
١٦٤. مدخل إلى الدراسة التداولية، مبدأ التعاون ونظرية الملاءمة والتأويل، فرانيسكو يوس راموس، ترجمة وتقديم: يحيى حمدان، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع العراق، الطبعة الأولى، ٢٠١٤ م.
١٦٥. مدينة معاجز الأئمة الإثني عشر ودلائل الحجج على البشر، السيّد هاشم البحراني، الشيخ عزة الله المولائي الهمداني، دار المعارف الإسلامية، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٣ م.

١٦٦. مرآة الجنان وعبرة اليقضان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، عبد الله ابن أسعد اليافعى اليمنى، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.
١٦٧. مسند ابن المبارك، عبد الله بن المبارك (ت ١٨١هـ)، تحقيق: د. مصطفى عثمان محمد، مصادر الحديث السنّية - القسم العام، الطبعة الأولى، ١٤١١ - ١٩٩١م.

١٦٨. مصباح الهداية فى إثبات الولاية، السيّد علي البهبهاني (ت ١٣٥٠)، تحقيق وإشراف: رضا الأستاذى الناشر: مدرسة دار العلم - أهواز، المطبعة: سلمان الفارسى، قم - إيران، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.

١٦٩. معالم المدرستين، السيّد مرتضى العسكري، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

١٧٠. معاني النحو فاضل السامرائى، دار احياء التراث العربى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

١٧١. المعتبر فى شرح المختصر، جعفر بن الحسن الحليّ، مؤسسة سيّد الشهداء، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ ق

١٧٢. المعجم الأصولى، الشيخ محمّد صنقور عليّ، مطبعة عترت، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١٧٣. المعجم الكبير، الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق وتخرىج: حمدي عبد المجيد السلفى، دار إحياء التراث العربى، (د.ط)، (د.ت).

١٧٤. المعجم الوافى فى أدوات النحو العربى، صنفه د. علي توفيق الحمد، يوسف جميل الزغبى، دار الامل، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

١٧٥. معجم رجال الحديث، السيّد الخوئى (١٤١٣هـ)، الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

١٧٦. معجم مقاييس اللغة، لأبي أحمد بن فارس بن زكريا ٣٩٥هـ، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت).

١٧٧. مغامرة النص من النحو إلى التداولية، قراءة في شروح التلخيص، للخطيب القزويني، صابر حباشة الاصدار الأول، صفحات للدراسة والنشر، دمشق - سورية، ٢٠١١م.

١٧٨. مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، الإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، المصري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدائن - القاهرة، الطبعة الأولى، (د.ت).

١٧٩. مفتاح العلوم، يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٨٠. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، سليمان زاده، طليعة النور، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.

١٨١. مقاتل الطالبين أبي فرج الاصفهاني (ت ٦١٠هـ)، تحقيق، تقديم وإشراف: كاظم المظفر، الناشر: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعاتها، النجف الأشرف - العراق، الطبعة الثانية، ١٣٨٥/ ١٩٦٥م.

١٨٢. المقتصد في شرح الإيضاح، الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: الدكتور كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، (د.ط)، ١٩٨٢م.

١٨٣. المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق

عظيمة، القاهرة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الطبعة الثانية،
١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

١٨٤. مقتل الحسين، السيد عبد الرزاق المقرم منشورات النور بيروت - لبنان،
الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٨٥. مقتل الحسين عليه السلام، أبو مخنف الأزدي (ت ١٥٧هـ)، تحقيق وتعليق: حسين
الغفاري، (د.ط)، (د.ت)، مطبعة العلمية، قم - إيران.

١٨٦. مقتل الحسين عليه السلام، الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي، مؤسسة أنوار الهدى،
قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٨٧. الملحة الحسينية، الشيخ مرتضى المطهري، تعريب: السيد محمد صادق
الحسيني، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة
الرابعة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٨٨. من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام، عبد العظيم المهدي البحراني، انتشارات
شريف الرضي، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٨٩. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، تصحيح وشرح
ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، (د. ط)، المكتبة الحيدرية،
النجف الأشرف - العراق، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.

١٩٠. مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، محمد بن سليمان
الكوفي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١٢هـ.

١٩١. منبر الصدر، السيد محمد صادق الصدر، مؤسسة إحياء الكتب
الإسلامية، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٩٢. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن ابن الجوزي، الطبعة الثانية،
١٩٩٥م.

١٩٣. مواهب الفتح على تلخيص المفتاح، جلال الدين القزويني، ابن يعقوب المغربي (ت ١١٦٨هـ)، المكتبة العصرية، (د.ط)، ٢٠٠٦م.
١٩٤. موسوعة شهادة المعصومين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، اعتماد، قم - إيران، انتشارات نور سجا، الطبعة الأولى، ١٣٨١ش.
١٩٥. موسوعة كلمات الحسين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، دار المعروف للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، ١٤١٦/ ١٩٩٥م.
١٩٦. موسوعة من حياة المستبصرين، مركز الأبحاث العقائدية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
١٩٧. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الإمام المنتظر عليه السلام، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
١٩٨. نثر الدر في المحاضرات، سعد منصور الآبي، تحقيق خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
١٩٩. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٤م.
٢٠٠. نزهة الناظر وتبئيه خاطر، الحلواني، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٢٠١. النص والسياق، فان دايك، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت - لبنان، ٢٠٠٠م.
٢٠٢. النصائح الكافية، سيد محمد بن عقيل العلوي (ت ١٣٥٠هـ) المجموعة: مصادر سيرة النبي صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام، دار الثقافة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، قم - إيران، ١٤١٢هـ.
٢٠٣. نظرية التلويح الحوارية، بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، هاشم عبد الله الخليفة، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة العالمية للنشر لونغمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

٢٠٤. نظرية الصلة أو المناسبة فى التواصل الإدراكى، دان سبىرر وديدرى ولسون، ترجمة: هاشم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

٢٠٥. نظرية المعنى فى فلسفة بول غرايس، صلاح اسماعيل، الدار المصرية السعودية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٢٠٦. نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق وشرح: الشيخ محمد عبده، دار الذخائر، الطبعة الأولى، قم - إيران، ١٤١٢هـ / ١٣٧٠هـ. ش.

٢٠٧. الهداية فى الأصول والفروع، محمد بن علي الصدوق، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٠٨. همع الهوامع شرح جمع الجوامع فى علم العربية، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تصحيح محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، (د. ت).

٢٠٩. الوظائف التداولية فى اللغة العربية، أحمد المتوكل، الدار البيضاء المغرب، دار الثقافة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢١٠. ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي (ت ١٢٩٤هـ) مصادر سيرة النبي صلى الله عليه وآله والائمة عليه السلام، تحقيق: السيد علي جمال أشرف الحسيني، مطبعة أسوه، الناشر: دار الأسوة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

الرسائل والأطاريح الجامعية

٢١١. أساليب الاستفهام فى القرآن الكريم، فودة عبد العليم السيد، (رسالة ماجستير)، نشرت ككتاب من قبل المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الإجتماعية، جامعة القاهرة، ١٩٥٣م.

٢١٢. أساليب التعجب في القرآن الكريم - دراسة دلالية، حاتم حسين علي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٢١٣. الجمل في النحو لأبي بكر أحمد بن الحسن بن شقير النحوي البغدادي (ت ٣١٧هـ)، تحقيقاً ودراسةً، علي بن سلطان الحكمي، (رسالة ماجستير) بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، (د.ت).
٢١٤. خطب سيدات البيت العلوي حتى نهاية القرن الأول الهجري، (دراسة موضوعية فنية) زينب عبد الله كاظم الموسوي (رسالة ماجستير)، جامعة الكوفة، كلية الآداب.
٢١٥. شعر أبي نواس دراسة تداولية، أطروحة دكتوراه تقدم بها الطالب حسين عمران محمد، لجامعة ديالى، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.
٢١٦. طرق التضمن الدلالي والتداولي في اللغة العربية وآليات الاستدلال، إدريس سرحان، أطروحة دكتوراه، اللغة العربية وآدابها، جامعة السيد محمد بن عبد الله، فاس، ٢٠٠٠م.
٢١٧. كلام الإمام الحسين مقارنة تداولية، عماد طالب موسى جاسم، (رسالة ماجستير) كلية التربية جامعة كربلاء، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.
٢١٨. المعنى المضمّر في الخطاب اللغوي العربي والقيمة التنجيزية: مقارنة تداولية لسانية (أطروحة دكتوراه الدولة)، أزييط بنعيسى.
٢١٩. نثر الإمام الحسين عليه السلام دراسة بلاغية، ميثم قيس مطلق، (رسالة ماجستير) آداب اللغة العربية، كلية التربية - جامعة القادسية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
٢٢٠. الوظيفة في كتاب سيبويه، رجاء عجيل إبراهيم، أطروحة دكتوراه تقدمت بها الباحثة لجامعة كربلاء، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

المجلات

٢٢١. أثر كربلاء فى خطابة آل البيت والتواوين - رؤية عناصر الواقعة واللغة الفنية، بحث منشور فى مجلة المنهاج، عدد ٥ - ٦، السنة الثانية.
٢٢٢. اسم الفعل دراسة وتيسير، د. سليم النعيمي، بحث منشور فى مجلة المجمع العلمى العراقى، مجلد ١٦، ١٩٦٩م.
٢٢٣. الأفعال الكلامية عند الأصوليين، دراسة فى ضوء اللسانيات التداولية، مسعود صحراوى مجلة اللغة العربية، مجلة نصف سنوية، عدد ١٠، الأبيار - الجزائر، خريف ٢٠١٤م.
٢٢٤. بحث ظاهرة الاستلزام التخاطبى فى التراث اللسانى، أ. كادة لىلى، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد الأول، ٢٠٠٩م
٢٢٥. بحث نظرية كرايس والبلاغة العربية، أزييط بنعيسى، مجلة كلية الآداب، مكناس، عدد ١٣، ١٩٩٩م.
٢٢٦. بحث وظائف البعثات الدبلوماسية، عبد الحكيم سليمان وادى، المبحث الثانى الوظيفة الدبلوماسية: <https://lpulpit.alwatanvoice.Com/articles>.
٢٢٧. التحليل التداولى للخطاب السياسى، ذهبية همو الحاج، مجلة الخطاب، عدد ١، ٢٠٠٦م.
٢٢٨. التداولية فى البحث اللغوى النقدى، مجموعة من الباحثين، تحرير، د. بشرى البستانى، مجلة الآن، العدد ٣، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن - بريطانيا، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.
٢٢٩. الثقافة العربية وعصر المعلومات: د. نبيل على، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٢٦٥، الكويت، يناير ٢٠٠١م.

٢٣٠. القصديّة من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة، الأستاذة وشن دلال، مجلّة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خضير، بسكرة -
الجزائر، جانفي، عدد ٦، ٢٠١٠م.
٢٣١. مقدمة في علم التفاوض السياسي والاجتماعي، حسن محمد وجيه، عالم
المعرفة، عدد ١٩٠.
٢٣٢. نحو مقارنة حاجية للاستعارة، أبو بكر العزاوي، مجلّة المناظرة،
المغرب، السنة الثانية، عدد ٤، شوال ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.
٢٣٣. نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والاجراء، دور السياق في حل
مشكلات المعنى، عبد القادر بن فرح، مجلّة الآن، عدد ٥، الطبعة الأولى،
٢٠١٥م.

المصادر الاجنبية

٢٣٤. H.P GRICE, (Logic and conversation), in conditionals, Edited by
Frank Jackson, chapter ٨, Oxford University press, New York ١٩٩١
٢٣٥. Jackson, chapter ٨, pp. ١٥٥ - ١٧٥. Oxford University press, New
York ١٩٩١

الفهرست

الإهداء	٩
شكر وعرفان	١١
مقدمة المؤسسة	١٣
مقدمة قسم الرسائل والأطاريح الجامعية	٢٥
المقدمة	٢٧
التمهيد: الاستلزام الحواري النشأة والمفهوم	٣٥
أولاً: نشأة الاستلزام الحواري	٣٥
ثانياً: مفهوم الاستلزام الحواري	٣٩
ثالثاً: مفهوم الاستلزام اللغوي العام <i>Generalized</i>	٤٦
الاستلزام التخاطبي الخاص	٦١

الفصل الأول

الاستلزام الحواري في ضوء قاعدة الكم

المبحث الأول: احترام قاعدة الكم في ضوء مبدأ التعاون الإبلاغي	٦٥
مدخل	٦٥
قاعدة الكم	٦٦
أولاً: توجي الدقة الموضوعية في الحوار	٦٦
ثانياً: الالتزام بوحدة الموضوع وكميته	٧٥
ثالثاً: احترام الكم في ضوء وحدة الموضوع، ودقة المعلومات	٧٩

- ١ - حوارية مسلم بن عقيل وابن زياد^٥ ٧٩
- ٢ - حوارية الإمام الحسين عليه السلام مع الحصين ٨١
- ٣ - حوارية الإمام الحسين عليه السلام مع قاتليه ٨٤
- المبحث الثاني: خرق قاعدة الكم ٩١
- المستوى الأول: الخرق بتقديم معلومات أكثر مما يتطلبه المقام ٩٢
- المحور الأول: محور التعارف الصوري الشكلي، فالإمام عليه السلام أعرف الناس بقاتله ٩٥
- أ - مقصدية النداء ٩٥
- ب - مقصدية القولة الخبرية ٩٧
- ج - مقصدية التعريف بالاسم الموصول ٩٧
- المحور الثاني: محور التحقق من فعل الشمر ٩٩
- المحور الثالث: محور الكشف عن صفات الفاعل (الشمر) ١٠٣
- المستوى الثاني: الخرق المختزل لقاعدة الكم ١٠٨

الفصل الثاني

الاستلزام الحواري في ضوء قاعدة الكيف

- المبحث الأول: احترام قاعدة الكيف (MAXIM OF QUALITY) ١١٥
- أولاً: توخي الصدق والاعتقاد في كل ما ينقل ويقال ١١٦
- أ - مقصدية التوجيه ١١٩
- ١ / خطاب الإمام الحسين عليه السلام مع القوم ١١٩
- ٢ / موقف الأنصار مع الحسين عليه السلام ١٢٤
- ٣ / حوارية مسلم بن عقيل عليه السلام وابن زياد^٥ ١٢٦
- ب - التزام الوضوح في تقديم الملفوظات ١٢٧

الفهرست ٣١٥

المبحث الثاني: خرق قاعدة الكيف	١٣٥
أولاً: التشبيه	١٣٧
ثانياً: الاستعارة	١٥٦
ثالثاً: الكناية	١٦٧

الفصل الثالث

الاستلزام الحوارى فى ضوء قاعدة الملاءمة

المبحث الأول: احترام قاعدة الملاءمة	١٧٥
أولاً: حوارية الإمام الحسين عليه السلام	١٧٧
ثانياً: خطاب سيدنا العباس عليه السلام محدثاً نفسه	١٨٢
ثالثاً: خطاب بربر بن خضير لأهل الكوفة	١٨٣
رابعاً: حوار الإمام الحسين مع زينب عليها السلام	١٨٥
خامساً: خطاب السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليها السلام لأهل الكوفة	١٨٧
سادساً: خطاب السيدة زينب عليها السلام أمام أهل الكوفة	١٨٨
سابعاً: خطاب السيدة أم كلثوم عليها السلام فى أهل الكوفة	١٨٩
ثامناً: حوارية الإمام الحسين عليه السلام مع الطرمّاح بن عدي الطائي	١٩٠
تاسعاً: حوارية مبعوث قيصر الروم مع يزيد ^٥	١٩٥
المبحث الثاني: خرق قاعدة الملاءمة	٢٠١
الأول: خرق مقتضيات السياق المقامى	٢٠٢
الثاني: خرق مبدأ الملاءمة حوارياً	٢٠٩

الفصل الرابع

الاستلزام الحوارى فى ضوء قاعدة الطريقة

المبحث الأول: احترام قاعدة الطريقة (الكيفية أو الجهة)	٢٢٥
توخي الوضوح والترتيب فى متوالية الملفوظات	٢٢٧
أولاً: خطاب الإمام الحسين لرؤساء الأخماس:	٢٢٧
ثانياً: تحذير أهل الكوفة من سخط الله والتوجه لطاعته:	٢٣٢
المبحث الثانى: خرق قاعدة الطريقة	٢٣٩
أولاً: الالتباس	٢٣٩
ثانياً: الغموض	٢٤٦
ثالثاً: الإطناب والتطويل	٢٥٤
١- التوكيد	٢٦١
٢- التشويق والاستعذاب	٢٦٣
٣- التقديم والتأخير (تغيير الرتبة)	٢٦٤
٤- تغيير رتبة المفعول	٢٧٣
٥- تغيير رتبة جواب الشرط على فعل الشرط	٢٧٤
الخاتمة والتناج	٢٨١
مصادر البحث	٢٨٥
الفهرست	٣١٣